

سُحُب الجحيم



دراسة توثيقية

لتجربة العمل الفدائي في المنطقة الوسطى بقطاع غزة

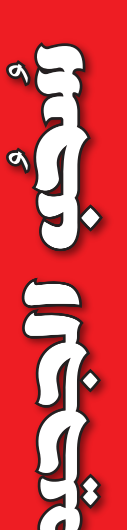
1973-1967



الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين







دراسة توثيقية

لتجربة العمل الفدائي في المنطقة الوسطى بقطاع غزة

1973-1967

سُحُب الجحيم

إن من أهم سمات الأحزاب الثورية التقدمية، التوقف بين محطة وأخرى للدراسة والنقد والتقييم، بهدف تحليل وفهم الماضي وإرساء الوعي التاريخي، كقضية حاسمة في تشكيل صورة المستقبل .

يمثل كتاب "سحب الجحيم"- دون شك- وقفة نقدية هامة لإعادة قراءة مرحلة تاريخية مميزة من تاريخ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

وإن ما خلص إليه الكتاب، بعد جهود مضنية من البحث والسعي وراء الحقيقة، يبرز الزخم الكفاحي الهائل الذي اتسمت به تلك المرحلة التاريخية (١٩٦٧- ١٩٧٣)، التي شكلت الانطلاقة الواقعية للثورة الفلسطينية عموماً، وللجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على وجه الخصوص، ويشكل ضربة مضادة قوية لمخططات التعتيم والتزييف الممنهجة التي مارسها الاحتلال وأدواته المختلفة لطمس وتنحية هذه الصفحة المشرقة من تاريخ الثورة الفلسطينية، وشيطنة رموزها وتلويث أفعالهم المقاومة، واستثارة الوعي الشعبي ضدهم .

جاء هذا الكتاب ليعيد تصدير عناوين تلك المرحلة الثورية الحقيقية، لتشكل إرثاً ثقافياً متجدداً لا زالت قضيتنا الوطنية بأمس الحاجة إليه، خصوصاً بعد سقوط نهج أوسلو التفريطي، وتعثر قطار التسويات الواهمة مع هذا الاحتلال الفاشي.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

سُحب الجحيم

دراسة توثيقية
لتجربة العمل الفدائي في المنطقة الوسطى بقطاع غزة
(١٩٦٧ – ١٩٧٣)

الطبعة الثانية
يونيو ٢٠٢٢

سُحب الجحيم

دراسة توثيقية

لتجربة العمل الفدائي في المنطقة الوسطى بقطاع غزة

(١٩٦٧ – ١٩٧٣)

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

اسم الكتاب: سُحب الجحيم

دراسة توثيقية

لتجربة العمل الفدائي في المنطقة الوسطى بقطاع غزة

(١٩٦٧ – ١٩٧٣)

توثيق وإعداد: خليل خليل، قاسم بركات

تقديم القائد الأسير: أحمد سعدات

"الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"

الطبعة الثانية

تدقيق ومراجعة لغوية: نايف خليل، أحمد أبو مرشود

صدرت الطبعة الأولى في إبريل ٢٠٢١

الفهرس

إلى روح الفدائي الشهيد . .

إلى من عاشوا التجربة وصنعوا أمجادها . .

إلى كل المؤمنين بالثورة والبندقية . . الحالمين بالحرية . .

إلى شيخ المقاتلين الرفيق جلال حافظ عزيزة . .

إلى كل شهداء الحرية . . إلى الأسرى خلف القضبان . .

إلى من ساروا على ذات الدرب . .

نهدي هذا الجهد المتواضع . .

الشكر الجزيل للرفاق أصحاب التجربة التي مثّلت ولا تزال تمثل المعنى الحقيقي للنضال، جلّكم قدّم زهرة شبابه في معتقلات الاحتلال، لم تنطفئ فيكم جذوة نضالكم وشوقكم إلى فلسطين، لقد سطرتم حكاياتكم كمطارق تطرق حديد الذكريات، وتجسّد لنا وللأجيال القادمة دستور حياة، ودرباً إلى الحرية، وتدق أجراس العودة في كل الصباحات التي تطل على مدننا وقرانا في فلسطين الحبيبة . .

كل الشكر لابتساماتكم المفعمة بالمعاني حين التقينا بكم، وقد أدركنا أن هذا الانتماء الذي فيكم لا تهزه العواصف، ثابت كشجرة الزيتون التي رويَت بدمائكم، ودماء الشهداء، والتي حتماً ستتزين بأوراق الحرية . .

شكراً رفاقنا الأعزاء . . الشهود الحقيقيين على مرحلة كفاحية لم تنل حقها الكامل من الدراسة والاهتمام، والشكر موصول لكل من ساهم في إنجاز هذا الكتاب . .

واعتذارنا لكل من لم نستطع أن نلتقي به، ولكل الغائبين الذين كانت أفعالهم الرواية، واعتذارنا للمرأة التي لم تطلْها أقلامنا، للمناضلات اللاتي قدّمن زهرة شبابهن، فأنْبتن ربيعاً وجنّة ورود، واعتذارنا للأسماء الغائبة فوق الأرض، وتحت الأرض، يهزمون الخوف، ويصنعون أجيال الحرية . .

"ليست المقاومة المسلحة قشرة، هي ثمرة لزرعة ضاربة جذورها عميقاً في الأرض، وإذا كان التحرير ينبع من فوهة البندقية، فإن البندقية ذاتها تنبع من إرادة التحرير، وإرادة التحرير ليست سوى النتاج الطبيعي والمنطقي والحتمي للمقاومة بمعناها الواسع: المقاومة على صعيد الرفض، وعلى صعيد التمسك الصلب بالجذور والمواقف، ومثل هذا النوع من المقاومة يتخذ شكله الرائد في العمل السياسي والعمل الثقافي، ويشكل هذان العاملان المتلازمان اللذان يكمل أحدهما الآخر، الأرض الخصبة التي تستولد المقاومة المسلحة وتحضنها وتضمن استمرار مسيرتها وتحيطها بالضمانات.

ومن هنا فإن الشكلَ الثقافي في المقاومة يطرح أهمية قصوى ليست أبداً أقل قيمة من المقاومة المسلحة ذاتها، وبالتالي فإن رصدها واستقصاءها وكشف أعماقها تظل ضرورة لا غنى عنها لفهم الأرض التي ترتكز عليها بنادق الكفاح المسلح[(١)]"

(١) غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم (١٩٤٨ـ ١٩٦٨)، ص ٩.

** ولد غسان كنفاني في مدينة عكا عام ١٩٣٦، هاجر مع أسرته إلى دمشق بعد مذبحة دير ياسين عام ١٩٤٨، وهناك تابع تعليمه وحاز على الإعدادية وبعدها التحق بسلك التعليم في وكالة الغوث، اشتغل محرراً في صحيفة "الرأي" ومشرفا على طباعتـها، وفي أواخر عام ١٩٥٥ التحق للتدريس في المعارف الكويتية، أما محطته الأخيرة فكانت بيروت حيث عمل في مجلة "الحرية"، ورأس تحرير جريدة "المحرر"، وأصدر مجلة "فلسطين"، وكتب في جريدة "الأنوار" اللبنانية تحت اسم مستعار "فارس فارس"، وأنشأ مجلة "الهدف" الأسبوعية، وأصبح الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وعضو مكتبها السياسي، كان صحفياً تقدمياً جريئاً، دخل السجن نتيجة جرأته في الدفاع عن القضايا الوطنية أكثر من مرة، واستشهد صباح يوم السبت ١٩٧٢/٧/٨، بعد أن انفجرت عبوات ناسفة وضعت في سيارته تحت منزله، واستشهدت معه ابنة شقيقته لميس حسين نجم (١٧ سنة).

لماذا سحب الجحيم ؟

"سحب الجحيم" . . كتاب يوثق تجربة رائدة للعمل المسلح في قطاع غزة، ويسلط الضوء على محطة مهمة من محطات نضال شعبنا الفلسطيني من أجل التحرير والخلاص من الاحتلال، وفي طور الإعداد لهذا العمل كان الاسم المقترح للكتاب هو "صفحات من لحم ودم"، لكنه تغير عندما وصلتنا معلومة من أحد المقاتلين القدامى، تفيد بأن الرفيق محمد مصلح "أبو النصر"(١) أطلق على العمليات الفدائية التي نفذتها المجموعات المقاتلة التابعة للجبهة الشعبية في تلك الفترة اسم "سحب الجحيم"، فارتأينا أن يحمل هذا الكتاب هذا الاسم.

يعد هذا الكتاب محاولة لنفض الغبار عن تجربة نضالية مهمة خاضها مقاتلو الجبهة الشعبية وفرسانها في مخيمات وقرى المنطقة الوسطى(٢)، وهي بحق ملحمة بطولية جماعية، ولوحة مشْرقة تزيّنت بصور الأبطال، الشهداء منهم والأحياء، ومعهم جماهير شعبنا الصامدة التي واجهت جبروت العدو وهمجيته، ليشكل زاداً وإرثاً نضالياً زاخراً بالبطولات للأجيال الشابة، ويعيد بناء ذاكرة مخضبة بالألم والأمل، "يرثها من سيأتي بعدنا بلا تشوهات".

وسحب الجحيم هي واحدة من تجارب عدة عاشتها بلدات وقرى ومخيمات قطاع غزة، لها رجالها وفيها من الحكايا والمآثر والبطولات ما يستحق التوثيق والكتابة، ونأمل أن يشكل كتاب "سحب الجحيم" بعد صدوره دعوة فيها الكثير من الأمل والعمل على توثيق هذه التجارب النضالية الرائدة.

---

(١) ولد في قرية حليقات عام ١٩٤٥، استشهد والده أثناء الدفاع عن القرية في أحداث نكبة ١٩٤٨، هاجر مع أسرته لمخيم جباليا بعد نكبة ١٩٤٨، ثم انتقل مع أسرته إلى مخيم النصيرات، من المقاتلين الرواد الذين التحقوا بحركة القوميين العرب وبجهازها العسكري، ثم تولى مسئولية الجهاز العسكري للجبهة الشعبية في قطاع غزة، استشهد مع ثلاثة من خيرة مقاتلي الجبهة الشعبية أثناء مواجهة عسكرية دامية في مخيم المغازي بتاريخ ١٩٧٠/٠١/٠٥، عرفت فيما بعد بمعركة المغازي الكبرى (سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٢) تقع وسط قطاع غزة، وتضم أربعة مخيمات للاجئين، وهي: مخيم النصيرات، والبريج، والمغازي، ودير البلح.

تقديم . .

يروي هذا الكتاب ويوثق فصول ملحمة بطولية سطّرها مقاتلو الجبهة الشعبية في مقاومة الاحتلال الاستعماري الاستيطاني في قطاع غزة، في الفترة ما بين ١٩٦٧–١٩٧٣، و"سحب الجحيم" هي الاسم الذي أطلقه القائد العسكري لمقاتلي الجبهة الشعبية محمد أبو النصر عام ١٩٦٩، على الخطة الكفاحية التي احتوت على تجارب وأحداث هذه الملحمة التي كُتبت بالنار والدم، معارك وجولات مواجهة بطولية ألهبت الأرض تحت أقدام قوات العدو منذ احتلال ما تبقى من فلسطين، وخصوصاً قطاع غزة عام ١٩٦٧.

عندما نتحدث عن هذه الملحمة تُعيدنا الذاكرة آلاف السنين إلى الوراء، منذ بزوغ فجر التاريخ الإنساني المكتوب في الحقبة الانتقالية من العصر البرونزي إلى العصر الحديدي، أي إلى بدايةِ غزوِ بني إسرائيل لأرض كنعان، وما سبقهم من غُزاةٍ جاءوها من الشرق والغرب، مروراً بحقب التاريخ الوسيط والحديث والمعاصر، فأرض كنعان كانت مسرحاً لمعارك طاحنةٍ، دارت بين جيوش الامبراطوريات في هذه العصور، وحين نتصفح سفر تاريخ كنعان تستوقفنا أسماء ثلاث مدن شَكلّت رقماً صعباً في مواجهة الغزاة، هي صور، وعكا، وغزة، قلاع حوصرت وهُدمت لكنها ظلّت تقاوم، ورسمت أحرف أسمائها بالنار ودماء الشهداء.

غزة ذكرتها شظايا الفخار المصري القديم الذي كُتبت عليه اللعنات الفرعونية، وكانت إما متمردة أو رافضة للخضوع ودفع الإتاوات، ومخطوطات تل العمارنة، التي كشفت جزءاً مهماً من أحداث فصول تاريخ الشرق الأدنى القديم، وفي إطاره أرض كنعان، وخصَّتها التوراة في أساطيرها وروایاتها عن معارك غزاة بني إسرائيل لأرض كنعان مع الفلسطينيين القدماء، فعلى ترابها قُهر "شمشون" أحد قضاة بني اسرائيل وأبطالها الأسطوريين في عهد القضاة، وفيما بعد ملوك بني إسرائيل، ولعنها اليونانيون في أسفارهم، ففيها وعلى أعتاب قلاعها جُرِح الاسكندر المقدوني، عندما استعصت عليه وصمدت في وجه جيوشه الغازية.

تاريخٌ متسلسلٌ ومتصلٌ، يروي صمود غزة ومقاومتها للاحتلال من كل لون واسم وجنس، وصولاً إلى معارك مواجهة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني قبل النكبة وبعدها،

وبطولات فدائييها تحت لواء القائد مصطفى حافظ[١]، مروراً بالتجربة التي خصَّها الكتاب بالدراسة والتوثيق وصولاً إلى يومنا هذا.

وعندما نتحدث عن تجربة المقاومة الفلسطينية مع العدو الصهيوني في قطاع غزة، موضوع هذا الكتاب، فإننا نخص الفترة الممتدة منذ عام ١٩٦٧، مروراً باغتيال القائد محمد أبو النصر، والقائد الميداني أحمد شحادة عمران[٢]، واستشهاد زياد الحسيني[٣]، قائد قوات التحرير الشعبية[٤]، حتى استشهاد الرفيق محمد محمود الأسود[٥]، ورفيقيه كامل العمصي[٦]، وعبد الهادي الحايك[٧] في مارس ١٩٧٣.

تجربة كفاحية شيّدها ورعاها وقادها ثلة من الأبطال، مسلحين بإمكاناتٍ بسيطةٍ ومتواضعةٍ، وفي منطقة لا تتعدى مساحتها ٣٦٥ كيلومتراً مربعاً تفتقر إلى أدنى متطلبات

---

(١) ضابط مصري، ولد في ١٩٢٠/١٢/٢٥، في قرية زاوية البقلي بمحافظة المنوفية، كان له نصب تذكاري في غزة حطمه الاحتلال الصهيوني بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، كبد العدو الصهيوني خسائر فادحة عبر عمليات بطولية جبارة، تمكن العدو الصهيوني من اغتياله في ١٩٥٨/٠٧/١١.

(٢) ولد في مخيم النصيرات عام ١٩٥٣، هجرت أسرته من مدينة يافا في نكبة ١٩٤٨، كان يعمل خياطاً قبل التحاقه بالثورة، نفذ العديد من العمليات البطولية، يعتبر من أبرز قادة العمل الفدائي الذين ذاع صيتهم في قطاع غزة، استشهد في اشتباك مسلح بتاريخ ١٩٧٢/٠٧/١٧(سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٣) ولد في مدينة غزة عام ١٩٤٣، التحق بالكلية العسكرية للضباط الاحتياط سنة ١٩٦٤في القاهرة وتخرج برتبة ملازم ثان عام ١٩٦٦، والتحق بجيش التحرير الفلسطيني وشارك في حرب حزيران عام ١٩٦٧، وبعد انتهاء الحرب بدأ بتشكيل الخلايا السرية وتنظيم القوات وتدريبها في غزة ، وفي مطلع ١٩٦٩ تولى منصب قائد قوات التحرير الشعبية في القطاع وشمال سيناء، استشهد في ١٩٧١/١١/٢١، في ظروف غامضة ، حيث زعم الموساد انتحاره بعد فشل المفاوضات معه لتأمين خروجه مع مجموعة من قواته إلى الأردن دون اعتقال أو ملاحقة.

(٤) أعلن عن تأسيسها في فبراير ١٩٦٨، وتعتبر الجناح الفدائي لجيش التحرير الفلسطيني، تولى العقيد عبد العزيز الوجيه قيادتها في بداية تأسيسها، ثم خلفه العقيد بهجت الأمين، وكان من بين ضباطها البارزين زياد الحسيني، وعبد القادر أبو الفحم، وفي ١٩٧٢/٩/٢٨ أصدر ياسر عرفات قرارًا يقضي بتحويل مخصصات جميع أعضائها إلى سجلات حركة فتح، وبعدها اندثرت هذه التجربة تماماً.

(٥) ولد في مدينة حيفا بتاريخ ٠١/٠٦/ ١٩٤٦، نظراً للسمات الشخصية القيادية والقدرات العالية التي تمتع بها والقدرات العالية التي تميز بها لقبته جماهير القطاع بجيفارا غزة، اعتقل في يناير ١٩٦٨، وبقي في السجن لمدة سنتين ونصف وأطلق سراحه في يوليو ١٩٧٠، وأصبح قائداً للجهاز العسكري بعد خروجه من السجن، استشهد بتاريخ ١٩٧٣/٠٣/٠٩، مع رفيقيه كامل العمصي وعبد الهادي الحايك في مواجهة عنيفة مع قوات كبيرة من جيش العدو بعد مداهمتها للمنزل الذي كانوا يختبئون فيه.

(٦) ولد في قرية السوافير، نزح مع أسرته قسراً إلى مخيم الشاطئ في نكبة ١٩٤٨، اعتقل أواخر عام ١٩٦٩، وأفرج عنه في عام ١٩٧١، تولى مسئولية القيادة السياسية والعسكرية في منطقة شمال القطاع .

(٧) ولد في مدينة غزة في عام ١٩٤٨، وتولى مسئولية تنظيم الجبهة الشعبية في مدينة غزة.

حرب العصابات في مواجهة جيش محترف، يملك كل أدوات القتال المتقدمة، فضلاً عن خبرات جنرالات هيئة أركان حربه المنتشية بانتصارها الخاطف على ثلاثة جيوش عربية، وعندما نتحدث عن هذه المعطيات ونقارنها بنتائج المواجهة الميدانية، نلمس قوة الإرادة التي اتُسم بها رُوّاد هذه التجربة وقادتها ومقاتلوها.

فغزة المنبسطة الخالية من التلال والجبال والغابات، كانت مسرحاً لمواجهة ساخنة، استنزفت جيش العدو الذي تبجح قادته بجبروته وقوته ومناعته "التي لا تقهر !".

مواجهات ومعارك أجبرت الجنرال "موشيه ديان[١]" وزير حرب حكومة الكيان الصهيوني على الاعتراف بأن قواته تُسيطر على القطاع في النهار، فيما يسيطر عليها ويحكمها الفدائيون ليلاً، كما تمنى "إسحق رابين[٢]" وزير حرب الكيان وأحد رؤساء حكومته لأكثر من مرة، أن يصحو من نومه ويجد غزة قد غَرِقت في البحر، فمن أين استمدّت المقاومة الفلسطينية مناعتها ؟.

عدالة القضية لا تكفي وحدها لنسج خيوط هذه الملحمة، وإن كانت تُشكّل الجوهر والأساس، لكنها تصبح حين يمتلك المدافعون عنها الإرادة والتصميم والعزم والإبداع ويصهرونها في بناء أدواتهم الكفاحية قوةً قادرةً على صنع المعجزات، وهذا ما حدث، فشارون[٣] الذي أشرف ميدانياً على تنفيذ خطط ومعارك إجهاض المقاومة في غزة، وتبجح فيما بعد بإنجازاته، وقطع العهد بتخليد المستوطنات التي رعى بناءها وحمايتها، وتشدّق بأن مستوطنة نتساريم[٤] لا تقل أهميةً عن "تل أبيب"، هذه الأيديولوجيا المفعمة

(١) ولد في ١٩١٥/٠٥/٢٠، كان يشغل منصب "وزير الدفاع" لدولة الكيان في الفترة من يونيو عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٣، توفي في ١٩٨١/١٠/١٦.

(٢) ولد بتاريخ ١٩٢٢/٠٣/٠١، يُعد من أبرز الشخصيات الإسرائيلية وأحد أهم متخذي القرارات في الشؤون الخارجية، العسكرية والأمنية في "إسرائيل" ، تقلد منصب رئيس الوزراء مرتين، أطلق "إيجال عامير" الرصاص عليه فأرداه قتيلاً في ١٩٩٥/١١/٠٤.

(٣) ولد في قرية ميلال بفلسطين بتاريخ ١٩٢٨/٠٢/٢٧، والداه من اليهود الأشكناز الذين هاجروا من شرقي أوروبا، عرف بدمويته ومسؤوليته عن عدة مجازر بحق الفلسطينيين، تولى رئاسة الحكومة في (٢٠٠١ – ٢٠٠٦)، توفي بتاريخ ٢٠١٤/٠١/١١، بعد إصابته بجلطة في الدماغ أدخلته في غيبوبة لمدة ثماني سنوات قبل وفاته.

(٤) كانت تقع وسط قطاع غزة، أقيمت عام ١٩٧٢، في أغسطس ٢٠٠٥، اضطر العدو الصهيوني لإجلاء "سكان نتساريم" تحت وطأة المقاومة الفلسطينية في القطاع.

بالعنصرية والاستعلاء والغطرسة، والمدعومة بالقوة العاتية، اضطر حاملها تحت ضربات المقاومة إلى التخلي عنها والإعلان عن الانسحاب من غزة، ومن طرف واحد، وتفكيك مستوطناته "المقدسة"، وترحيل مستوطنيها.

لقد تجلّت إبداعات المقاومة التي تدافع عن عدالة القضية الوطنية بتطويع البيئة الطبيعية وقهر مجافاتها، حفروا أوكار الحماية الذاتية كمخابئ يلجئون إليها بعد إنهاء مهامهم القتالية، أو التواري، حين يشتمّون رائحة مداهمةٍ قادمةٍ أو محتملةٍ، وتشرّدوا في البيارات والأبنية السكنية، في الأحياء والمخيمات، وامتلكوا زمام المبادرة والسيطرة على زمان ومكان المواجهات في الحواري أو المخيمات أو الأزقة الضيقة، وأجادوا فنون التنكر والاختفاء والمطاردة، واستفادوا من البر والبحر والصحراء لإدخال العتاد ودخول القادة، وأقاموا معسكرات التدريب المتحركة، ووطّدوا علاقاتهم بالجماهير الشعبية لتعزيز سياج الحماية، ولتجاوز إشكاليات التداخل بين عمل الفصائل العاملة شَكّلوا لجان التنسيق لضبط وإدارة العمل الميداني، وراكموا لبناء الجبهة الوطنية المتحدة كصيغة لتجسيد الوحدة الوطنية التي جمعت في إطارها الجبهة الشعبية، والحزب الشيوعي في غزة قبل أن يصبح جزءاً من الحزب الشيوعي الفلسطيني، وحزب الشعب لاحقاً.

وبهذا تمكنت المقاومة من توفير الحد الأدنى لشروط حرب العصابات سياسياً وتنظيمياً وأمنياً وميدانياً، لكن صعوبة الوضع الإقليمي المحيط المضاف إلى الظروف الطبيعية، كانت أكثر تأثيراً من صلابة الإرادة وعدالة القضية، فقد أدى وقف إطلاق النار على الجبهة المصرية استجابةً لاستحقاقات مشروع روجرز[١]، وخروج المقاومة من الأردن بعد مجازر أيلول عام ١٩٧٠، ومعارك جرش عام ١٩٧١، هذه العوامل مجتمعة أدت إلى افتقاد المقاومة لقواعد الارتكاز والإسناد، وتمكن العدو من استثمار حالة الهدوء فسحب الآلاف من جنوده من ساحة المواجهة مع مصر وحشدها في القطاع، حيث عزم شارون على قيادة وتنفيذ خطة للإجهاز على المقاومة، فعمل على تفريغ المخيمات

---

(١) قدمته الولايات المتحدة الأمريكية في ٥ يونيو ١٩٧٠ عن طريق وزير خارجيتها وليام روجرز لإيقاف النيران لمدة ٩٠ يوماً بين مصر وإسرائيل، على أن يدخل الطرفان في مفاوضات جديدة لتنفيذ القرار ٢٤٢، استجاب الطرفان لإيقاف النيران في ٨ أغسطس ١٩٧٠، إلا أن إسرائيل لم تف بالشق الثاني، وسقطت المبادرة في ٤ فبراير ١٩٧١.

وتهجير عدد كبير من سكانها، وشق الطرق الواسعة فيها طولاً وعرضاً لتذليل العقبات التي تحول دون اقتحامها، ونجح العدو مستفيداً من التواطؤ العربي في إضعاف وهج المقاومة التي حرمته من النوم سنوات طويلة.

لكن جمراتها وإن خبا وهجها لم تنطفئ، واختزنتها رمال غزة وأفئدة الجماهير التواقة إلى الحرية، وقد أسست هذه المحطة النوعية لتجديد الفعل المقاوم وتنويع أشكاله وأساليبه في حلقات متتالية، واشعلت جمراتها فتيل الغضب الشعبي المتراكم وفجّرت شرارة الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧، والتي امتد حريقها ليشمل الحقل الفلسطيني كله، وانتفاضة الأقصى فيما بعد التي رفعت كلفة احتلال القطاع، وأجبرت قيادة الكيان الصهيوني على الانسحاب من طرف واحد، وما حالة المقاومة اليوم سوى نتاج لتراكم إنجازات المحطات الكفاحية المتعاقبة، وعليه، فإن محطة "سُحب الجحيم" جديرة بالدراسة والتوثيق الموضوعي لتخليد ذكرى نسائها ورجالها أبطال ورموز هذه الظاهرة والوفاء لهم، واستخلاص الدروس والعبر لاستنهاض نضال شعبنا، وترسيخ أقدامه بثبات على الطريق التي تقود إلى النصر، وتحقيق أهدافنا الوطنية والتاريخية.

أحمد سعدات[١]

الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

سجن ريمون/ كانون ثاني/يناير ٢٠٢١

---

(١) ولد في مدينة البيرة عام ١٩٥٣، لأسرة هُجرت من قرية دير طريف عام ١٩٤٨، التحق بصفوف العمل الوطني في إطار العمل الطلابي بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، انضم لصفوف الجبهة الشعبية عام ١٩٦٩، اعتقل في سجون الاحتلال الصهيوني ثماني مرات بين العامين ١٩٦٩ و١٩٩٣، واعتقل في سجون السلطة الفلسطينية ثلاث مرات بين العامين ١٩٩٥ و١٩٩٦، تقلد مسؤوليات متعددة داخل السجون وخارجها، إلى أن انتخب أميناً عاماً للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في أكتوبر ٢٠٠١، بعد اغتيال الأمين العام السابق أبو علي مصطفى في أغسطس ٢٠٠١، وفي ٢٠٠٢/٠١/١٥ اعتقلته السلطة الفلسطينية على إثر تصفية رحبعام زئيفي وزير السياحة الصهيوني، وفي ٢٠٠٦/٠٣/١٤ قامت قوات الاحتلال باختطافه من سجن المقاطعة بأريحا، وفي ٢٠٠٨/١٢/٢٥ حكم العدو الصهيوني بسجنه لمدة ٣٠ عاماً، بعد أن وجه له ١٩ اتهاماً على رأسها قيادة تنظيم "محظور" وتنظيم أنشطة سياسية للجبهة، إضافة إلى اتهامات أخرى، حرص العدو على عزله في السجن أكثر من مرة، وتم نقله تعسفياً من سجن إلى آخر، ليستقر به المقام أخيراً في سجن ريمون، واظب خلال فترة اعتقاله على خوض الاضرابات مع رفاقه، ومن زنزانته يقود نضالات شعبه وحزبه، ويقود مع الأسرى نضالات الحركة الأسيرة.

توطئة . .

يتحدث الكتاب عن تجربة العمل الفدائي في قطاع غزة، ويركز على تجربة المنطقة الوسطى على وجه الخصوص، ويغطي فترة زمنية عمرها سبع سنوات تقريباً، كانت بدايتها مع انطلاق العمل الفدائي في القطاع بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ مباشرة، وحتى استشهاد الرفيق محمد محمود الأسود الملقب بجيفارا غزة في مارس ١٩٧٣، نفذ خلالها الفدائيون، الطليعة المقاتلة، عدداً كبيراً من العمليات العسكرية، وشكلوا في قتالهم للعدو نموذجاً فريداً لحرب الغوار[١]، وتكثفت هجماتهم وضرباتهم دون أن تترك للعدو راحة.

يستعرض هذا الكتاب بطولات ومواقف وأسماء لفدائيين غالبيتهم رحلوا إما شهداء أو غادرونا بسبب السنوات الطوال التي عاشوها خلف القضبان في أقبية السجون، لما أورثتهم من أمراض أخذت تنهش في أجسادهم حتى رحلوا، وقليل منهم ما زالوا أحياء إلى يومنا هذا، والذين شكلوا لنا الشهود الحقيقيين والمصدر الأساس في توثيق التجربة والخروج بهذا الكتاب.

كانوا في تلك الفترة في مقتبل العمر لم تتجاوز أعمارهم عشرين عاماً، غالبيتهم التحقوا بالثورة وهم طلاب في المرحلة الإعدادية أو الثانوية، غادروا مقاعد الدراسة بعد أن انكشف أمرهم وتمت مطاردتهم من الاحتلال، رغم صغر عمرهم إلا أنهم شكّلوا أنبل ظاهرة للعمل المسلح في تاريخنا العربي المعاصر، نعم كانوا في مقتبل العمر وتجربتهم في الحياة لم تتجاوز سنوات عمرهم الصغير، لكنهم أحبوا فلسطين، الوطن المسلوب، ورفضوا الاحتلال، فكان هذا الحب بالنسبة لهم هو الموجّه الأول والأخير، التحقوا بالثورة رغم أن وعيهم وشخصياتهم لم يتشكلا بعد، وتحملوا مسئولية كبيرة تجاه أبناء شعبهم وتجاه قضيتهم العادلة، وحملوا السلاح ليضربوا العدو في كل أرض لنا تطؤها قدماه، وبعد أن التحقوا بالثورة وامتشقوا الرشاش وتزنروا بالقنابل تحولوا إلى مقاتلين أشداء، عمالقة يحسب لهم العدو ألف حساب، فكثير ما كانت تنسحب دوريات العدو مذعورة عندما تتفاجأ بوجودهم في المكان، حملوا السلاح فتضاعفت أعمارهم وأصبحوا مثلاً وقدوة، تشرع لهم

---

(١) حرب العصابات، وهي أحد أشكال نضال الشعب ضد الاستعمار أو السلطة المستبدة.

الجماهير أبواب بيوتها وتتمنى أن تتشرف بدخولهم إليها، وتحفر ملاجئ وتُعد مخابئ طواعية في بيوتها حتى يختبئ فيها الفدائيون غير مكترثة بما يمكن أن يلحق بهم أو ببيوتهم من خطر أو أذى لو انكشف أمرهم للعدو.

يتناول الكتاب قصص هؤلاء الفدائيين، الذين أصبحوا أبطالاً في ذاكرة المخيم، حملوا السلاح في زمن الهزيمة، بعد أن تبددت كل الآمال لاسترداد فلسطين بعد هزيمة الجيوش العربية مجتمعة أمام جيش العدو الصهيوني، وبعد أن بدأ العالم يروّج لهذا الكيان السرطاني بأنه يمتلك جيشاً لا يُقهر، فلا يمكن لأحد مواجهة هذا الجيش المدجج بالعتاد والسلاح، والذي تقف بجانبه كل قوى الشر في العالم، وليس أمامكم سوى الخضوع والاستسلام !!.

في هذا المناخ الذي تُخيّم فيه حالة الإحباط واليأس، خرج الفدائي من قلب المخيم مفعماً بالأمل، متسلحاً بإيمانه العميق بعدالة قضيته، وبحتمية الانتصار على هذا العدو الفاشي، "طال الزمان أم قصر"، فيضرب بقنبلته دورية مارة من هنا، ويواجه برشاشه كميناً غادراً هناك، ويستهدف تجمعات العدو في هذا الزقاق، ويقتل ضباط مخابراته، يخرج هذا المارد ليحمي المخيم من بطش العدو، ومن كيد طابوره الخامس[١]، ومن عبث اللصوص، ومن طيش العابثين، فيشكل السياج الحامي لأهله الطيبين، الذين ارتضوا واحتضنوا هذا العمل الفدائي وحموه، وتحمّلوا في سبيله كل أشكال العقاب الجماعي التي كان يمارسها العدو بحقهم للقضاء على الروح المعنوية العالية التي أخذت تتنامى مع وجود الفدائيين، ولِدق إسفين لضرب الحاضنة الشعبية التي تحرس وتحمي هؤلاء الأبطال، فالرسالة التي يسعى العدو جاهداً في إيصالها للأهالي بأن الفدائيين هم من يتسببوا في كل ما يلحق بهم من أذى وتعذيب وهدم بيوت وتشريد ومداهمات وتكدير حياتهم، وأنهم عندما يتعاونون مع قواته ويقدموا معلومات حول تحركاتهم وأماكن تواجدهم فإن حياتهم

(١) مصطلح متداول في أدبيات العلوم السياسية والاجتماعية، ويصف مجموعة من الناس تعمل غالبًا على محاولة محاصرة المدينة من الداخل، وتعمل لصالح جماعة العدو، ويمكن لأنشطة الطابور الخامس أن تنطوي على أعمال تخريب وتضليل وتجسس.

ستتغير بالكامل، ناهيك عن سياسة "الحرق الجماهيري[(١)]" التي يتبعها العدو في تشويه صورة هؤلاء الأبطال وتحويلهم من مقاتلين يتسلحون بوطنيتهم وبأخلاقهم الثورية الخالصة إلى لصوص ومجرمين وقاطعي طريق، مستخدماً أدواته الرخيصة وعملاءه القذرين في نشر الإشاعات والأكاذيب، وفي تنفيذ بعض جرائم القتل والسطو، والقيام ببعض التصرفات المسيئة وإلصاقها بالفدائيين، مستغلاً تدني مستوى الوعي وحالة الإحباط واليأس العام التي خلقتها الهزيمة لتدمير معنويات الأهالي.

ورغم كل تلك السياسات والأساليب الخسيسة لشيطنة الفدائيين، إلا أن العقل الجمعي للمخيم بعفويته وانتمائه الفطري وانحيازه للثورة وللعمل الفدائي، جعل الناس تميّز بين الأخطاء والتجاوزات غير المقصودة التي لحقت بالثورة والتي كانت تبرز أحياناً هنا أو هناك لأسباب تعود في غالبيتها لضعف الوعي وقلة الخبرة، وبين الجرائم والخطايا التي يرتكبها العابثون بقصد الإساءة للفدائيين، تَقْبل بكل فخر ما يمكن أن يلحق بها في سبيل حماية الثورة وطليعتها المقاتلة، وترفض كل ما يمكن أن يسيء لهم أو ينال منهم.

صدر أكثر من كتاب يتحدث عن ولادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وعن تجربة العمل الفدائي في قطاع غزة في تلك الفترة، إلا أن جميع تلك الإصدارات لم تعط التجربة حقها، وتحديداً العمل الفدائي في المخيمات، وفي المنطقة الوسطى على وجه الخصوص، فقد احتضنت هذه المخيمات آمال وأحلام الكثير من الفرسان والعمالقة الذين قضّوا مضاجع العدو، ومرّغوا أنوف جنوده وضباط مخابراته في التراب، واحتضنت مقابر المخيم جثامينهم الطاهرة بعد أن سطروا في رحيلهم ملاحم بطولية لا زال المخيم يختزنها في ذاكرة أزقته وشوارعه وحواريه.

---

(١) يعتمد هذا الأسلوب على بث الإشاعات المحبوكة حول بعض الشخصيات الوطنية، ودس بعض المعلومات المغلوطة عنها بحيث يبني عليها الآخرون تصورات خاطئة تسيء إليهم ولنضالاتهم، أو من خلال وضع الشخص المراد حرقه في موضع يثير الشبهة لبضع مرات، أو عند اعتقال مجموعة من الأشخاص، وبعد فترة قصيرة يتم الإفراج عن أحدهم رغم وجود شواهد ضده دون الإفراج عن الآخرين، وأحياناً يستخدم هذا الأسلوب ضد بعض الأشخاص ليكونوا كبش فداء للتغطية على عملاء حقيقيين.

وفي المنطقة الوسطى بزغ نجم مجموعة من الفدائيين القادة أمثال الرفاق محمد مصلح "أبو النصر"، وجلال حافظ عزيزة[1]، وأحمد عمران، ومحمد أبو اعتيق (شيبوب)[2]، وداوود خلف[3]، وآخرين كثر، سيأتي الكتاب على ذكر بطولاتهم وأمجادهم، وسيسلط الضوء على بعض العمليات النوعية التي نفذوها في تلك الفترة.

ليس من السهل الكتابة عن تجربة لم نعشها، ولم نشارك في صياغة جوانبها، فتوثيق تجربة كهذه والكتابة عنها يعني أنك ستبحث في عالم يبعد عنا أكثر من خمسين عاماً، وستستحث ذاكرة يسكنها ويتربع في أفيائها النسيان، ويدق أبوابها شبح الموت والمرض، أنت تبحث عن معلومات تكاد تتشابه في تفاصيلها فتتداخل المعلومات وتتوه بعد هذا الزمن الطويل الذي لم يتوقف، لم يكن العمل الفدائي يتوقف في تلك الفترة قط، ففي كل يوم حكاية جديدة، وفي كل زقاق حدث يستدعي التوثيق، وربما في كل ساعة كانت تضرب قنبلة هنا، أو ينفجر لغم هناك، نحن نحاول أن نوثق تجربة فيها من زخم النضال والبطولات ما يصعب رصده، فما تبقى من ذاكرة بعد انقضاء خمسين عاماً يشي بخطر المحاولة، ومع ذلك وبرغم ما يكتنف هذه المحاولة من صعوبات ومحاذير إلا أننا حرصنا على أن ننجز هذا العمل وأن نضع بين يدي جماهير شعبنا هذا الكتاب، لنحمي ما تبقى من ذاكرة من خطر النسيان ، ولنسلط الضوء على حقبة زمنية مهمة وزاخرة بالبطولات، ولنعيد الاعتبار لعدد من الأسماء، ونعطيها قدرها الذي تستحق بعد أن

---

(١) ولد في مدينة غزة، بتاريخ ١٩٤٨/١١/١٥، نزحت أسرته من مدينة يافا إلى قطاع غزة في نكبة ١٩٤٨، التحق بصفوف حركة القوميين العرب سنة ١٩٦٣، وكان من أوائل الملتحقين بطلائع المقاومة الشعبية بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧، التحق بالجبهة الشعبية منذ تأسيسها، تولى مسئولية الجهاز العسكري للجبهة في القطاع بعد استشهاد الرفيق محمد أبو النصر، إلى أن اعتقل بتاريخ ١٩٧٠/٠٤/١٧، وأفرج عنه في عملية التبادل عام ١٩٨٥.

(٢) ولد في بلدة سِكْرير في عام ١٩٤٢، اعتقل بتاريخ ١٩٧٠/٠٨/٠٧، وأمضى في سجون الاحتلال ١٥ عاماً، أفرج عنه في عملية تبادل الأسرى الشهيرة عام ١٩٨٥، توفي بتاريخ ٢٠٠٠/٠٤/١٦، (سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٣) ولد في مدينة يافا في عام ١٩٤٥، نزحت عنها عائلته إلى مخيم البريج وسط قطاع غزة في نكبة ١٩٤٨، تلقى تدريبات عسكرية في جيش التحرير، نفذ العديد من العمليات البطولية، كان رفيق درب جيفارا غزة ونائبه في تلك الفترة، استشهد خلال اشتباك مع قوات العدو بتاريخ ١٩٧١/١٠/٢٢(المصدر السابق).

عشعش في أذهان البعض افتراءات وإشاعات حرص الاحتلال وعملاؤه على إشاعتها وترسيخها لتشويه صورة الفدائي البطل الذي قضى شهيداً في ميادين المواجهة.

كان لنا شرف الالتقاء مع عدد من صانعي أمجاد تلك الفترة، وكانوا رواداً للعمل الفدائي آنذاك، وأجرينا معهم سلسلة من الحوارات الخاصة، وسجلنا شهاداتهم وتجاربهم وبطولاتهم، أرهقناهم بكثرة الأسئلة والبحث عن التفاصيل، وعن التواريخ والأسماء، فنحن كمن يرسم لوحة يجتر ملامحها من الذاكرة، كانت لقاءاتنا مع البعض صعبة نظراً لظروفهم الصحية المتردية، وكان الحصول منهم على أية معلومات، أو التدقيق فيها كمن يجلد ذاكرة قديمة ليأخذ منها اعترافاً على ماضٍ شاخت ملامحه وبهتت صورته، الكثير من التحديات كانت تواجهنا من لقاء إلى آخر، فبعض المعلومات كانت متضاربة، وبعض الأحداث كانت بلا تواريخ، وبعضها بلا أسماء، أحداث تستحق التوثيق إلا أنها لا توثق إلا اذا اكتملت من جميع جوانبها، وتبدأ رحلة التدقيق والبحث عن المعلومة إلى أن تصل إلى مبتغاك فيؤكدها أصحابها . .

- هذه المعلومة سمعتها من فلان عندما التقينا في السجن، وهذه المعلومة غير صحيحة، وهذه العملية حصلت قبل تلك.
- أنصحكم أن تلتقوا بفلان لأنه يعرف أكثر مني.
- هل قال لكم فلان ذلك !!.

بعضهم أحجم عن الإدلاء بأية معلومات، معتبراً أن تلك الفترة بكل تفاصيلها تشكل أسراراً للحزب لا يمكن البوح بها لأحد، وبعضهم غادر غزة منذ زمن، ولم نستطع التواصل معه، وبعضهم أحجم عن التعاون معنا متعللاً ببعض المخاوف والمحاذير، ومن جهتنا كنا نلتمس لهم العذر، كان بعضهم يرمقنا بنظرة عتاب لأن التجربة تستحق التوثيق ونحن أتَينا متأخرين، كانت تغمرنا الفرحة عندما نمسك أي خيط يمكن أن نصل من خلاله لمعلومة جديدة تستحق التوثيق، في كل لقاء كنا ننتهي منه كان يتولد لدينا شعور بأننا نبتعد أكثر عن الانتهاء من هذا الكتاب، لأننا كنا نحصل على المزيد من المعلومات التي كانت تفتح أمامنا شوطاً جديداً من البحث والتقصي، إلى أن وصلنا إلى نهاية المشوار، ليخرج هذا الكتاب إلى النور.

لم نوثق في الكتاب سير ذاتية للأشخاص، لكننا حرصنا على تناول التجربة وأصحابها والبيئة التي ولدت ونضجت فيها، وقد احتوى الكتاب على ثلاثة فصول يسبقها تقديم وتوطئة، ويعقبها خاتمة.

أما الفصل الأول فكان بعنوان "سحب الجحيم"، ومن أهم الموضوعات التي جاءت فيه: حياة اللجوء والتشرد في المخيمات، وكيف استنهض الشباب طاقاتهم لمجابهة الاحتلال، وإسهامات حركة القوميين العرب(١) ووليدتها الجبهة الشعبية في الرد على الهزيمة، والبدء بالعمل المسلح في قطاع غزة، وأسماء القادة العسكريين للجبهة الشعبية الذين تولوا مسئولية الجهاز العسكري خلال الفترة التي يغطيها الكتاب، وأهم الأعمال البطولية في فترات توليهم للقيادة، وأشد ضربات الاعتقال التي تعرض لها الجهاز العسكري في المنطقة الوسطى، وبعض الأحداث التي عالجت من خلالها القيادة العسكرية للجبهة بعض الأخطاء التي ارتكبها إما الفدائيون أنفسهم أو الآخرون، ودور المرأة في فترة العمل الفدائي، والمهام التي كلفت بها في تلك الفترة، وتوثيق لأكثر من تجربة للمرأة المقاتلة، وتعرض أيضاً لأهمية البيارات في العمل العسكري التي كانت بمثابة مكاناً يلتقي فيه المقاتلون وينطلقون منه لتنفيذ مهماتهم، وملجأ يختبئون فيه عندما تشتد موجات

---

(١) في سنة ١٩٥١ التقى جورج حبش عدداً من النازحين الفلسطينيين وطلاباً قوميين من الجامعة الأمريكية في بيروت تألفت منهم القيادة المؤسسة لما عرف فيما بعد بحركة القوميين العرب، وكان من أبرز المؤسسين: الدكتور جورج حبش، والدكتور وديع حداد من فلسطين، وهاني الهندي من سوريا، والدكتور أحمد الخطيب من الكويت، كان شعارهم الأول (وحدة – تحرر – ثأر)، كان تحرير فلسطين هو هدف الحركة الرئيسي ، لكن الحركة رأت استحالة تحقيق ذلك ما لم يتم تخليص الدول العربية من براثن الاستعمار، وتوظيف الإمكانات العربية في المعركة ضد إسرائيل، في أواخر عام ١٩٦١، وبعد انفصال الوحدة بين مصر وسوريا وانهيار مفهوم الوحدة طريقاً لتحرير فلسطين، أدركت الحركة أن بلوغ الوحدة مهمة شبه مستحيلة وأنها لا تستطيع الانتظار حتى تتحد جميع الأقطار العربية ولذلك كان من الضروري البحث عن الشخصية الفلسطينية والعمل الفلسطيني المستقل، وفي مؤتمر مايو ١٩٦٤ تبنت الحركة تأسيس تجمع فلسطيني مستقل عرف فيما بعد باسم (منظمة شباب الثأر)، وكانت مهمتها التهيئة للكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية وإعداد المقاتلين، وبدأت بأولى عملياتها في نوفمبر ١٩٦٤، بعد أن تسلل عدد من فدائييها إلى الجليل وسقط في هذا الهجوم الشهيد خالد أبو عيشة، وهو الشهيد الأول من الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب، وفي نوفمبر ١٩٦٦ أعلنت الحركة عن تشكيل تنظيم فدائي جديد، أطلقت عليه اسم (منظمة أبطال العودة) بعد أن نفذت أولى عملياتها داخل الأراضي المحتلة في أكتوبر ١٩٦٦، وقد استشهد في هذه العملية الرفاق: رفيق عساف ومحمد اليماني وسعيد العيد، ووقع في الأسر الرفيق سكران محمد سكران، وفي عام ١٩٦٧ حصلت هزيمة حزيران التي تركت تأثيراتها الكبيرة على الحركة، ودون أن تعلن عن انتهاء عملها كحركة قومية إلا أن ذلك قد حصل فعلاً، وبقي من الحركة فروعها التي تعمل في عدد من الأقطار العربية دون أن تجمعها علاقة تنظيمية مركزية موحدة.

الملاحقة والاستهداف، والدوريات العسكرية التي قدمت من الأردن إلى القطاع عن طريق سيناء أو عن طريق البحر من لبنان، والتحديات والصعاب التي واجهت هؤلاء الفدائيين في رحلة سفرهم، وكيف ساهمت هذه الكوادر في تصعيد العمل المسلح، وتناول دور الأوكار والملاجئ في حماية الفدائيين وما يعكس ذلك من تلاحم الجماهير مع الثورة وطليعتها المقاتلة.

أما الفصل الثاني، والذي جاء بعنوان "لا تمت قبل أن تكون نداً"، فقد تم من خلاله التطرق لتجارب عدد من المقاتلين القدامى، وكيف التحقوا بالجبهة الشعبية، وأصبحوا مقاتلين، كما يستعرض بعض المواقف التي عايشوها، وهي كثيرة ومشوقة، وجاءت تحت عناوين متنوعة.

أما الفصل الثالث والأخير، فكان بعنوان "لا صوت يعلو فوق صوت البندقية"، وتناول العمليات العسكرية التي استطعنا توثيقها، مرتبة حسب تسلسلها التاريخي، فلا يكاد يمر يوم إلا وينفذ فيه الفدائيون عشرات العمليات التي استهدفت دوريات العدو دائمة الحركة على طول الطريق العام الممتد من رفح إلى بيت حانون، ثم كانت الخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج.

وفي نهاية الكتاب حرصنا على كتابة أسماء المقاتلين القدامى الذين التقينا بهم وسجلنا شهاداتهم، وكانوا بمثابة مصادر ومراجع أساسية لهذا الكتاب، وجميل أن ننتهز هذه الفرصة لتقديم عظيم الشكر والامتنان لهم، لحسن استجابتهم وتعاونهم معنا، فكل الشكر والتقدير لكم يا رفاق "سحب الجحيم"، أنتم بحق وقود تلك التجربة وعنفوانها وصناع مجدها، ولكم تنحني الهامات.

وأخيراً، نأمل أن نكون قد وفّقنا في إعادة جزء ولو يسير من حقوقكم المعنوية التي سلبها النسيان !، وفي الوقت ذاته، نتقدم باعتذارنا الشديد لكل من خاض التجربة وكان فاعلاً فيها من الشهداء والأحياء، ولم نستطع توثيق شهادته وبالتالي لم ينل حقه في هذه الدراسة، ولم تتناول إسهاماته وبطولاته.

توثيق وإعداد

قاسم بركات، خليل خليل

أذار/مارس ٢٠٢١

الفصل الأول

سحب الجحيم

الفصل الأول

"ورغم كارثية اللحظة وقسوة التحديات، إلا أنني لا زلت أمسك بخيط الأمل ، ليس من منطلقٍ عاطفي، وإنما لأنني أدرك طبيعة الصراع، وأدرك أصالة هذا الشعب وهذه الأمة ، كما أعرف دروس التاريخ، وبأن الهزائم والإحباط مهما امتدت زمنياً فإنها تبقى مؤقتة وعابرة، فالشعوب في نهاية المطاف هي صاحبة الكلمة الفصل، وهي قادرة على أن تطلق أحلامها وآمالها مقاومةً وصموداً ودفاعاً عن أهلها ومصالحها[١]"

---

(١) جورج حبش، الخطاب الذي ألقاه في المؤتمر الوطني السادس للجبهة الشعبية، تموز ٢٠٠٠.

** ولد جورج حبش في مدينة اللد عام ١٩٢٥، وفي ١٩٥٢ عمل على تأسيس حركة القوميين العرب مع رفيق دربه وديع حدّاد، وكان لها دور في نشوء حركات أخرى في الوطن العربي، ثم تابع حبش النشاط السياسي في الأردن عام ١٩٥٢، ومارس مهنة الطب هناك مع الدكتور وديع حداد، بعدها انتقل إلى سوريا ليمارس نشاطه السياسي والجماهيري في دمشق.

تعرّض حبش للملاحقة من النظام في سوريا بسبب تأييده لمواقف الزعيم المصري الراحل جمال عبد الناصر، ما اضطره إلى العودة للعمل السرّي، بعد نكسة عام ١٩٦٧، وانحسار الفكر القومي العربي أسّس حبش مع رفيق دربه أبو علي مصطفى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، واعتقل عام ١٩٦٨ في سوريا لمدة عام، ثم نفذت بعدها عملية اختطاف لتهريبه من السجن خطط لها ونفذها الدكتور وديع حداد، انتقل إلى الأردن سراً عام ١٩٦٩، شهدت مرحلة المقاومة الفلسطينية الكثير من المصادمات مع الجيش الأردني وأدت إلى معارك ضارية في أيلول عام ١٩٧٠، وخروج المقاومة الفلسطينية من عمان إلى أحراش جرش، وفي عام ١٩٧٢ تعرض حبش لمحاولة اختطاف، حيث قام العدو الصهيوني بخطف طائرة ميدل إيست اللبنانية التي كان يفترض وجود الحكيم على متنها، لكنه نجا منها بأعجوبة نتيجة لإجراء أمني احترازي اتخذ في اللحظات الأخيرة قبل إقلاع الطائرة.

وفي عام ١٩٩٢ توجه إلى فرنسا للعلاج بعد موافقة الحكومة الفرنسية، لكن سرعان ما تحولت زيارة العلاج إلى قضية سياسية كبيرة، وفي عام ٢٠٠٠ قدم استقالته من منصب الأمين العام للجبهة في المؤتمر السادس، مفسحاً الطريق أمام نائبه أبو علي مصطفى لتولي الأمانة العامة للجبهة.

توفي جورج حبش في أحد مستشفيات عمان بتاريخ ٢٦/٠١/ ٢٠٠٨، وكانت وصيته الأخيرة قبل دقائق من وفاته "تمسّكوا بالمقاومة واستعيدوا الوحدة".

المخيم شاهد على الحكاية

بعد نكبة ١٩٤٨، بدأت رحلة التشرد واللجوء، بعد أن هُجّر قرابة مليون من اللاجئين الفلسطينيين من ديارهم قسراً، ومرّت قوافل اللاجئين في دروب الآلام والآمال، وكان قطاع غزة أحد المحطات التي حطّت بها رحال عشرات الآلاف من المهجرين البؤساء، وفي الأعوام التي تلت النكبة، أصبح قطاع غزة عبارة عن مستودع بشري يتراكم فيه ما يزيد على ضعفي عدد سكانه الأصليين.

ومع تدفق المهاجرين وتفاقم المشكلات الاقتصادية في القطاع، بادرت بعض الهيئات والجمعيات الخيرية الدولية إلى مد يد المساعدة إلى هؤلاء اللاجئين، إلا أن هذه المعونات لم تكن تكفي الاحتياجات الضرورية لاستمرار معيشتهم.

اتخذ اللاجئون المهجّرون من المساجد والمدارس والبيوت وبعض الثكنات العسكرية والأرض العراء مأوى لهم، وجرّاء اتفاق مع الأمم المتحدة، أنشئت ثمانية مخيمات[١] على أراضٍ حكومية خصصتها الإدارة المصرية، وأُعطيت لها أسماء المدن والبلدات المجاورة، وتولّت جمعية أمريكية الإشراف على هذه المخيمات إلى أن تم تشكيل الأونروا، التي باشرت عملها في القطاع في بداية مايو ١٩٥٠، وحلّت محل المنظمات السابقة لها، وورثت مشاريعها ومقترحاتها، وقامت بأعمال الإغاثة والتربية والتعليم والإسكان.

ومع اندلاع حرب ١٩٤٨، قامت الدول العربية بحل جميع المنظمات العسكرية الشعبية في فلسطين، وأزاحتها من ميدان المعركة، باعتبار أنها تعرقل عمل جيوشها المحاربة، كما قامت بعزل جميع الأحزاب والهيئات السياسية ومنعها من مباشرة أي أعمال تخص القضية الفلسطينية، وتنظيم أحوال الشعب الفلسطيني، واعتبرت أن الجيوش العربية

مخيمات قطاع غزة: جباليا والشاطئ والنصيرات والبريج والمغازي ودير البلح وخانيونس ورفح، وبحسب موقع "الأونروا" unrwa.org

- أنشئ مخيما جباليا والنصيرات في عام ١٩٤٨.
- أنشئت مخيمات خانيونس والمغازي ودير البلح ورفح في عام ١٩٤٩.
- أنشئ مخيم الشاطئ في عام ١٩٥١.
- أنشئ مخيم البريج في عام ١٩٥٢.

هي الوسيلة الوحيدة الصالحة لحماية فلسطين، وانقاذ عروبتها، وتسببت هذه الإجراءات في اضطراب الحياة العامة، وإحداث فراغ كبير، وتعقّد الوضع الإداري والمدني مع دخول هذه الجيوش، مما دفعها للتفكير في إنشاء إدارة مدنية فلسطينية لتجاوز الأزمة، وبالفعل صدر قرار عن اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية(١) بإنشاء الإدارة المدنية المؤقتة في يوليو ١٩٤٨، برئاسة أحمد حلمي باشا(٢)، على أن تقتصر مهمتها على إدارة الشئون المدنية العامة، وأن لا تكون لها أي صفة تمثيلية عن أهالي فلسطين، وأن لا تدير الأمور السياسية والعسكرية للبلاد.

لم تشعر الهيئة العربية العليا(٣) بالارتياح جراء عدول الجامعة العربية عن مطلبها بتشكيل حكومة فلسطينية، واستمرت في سعيها لتثبيت وجهة نظرها في دوائر الجامعة، وفي سبتمبر ١٩٤٨ وافقت الدول العربية على أن تصبح الإدارة المدنية المؤقتة بمثابة حكومة لفلسطين، وتقرر أن يؤلف مجلس وطني يمثل الأمة، وتستمد الحكومة منه سلطتها وتوجيهاتها، وبالفعل اجتمعت الإدارة المدنية المؤقتة في مدينة غزة، وقررت اعتبار نفسها حكومة لفلسطين باسم "حكومة عموم فلسطين"، وتم التوافق على أن يترأسها أحمد حلمي باشا، ورغم أنها حملت اسم حكومة عموم فلسطين إلا أن ولايتها القضائية الفعلية اقتصرت على قطاع غزة.

---

(١) تعد أقدم منظمة إقليمية في العالم حيث أنشئت في ٢٢ مارس عام ١٩٤٥، وتطورت عضويتها من سبع دول مؤسسة حتى وصلت إلى ٢٢ دولة عربية في وقتنا الحالي.

(٢) سياسي واقتصادي فلسطيني، وُلد عام ١٨٨٢ في مدينة صيدا اللبنانية لأب من مدينة طولكرم ذو أصول ألبانية، وفي عام ١٩٢٦ توجه إلى فلسطين وعُين مراقباً عاماً للأوقاف الإسلامية، واستقال من عمله في عام ١٩٣٠، حين اشترك مع عبد الحميد شومان في تأسيس البنك العربي بفلسطين، وتولى إدارته منذ عام ١٩٣٠ وحتى عام ١٩٣٦، أسس بعد ذلك البنك الزراعي لإمداد الفلاحين بالقروض الزراعية، نُفي عام ١٩٣٦ مع بعض أعضاء الهيئة العربية العليا إلى سيشل بعد مقتل الجنرال أندرو حاكم لواء الجليل، عاد وترأس حكومة عموم فلسطين سنة ١٩٤٨، توفي في عام ١٩٦٣.

(٣) قبيل انعقاد مجلس الجامعة العربية في يونيو ١٩٤٦، انقسمت القوى السياسية الفلسطينية بين فريقين، وبلغ التنافس ذروته على من يمثل فلسطين في الجامعة، اللجنة العربية العليا بقيادة جمال الحسيني، والجبهة العربية حديثة التشكل ومن أبرز قادتها أحمد حلمي باشا، وبعد مشاورات عربية، وعربية فلسطينية لرأب الصدع، تم التوافق على تأليف هيئة جديدة نواتها أربعة أشخاص فقط، نصفهم من اللجنة العربية العليا، والنصف الآخر من الجبهة العربية، عرفت فيما بعد باسم الهيئة العربية العليا، وتسلم رئاستها فيما بعد، المفتي الحاج أمين الحسيني.

في ٣٠ سبتمبر ١٩٤٨، انعقد في غزة المؤتمر الوطني الفلسطيني، الذي افتتح أعماله بانتخاب الحاج أمين الحسيني(١) رئيساً له، وعقب ذلك تم منح الثقة لحكومة عموم فلسطين التي يترأسها أحمد حلمي باشا، بعد أن تقدمت ببرنامجها إلى المجلس الوطني، وفي اليوم التالي أقر المجلس النظام الأساسي لحكومة عموم فلسطين، واتخذ المؤتمر مجموعة من القرارات السياسية والإدارية والقانونية والمالية، أبرزها قرار إعلان استقلال فلسطين، ورفض محاولة اليهود إقامة دولة لهم في فلسطين، والحقيقة أن القرارات التي صدرت عن المؤتمر الوطني كانت متأخرة كثيراً، وكان كل شيء معداً للهزيمة، وكما هو واضح من السياق السياسي لأحداث تلك الفترة، فإن مهمة حكومة عموم فلسطين، والمؤتمر الوطني قد انتهت منذ اللحظة الأولى التي انتهت فيها أعمال المؤتمر، فقد أرادت الجامعة العربية أن تُعمّد كبش فداء تحمّله مسئولية الهزيمة من ناحية، والقول بأن الدول العربية لم تمنع قيادة الشعب الفلسطيني من ممارسة دورها، وها هي تعقد مؤتمراً وطنياً وتعلن حكومة.

استكملت حلقات المؤامرة عبر محاصرة حكومة عموم فلسطين سياسياً وتصفيتها عسكرياً، مع توقيع الدول العربية وإسرائيل لاتفاقية الهدنة الدائمة(٢) في "رودس" في فبراير ١٩٤٩، وبعد توقيع الاتفاقية، وبعد أن رحلت قيادات حكومة عموم فلسطين، والهيئة العربية العليا إلى القاهرة، أصبحت الإدارة المصرية هي المسئولة عن كل شيء في هذه المنطقة، وبذلك أصبح قطاع غزة يدار من قبل حاكم إداري مصري.

---

(١) ولد في مدينة القدس عام ١٨٩٥، وتلقى تعليمه الأساسي فيها، وانتقل بعدها لمصر ليدرس في دار الدعوة والإرشاد، التحق بعدها بالكلية الحربية بإسطنبول، ثم بالجيش العثماني، والتحق بعد ذلك في صفوف الثورة العربية الكبرى، اعتقل عام ١٩٢٠، ولكنه استطاع الفرار إلى الأردن، وحكم عليه بالسجن ١٥ عاما، تولى منصب المفتي العام للقدس بعد وفاة أخيه كامل، وأنشأ المجلس الإسلامي الأعلى في ١٩٢١، وبعد فشل ثورة القسام عام ١٩٣٦، أنشأ الهيئة العربية العليا، التي ضمت تيارات سياسية مختلفة، أصدر المندوب السامي البريطاني قرارا بإقالته من منصبه والقبض عليه، وحينها هرب إلى لبنان، حيث اعتقلته السلطات الفرنسية، وبعدها استطاع الهروب من لبنان إلى العراق، ثم تركيا، ثم ألمانيا، حيث مكث فيها قرابة ٤ سنوات، هاجر إلى سوريا بعد النكبة، ومنها إلى لبنان التي مكث فيها حتى وفاته في عام ١٩٧٤.

(٢) وقّعت اتفاقيات هدنة، اشتهرت باسم (اتفاقية رودس)، بواسطة الأمم المتحدة بين العدو الصهيوني من جانب، وكل من مصر والأردن و سوريا ولبنان بشكل منفصل من جانب آخر، تم التوقيع على اتفاقيات الهدنة الأربع بين ٢٤ شباط/فبراير و٢٠ تموز/يوليو١٩٤٩، وفيها تم تحديد ما يسمى بالخط الأخضر أو خط "الهدنة".

بعد شتاء ١٩٥٠ القارس شرعت الأونروا في بناء مساكن للاجئين في المخيمات من الطوب بعد أن كانوا يقيمون في الخيام، بهدف استيعاب الأعداد الهائلة من اللاجئين، وفي الحقيقة لم تتسع هذه المخيمات إلا لنصف عدد اللاجئين، أما النصف الآخر فقد توزع على مدن وقرى القطاع، حتى غصّت بهم تلك الأماكن.

تتصل الاحتلال الصهيوني من أي استحقاقات لقضية اللاجئين الفلسطينيين، وسعى جاهداً بالتعاون مع الغرب، خصوصا بريطانيا والولايات المتحدة، لطمس هذه المشكلة، عن طريق العمل على توطين اللاجئين خارج فلسطين، وبخاصة في البلدان العربية. وقد برزت منذ العام ١٩٤٩ مشاريع توطين عديدة، بعضها بريطاني، والبعض الآخر أمريكي وإسرائيلي، وظهرت اقتراحات لتعويضهم وإيجاد فرص عمل لهم لدمجهم في اقتصاديات الدول التي تستضيفهم ورفع مستوى وضعهم المعيشي.

لم تكن الثورة المصرية[١] التي قامت في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قادرة على أن تلعب دوراً سياسياً حاسماً على صعيد المسألة الفلسطينية، وكانت قضية فلسطين من القضايا المؤجلة بالنسبة للحكومة المصرية، وذلك لطبيعة المشكلات والتحديات التي واجهت الثورة الوليدة، لذا كانت الانعكاسات المباشرة للثورة المصرية على مجمل القضية الفلسطينية، وعلى وضع قطاع غزة بالذات محدودة.

وفي سنة ١٩٥٣، وافقت الحكومة المصرية، بعد شهور من المفاوضات التي أجرتها مع الأونروا، على مشروع يقضي بتوطين نحو ١٢ ألف أسرة من لاجئي قطاع غزة على أراضٍ في شمال غرب صحراء سيناء بعد جعلها صالحة للزراعة، وقد اعتُبر ذلك المشروع من أكثر مشاريع توطين اللاجئين الفلسطينيين خطورة، لأنه تضَمّن تصوّراً شاملاً لكيفية تنفيذه، ولعزم الحكومة المصرية ووكالة الأونروا على إنجاحه، غير أن الأحداث التي اندلعت في قطاع غزة في مارس ١٩٥٥، والتي تفجرت بعد شن غارة صهيونية على معسكر للجيش المصري في مدينة غزة، حيث شهدت مخيمات القطاع تعبئة جماهيرية

---

(١) قام تنظيم الضباط الأحرار في الجيش المصري، بزعامة اللواء محمد نجيب، وقيادة البكباشي جمال عبد الناصر، بانقلاب مسلح، ونجح في السيطرة على البلاد، وأجبر الملك على التنازل عن العرش، ومغادرة البلاد في ٢٦ يوليو ١٩٥٢، ثم ألغيت الملكية، وأعلن عن قيام النظام الجمهوري في ١٨ يونيو ١٩٥٣.

وتظاهرات حاشدة ضد مشاريع التوطين، عكست توق اللاجئين للعودة، ورفضهم حياة البؤس، واستعدادهم للتضحية والكفاح بشتى السبل وفي مقدمتها العمل الفدائي.

وقد أدت الهبّة إلى استجابة الرئيس جمال عبد الناصر[١] للتنازل عن مشروع التوطين ووضعه جانباً، وساهمت في إبراز قضية اللاجئين بوصفها قضية سياسية ونضالية، لا إنسانية فحسب.

وقد كان للشيوعيين في قطاع غزة في تلك الفترة دوراً رئيساً في كشف مؤامرة التوطين وفضحها وتحريض الجماهير على التصدي لها، فهم الذين هندسوا وفجروا انتفاضة مارس التاريخية، ضد مشروع إسكان وتوطين اللاجئين في شبه جزيرة سيناء وأسقطوه.

في مساء ٢٨ فبراير ١٩٥٥، قامت وحدة من القوات الصهيونية المتسللة بنسف محطة المياه ومهاجمة بيت مدير محطة سكة حديد غزة، وعند "البوليس الحربي" وسط القطاع، استطاعت وحدة أخرى المباغتة بالرشاشات والقنابل اليدوية والهاون، وانصرفت وحدة ثالثة إلى المرابطة على طريق "النجدات" بعد أن ثبتت الألغام فيها، وكانت الخسائر الإجمالية الناتجة عن الهجوم ككل ٣٩ شهيداً، و٣٣ جريحاً[٢].

كان الهجوم يستهدف الضغط على الجماهير الفلسطينية للقبول بمشروع التوطين، وكان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، فانفجر القطاع احتجاجاً على المذبحة،

---

(١) ولد في الإسكندرية بتاريخ ١٩١٨/٠١/١٦، شارك في حرب فلسطين ضد العدو الصهيوني سنة ١٩٤٩، وذلك في عهد الملك فاروق، وحوصر هو ومجموعة من رفاقه في "الفالوجا" أكثر من أربعة أشهر، قام مع مجموعة من ضباط الجيش عرفوا باسم الضباط الأحرار بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وتولى رئاسة جمهورية مصر العربية بعد تنحية محمد نجيب عن الحكم في نوفمبر ١٩٥٤، أقام وحدة ما بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨، وبعد هزيمة ١٩٦٧، أعلن عبد الناصر تنحيه من منصبه إلا أن المظاهرات خرجت في العديد من مدن مصر و خصوصا في القاهرة طالبته بعدم التنحي عن رئاسة الجمهورية، عند توليه الرئاسة اعتبر القضية الفلسطينية على رأس أولوياته، آخر مهام عبد الناصر كانت الوساطة لإيقاف أحداث أيلول الأسود بين الحكومة الأردنية والمنظمات الفلسطينية في قمة القاهرة سبتمبر ١٩٧٠، حيث عاد من مطار القاهرة بعد أن ودع أمير الكويت، بعدها داهمته نوبة قلبية، وأعلن عن وفاته في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، عن عمر يناهز ٥٢ عاماً.

(٢) حسين أبو النمل، قطاع غزة (١٩٤٨– ١٩٦٧)، تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية، ص٩١.

خصوصاً بعد معرفة الناس بأن المغيرين قد ساروا على أرجلهم مسافة ثلاثة كيلومترات، ذهاباً وإياباً، وليس هناك من يردعهم.

لم تقم الحكومة المصرية بعمل ملموس يذكر بعد هذا الهجوم، وترافق هذا الموقف الغامض للثورة المصرية، والذي كان مثار الشكوك في قطاع غزة، مع موقف قمعي اتخذته الثورة تجاه المنظمات السياسية القائمة في القطاع[١].

شهد قطاع غزة شبه حالة تمرّد على الإدارة المصرية، وفي الأول من مارس ١٩٥٥، نظّم الشيوعيون مظاهرات عارمة في كافة أرجاء القطاع، وحملت هذه التظاهرات شعار "لا توطين ولا إسكان، يا عملاء الأمريكان"، وهتفت ضد مشروع التوطين، وطالبت بإقامة جيش وطني فلسطيني لحماية الحدود، وإطلاق الحريات العامة للجماهير، وفي المنطقة الوسطى، في مخيمات النصيرات والبريج والمغازي ودير البلح اندلعت مظاهرات حاشدة، وكان الشيوعيون على رأس هذه المظاهرات، التي اتجهت إلى مقر الحاكم العسكري في دير البلح واستطاعوا بالقوة الإفراج عن الشباب الذين اعتقلوا بسبب مشاركتهم في المظاهرات، وفي تظاهرة أخرى انطلقت في شارع عمر المختار في مدينة غزة قادها الرفيق معين بسيسو، سقط من جرائها الشهيد حسني بلال[٢]، ويقول معين بسيسو واصفاً ذلك المشهد "ظهرت البنادق في أيدي المباحث والمخابرات، البنادق التي

---

(١) بدأت الغارة على منطقة البوليس الحربي وسط قطاع غزة، مساء يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥، إذ اجتازت قوة مظلات إسرائيلية بقيادة أريل شارون ما يسمى خط الهدنة إلى داخل القطاع في عملية سميت بالسهم الأسود، قامت مجموعة من تلك القوة بنسف محطة المياه، وأخرى أغارت على مسكن مدير محطة سكة حديد غزة، وهوجم معسكر القوات المصرية القريب من المحطة، وطلب قائد المعسكر المساعدة من أقرب موقع عسكري مصري (البوليس الحربي)، وبالفعل أسرعت الشاحنات الناقلة للجنود لتلبية النداء، فوقعت القوة القادمة في الكمين الذي أعده الصهاينة في الطريق، وسقط ٣٩ شهيداً و٣٣ جريحاً، واعتبر الصهاينة أن ما قاموا به هو عمل بطولي، لم يكن أحد يتوقع أن تؤدي هذه العملية العسكرية المحدودة إلى تحول كبير في الأحداث السياسية والعسكرية في الشرق الأوسط، وبالفعل، صدر قرار من مجلس الأمن بإدانة الهجوم الإسرائيلي، وأعلن الزعيم جمال عبد الناصر أن الهجوم الصهيوني على غزة سوف تكون نقطة تحول في تاريخ المنطقة، وبالفعل تم إبرام صفقة الأسلحة السوفييتية الشهيرة في سبتمبر ١٩٥٥، وهى الصفقة التي غيرت ملامح الشرق الأوسط ودول العالم الثالث، حيث اتجهت كافة الدول وحركات التحرر بعدها للتسلح من الكتلة الشرقية التي قادها الاتحاد السوفييتي.

(٢) أحد كوادر الحزب الشيوعي الفلسطيني، ويعد أول شهيد وطني ضد مشاريع التوطين، ولد في مدينة المجدل عام ١٩٢٨، وتلقى تعليمه الأساسي في كتاتيبها، نزح مع عائلته إلى حي الفواخير بمدينة غزة إبان نكبة ١٩٤٨.

كانت مريضة عام ١٩٤٨ ضد الصهاينة، ولم تظهر حينما أغار الصهاينة على مخيم البريج عام ١٩٥٣(١)، ولا حينما أغاروا على محطة السكة الحديد في غزة عام ١٩٥٥، لقد ظهرت الآن لتعترض طريق تظاهرة من الطلاب والمدرسين والفلاحين والعمال(٢)".

حاولت الإدارة المصرية إجهاض التحرك الجماهيري عبر مختلف الأساليب، وتصدت للمظاهرات بالقوة وأطلقت الرصاص على المتظاهرين، إلا أن التظاهرات تصاعدت أكثر فأكثر، وحملت شعارات معادية للعدوان الصهيوني والتوطين، على اعتبار أن العدوان والتوطين وجهان لعملة واحدة، ونددت التظاهرات بتقاعس الإدارة المصرية عن حماية أهل القطاع، واستمر طوفان المظاهرات في القطاع ولم تهدأ الجماهير الغاضبة إلا بعد أن حضر جمال عبد الناصر إلى غزة سراً في ١٢ مارس ١٩٥٥، حيث ألقى كلمة في مدرسة الزهراء أكد فيها بأنه لن يسكت على العدوان الصهيوني، كما تم الإعلان عن سقوط مشروع التوطين وقبره إلى الأبد(٣).

انتهت التظاهرات التي اندلعت في كافة مدن وقرى ومخيمات القطاع والتي عرفت باسم "انتفاضة أذار" بإسقاط مشروع التوطين، وبإسقاط مجموعة من المفاهيم السياسية الرائجة بصدد القضية الفلسطينية عامةً، وبشأن حل مشكلة اللاجئين خاصة، ونقلت القضية الفلسطينية من قضية مؤجلة إلى قضية متفجرة لم يعد ممكناً تجاهلها، وقامت السلطات المصرية بالاستجابة العملية للمطلب الجماهيري الدائم في قطاع غزة، وأعلنت عن فتح باب التطوع لإنشاء جيش تحرير للفلسطينيين في القطاع، وأوكلت أمر تنظيم المتطوعين في القطاع إلى المقدم مصطفى حافظ، أحد ضباط المخابرات المصرية الذي كان يعمل منذ فترة في قطاع غزة، وكانت كلمة "فدائيين" قد دخلت القاموس السياسي لقطاع غزة خلال تلك الفترة، وقد كان للفدائيين المتطوعين دورهم في حرب ١٩٥٦، وفي مراحل لاحقة، وبعد قيام منظمة التحرير الفلسطينية، كانوا عماد جيش التحرير الفلسطيني

---

(١) في ليل ١٩٥٣/٠٨/٢٨عبرت قوة صهيونية من الوحدة ١٠١ خط "الهدنة" عن طريق وادي غزة إلى مخيم البريج تحت جنح الظلام وعاثت فيه قتلاً ودماراً، وقد انقسمت القوة إلى ثلاث مجموعات تسللت إلى المخيم من ثلاث جهات ثم التقت في منطقة "الحَمّام" حيث ارتكبت مجزرة وحشية استخدمت فيها القنابل اليدوية والمولوتوف والأسلحة الرشاشة، وذهب ضحيتها العشرات من أبناء المخيم العزّل.

(٢) معين بسيسو، دفاتر فلسطينية، ص ٥٨.

(٣) غازي الصوراني، قطاع غزة (١٩٤٨ – ١٩٩٣)، ص ٢٥.

في قطاع غزة[1]، وشكّل عملية تصعيد جديدة للحالة الجماهيرية في القطاع، وقد استمر نشاط الفدائيين إلى أن تمكن العدو الصهيوني من اغتيال المقدم مصطفى حافظ بواسطة طرد متفجر أدى إلى استشهاده خلال عدوان ١٩٥٦، وإلى اعتقال نحو ٤٠٠٠ عنصر من الفدائيين ومن الجنود المصريين، وتم إعدام العشرات من الفدائيين، وقتل ٢٧٥ مدنياً فلسطينياً في أثناء اجتياح العدو الصهيوني لمدينة خانيونس[2]، بعدها تراجع نشاط الفدائيين، بعد أن وقع قطاع غزة لعدة شهور تحت وطأة الاحتلال الصهيوني، وفي تلك الفترة تعرّض الأهالي لأبشع أشكال القمع والإرهاب الدموي، ونفّذت خلالها قوات العدو الصهيوني سلسلة من المجازر الجماعية بحق المدنيين العزل، وبلغ عدد الشهداء أكثر من ألف شهيد، وعدد مماثل تقريباً من الجرحى والمفقودين، واتسعت هذه الجرائم لتشمل جرائم الاغتصاب والسلب والنهب والتعذيب.

وفي مارس ١٩٥٧، وبعد صدور قرار من الأمم المتحدة بانسحاب القوات "الإسرائيلية" من قطاع غزة، تسلمت قوات الطوارئ الدولية مهمة إدارة الأوضاع في قطاع غزة، كان مقترحاً لها أن تستمر لمدة عام كفترة مبدئية لعملها، وبعد أسبوع واحد فقط، وبسبب تفجّر الأوضاع في غزة، انسحبت القوات الدولية وأخذت مواقعها على "خطوط الهدنة"، وعادت من جديد الإدارة المصرية لقطاع غزة.

جاء عدوان ١٩٥٦، واجتياح العدو الصهيوني لقطاع غزة ليثبتا بالملموس أن مجابهة "إسرائيل" ليست بالأمر السهل، وتحتاج إلى فترة طويلة من الإعداد والتجهيز، وقد أتى شعار " الوحدة العربية طريق لتحرير فلسطين" خير معبّر عن القناعة القائلة بضرورة الإعداد والحشد قبل المعركة الفاصلة، وقد عكست هذه القناعة نفسها على مجمل المفاهيم والنشاطات السياسية التي شهدها قطاع غزة طيلة المرحلة اللاحقة[3].

---

(١) حسين أبو النمل، قطاع غزة (١٩٤٨– ١٩٦٧)، تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية، ص ١١٦.

(٢) يزيد صايغ، الكفاح المسلح والدولة الفلسطينية، الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٤٩– ١٩٩٣)، ص ١٢٤.

(٣) حسين أبو النمل، قطاع غزة (١٩٤٨– ١٩٦٧)، تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية، ص ١٧٧.

شهدت مرحلة ما بعد عدوان ١٩٥٦، انفراجة كبيرة في العلاقات بين قطاع غزة والإدارة المصرية، وتلاشت هوّة عدم الثقة التي سيطرت على جموع اللاجئين في القطاع بسبب ما اكتنف موقف الثورة المصرية من غموض تجاه قضية اللاجئين واستمرار مشاريع التوطين التي أسقطتها جماهير غزة عنوة، وأصبحت فلسطين عنوان النضال العربي في القضية القومية، وسيطر المناخ القومي على المشهد السياسي العام، وأصبح شعار الوحدة العربية الشعار الأكثر بريقاً بين أوساط الجماهير، وفي هذه المرحلة بدأت حركة القوميين العرب تشق طريقها إلى النور، وكانت النتاج الطبيعي لهذه المرحلة وخير معبّر عنها، وكانت الحركة في شعاراتها السياسية متطابقة أشد التطابق مع شعارات المرحلة، فبمقدار ما كانت شعاراتها صارخة في فلسطينيتها، كانت واضحة كل الوضوح في انتمائها القومي بشعار الوحدة العربية.

في المؤتمر العربي الفلسطيني الأول المنعقد بمدينة القدس في ٢٨ أيار ١٩٦٤، أعلن عن قيام منظمة التحرير الفلسطينية قيادة معبئة لقوى الشعب العربي الفلسطيني لخوض معركة التحرير، ودرعاً لحقوق شعب فلسطين وأمانيه، وطريقاً للنصر، وانتخب السيد أحمد الشقيري[١] رئيساً للجنة التنفيذية، وإبان زيارة الشقيري للمرة الأولى لقطاع غزة، استقبلته الجماهير المتلاحمة استقبال الأبطال، وخرجت في مشهد مهيب وعفوي لتستمع إلى من أتى إليها ليزف لها بشرى إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية، والجميع يهتف ويصيح "يا شقيري بدنا سلاح"، كان لبعض النخب السياسية موقفاً آخراً أقل حماسة للسيد أحمد الشقيري، وطريقته في إقامة الكيان الفلسطيني، وكان لحركة القوميين العرب في قطاع غزة موقفاً مشابهاً، إذ كانت تنظر بعين الشك لأي عمل يصدر عن جامعة الدول

(١) ولد في بلدة تبنين جنوبي لبنان عام ١٩٠٨، وشارك في أحداث الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦–١٩٣٩)، كان لكتاباته أثر في تأجيج المشاعر الوطنية، اختاره الملوك والرؤساء العرب ليشغل منصب ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية بعد وفاة أحمد حلمي عبد الباقي، وضع الشقيري مشروع الميثاق القومي والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وفي يونيو ١٩٦٤، أعلن عن قيام منظمة التحرير الفلسطينية، وانتخب الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية للمنظمة، بعد أشهر من هزيمة حزيران ١٩٦٧، قدم الشقيري استقالته من المنظمة، وانتخب يحيى حمودة رئيساً بالوكالة، غادر القاهرة إلى تونس احتجاجاً على توقيع الرئيس المصري السادات معاهدة كامب ديفيد، بعد مضي عدة أشهر في تونس أصابه المرض، ونقل إلى عمّان، وتوفي في ١٩٨٠/٠٢/٢٥ عن عمر يناهز ٧٢ عاماً.

العربية، وقد بادر الشقيري بإنشاء معسكر للتدريب العسكري في مخيم النصيرات ليصبح جديراً بثقة الشعب الفلسطيني الذي هتف في استقباله "يا شقيري بدنا سلاح".

وفي مايو ١٩٦٥ صدر قانون بشأن التدريب الشعبي نص على أن الأفراد الذين بلغوا سن الثامنة عشر حتى سن الأربعين ولم يجندوا في القوات الفلسطينية لأي سبب من الأسباب، أن يؤدوا تدريبهم الشعبي قبل نهاية ديسمبر١٩٦٥[١]، وأصبح الخروج من القطاع، أو الالتحاق بالوظيفة العمومية، أو غيرها من الخدمات مشروطاً بالحصول على شهادة التدريب الشعبي.

رافق ولادة منظمة التحرير الفلسطينية زخماً شعبياً واسعاً، ومع ذلك فقد كان الشقيري في حالة صدام مع جميع القوى السياسية المنظمة، وكان يرى أن أمامها خياراً واحداً هو الذوبان في منظمة التحرير، إذ لا مبرر لوجودها بعد قيام المنظمة، وتزامنت هذه المواقف مع الحملة الإعلامية التي وظّفتها الإدارة المصرية في قطاع غزة، للضغط على هذه القوى لإدخالها تحت عباءة منظمة التحرير، وبالتالي تحت عباءة الإدارة المصرية أيضاً، وقد وُجّهت هذه الحملة تحديداً ضد حركة القوميين العرب، التي كانت تمثل التنظيم الأكبر الذي يمتلك ثقلاً وامتداداً جماهيرياً في قطاع غزة.

وفي مؤتمر جماهيري عقد في صيف ١٩٦٦، عرف بمؤتمر المصالحة دعت له الإدارة المصرية، وحضره مندوبون عن منظمة التحرير وعن القوى والحركات السياسية الفاعلة في قطاع غزة، ردّت حركة القوميين العرب على طلب الشقيري، بضرورة توحيد أداة الثورة الفلسطينية، وتوحيد النضال الفلسطيني تحت برنامج واحد، كما حدث في كافة الثورات التحررية، وأعلنت رفضها القاطع حل نفسها، وأثناء إلقاء مندوب حركة القوميين العرب لهذه التصريحات انسحب الحاكم الإداري العام من المؤتمر معرباً بذلك عن احتجاجه على هذه التصريحات، وبهذا فشل مؤتمر المصالحة الذي رعته الإدارة المصرية.

---

(١) حسين أبو النمل، قطاع غزة (١٩٤٨– ١٩٦٧)، تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية، ص ٢٢٩.

كانت جماهير قطاع غزة عامة على علاقة غير ودّية مع الإدارة المصرية ابتداءً من الحاكم العام مروراً بطاقمها الإداري وانتهاءً بصغار موظفيها، الذين كانوا محل انتقادات متعددة، بدءاً بالرشوة والفساد وانتشار البيروقراطية المستبدة، والأساليب البوليسية التي كانت تدار بها الأمور، ولم يكن الموقف نفسه من القيادة الناصرية، التي مثّلت للجماهير في قطاع غزة القيادة التاريخية للنضال العربي.

في تلك الفترة جرى انتخاب الوحدات الأساسية للتنظيم الشعبي التابع لمنظمة التحرير، حيث عُرف عن المنظمة أن العملية الديمقراطية فيها تقف عند حدود معينة، ولا يمكن لها أن تبلغ حدود التأثير في أشخاص قيادة المنظمة، أو سياسة عملها، والذي ساعد في انجاز انتخابات التنظيم الشعبي هو الاعتقاد السائد لدى الشقيري بأن عدد المؤيدين لخصومه السياسيين لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، وأنهم قلة ومن السهل تجاهلهم وتجاوزهم، وخير دليل على موقفه هذا، تجاهله الكلي لهم في قطاع غزة، خصوصاً عند اختياره لممثلي القطاع في المجالس الوطنية الفلسطينية، وقد شكّلت نتائج الانتخابات صدمة كبيرة لمنظمة التحرير وللإدارة المصرية، بعد انتصار أعضاء حركة القوميين العرب في هذه الانتخابات، وشكّل نجاحها الساحق في الانتخابات عنصر لجم لأي إجراءات قمعية يمكن أن تلجأ إليها الإدارة المصرية، فتصفية القوميين العرب كانت تعني صداماً مع قطاع واسع من الجماهير، بل أغلبية الجماهير، خصوصاً وأن الإدارة المصرية كانت تفتقد الغطاء السياسي التي كانت تستظل به عند قمعها لأي قوة سياسية بعد أن سُحبت ورقة منظمة التحرير من يدها، وأصبحت في يد القوميين العرب بعد انتصارهم في انتخابات التنظيم الشعبي[١].

عانى قطاع غزة من تقلبات سياسية وعسكرية جمّة في سنوات ما بعد النكبة، ولم تكن الأوضاع الاقتصادية لأهالي القطاع أحسن حالاً، فكل ما كانت تقدمه "الأونروا" من مساعدات ومعونات تموينية للاجئين الفلسطينيين في القطاع لم يكن كافياً لسد حاجات الأهالي بعد أن انقطعت مواردهم ومصادر دخلهم بعد النكبة، وفي قطاع غزة الذي يُعرف

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٤٦.

بضآلة موارده الاقتصادية وندرتها، تكدس الآلاف من اللاجئين المشردين في المخيمات لتنهشهم قسوة الحياة وضنك العيش والفقر المدقع والبطالة.

كانت بيوت المخيمات عبارة عن مبانٍ بسيطة، ضيقة ومتراصة، بنيت من الطوب والطين ومسقوفة بالقرميد، ولا يزيد عدد الغرف في المبنى الواحد عن غرفة أو غرفتين، يتكدس فيهما عادة ما بين ثمانية إلى عشرة أفراد، وكانت تخلو من المرافق الصحية، ويقضي اللاجئون حاجتهم في مرافق عامة أنشأتها "الأونروا" لهذا الغرض في أطراف الشوارع العامة في المخيم، وكانت المخيمات تفتقر إلى تمديدات المياه، فقد كان الأهالي يعتمدون على "طرمبة" واحدة كانت تصطف أمامها طوابير من النساء للحصول على الماء، أما شوارع المخيمات، فهي عبارة عن أزقة وممرات ملتوية تم توسيع بعضها عنوة، على حساب بعض البيوت التي كان يهدمها العدو الصهيوني بعد اشتداد ضربات المقاومة، وذلك ضمن سياسة القمع والعقاب الجماعي التي كان يتبعها الاحتلال بهدف القضاء على ظاهرة الفدائيين.

بعد تسعة عشر عاماً من النكبة، جاءت هزيمة حزيران ١٩٦٧، واحتل العدو الصهيوني قطاع غزة، وظلت هذه المخيمات التي تؤوي مئات الآلاف من اللاجئين بمثابة مرآة تعكس حياة البؤس والشقاء اللذين يرزح تحت أغلالهما الشعب الفلسطيني عموماً، وبقيت شاهداً على امتهان الإنسانية من قبل المحتلين الصهاينة.

وفي ظل هذه الظروف القاسية بدأت تتنامى فكرة مواجهة الاحتلال والتصدي لسياساته القمعية وإزاحة كابوسه عن كاهلهم، فلم يمر يوم على أي من هذه المخيمات إلا وتفرض فيه قوات الاحتلال الصهيوني الحصار ونظام منع التجول "الطوق" الذي قد يستمر لأيام، وعادة ما كان يترافق منع التجول مع حملات تفتيش من بيت لبيت واستدعاءات وعمليات اعتقال وتعذيب وهدم بيوت وفرض غرامات مالية باهظة وتهجير وإذلال.

في هذا المناخ المتخم بالتشرد والقهر والفقر والبؤس، ولدت تجربة الفدائي الذي حمل السلاح وتزنر بالقنابل، وحمل روحه على كفه ليذود عن كرامة المخيم، ويلقن العدو

الصهيوني دروساً في البطولة والتضحية والفداء، فإما "الوطن أو الموت[(١)]"، هذا الشعار الذي حمله الفدائي بين ضلوعه، وكتبه على أخمص بندقيته ليتوارثه من بعده رفاقه الأبطال جيلاً بعد جيل، ولتبقى الثورة مستمرة وجذوة المقاومة مستعرة في قلوب كل الأحرار الحالمين بالعودة إلى فلسطين، فلسطين من بحرها لنهرها، فلسطين دون التفريط بذرة تراب من أرضها.

حمل الفدائي سلاحه مؤمناً بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة[(٢)]، وعيش المخيمات وحياة التشرد ليست قدر الفلسطيني، إنما هي محطة من محطات العودة، ولن يكون للاحتلال فيها موطئ قدم، ولن تمطر سماء المخيم إلا لعنات على الجنود الغزاة وعملائه الأنذال، فالمخيم الذي احتضن جثامين الشهداء وصارت قبورهم مشاعل ثورة ومنارات تبشر بالحرية الحمراء، سيظل محتفظاً بين ضلوعه بمآثر هؤلاء الأبطال الذين وهبوا حياتهم من أجل قضية عادلة وقضوا شهداء في سبيلها، وستظل أزقته وشوارعه تحفظ بطولاتهم وتحكيها عجائزه وشيوخه للفتيان، ليتوارثوها جيلاً بعد جيل، وسيبقى المخيم خير شاهد على الحكاية.

---

(١) كلمتان اختتم بهما تشي جيفارا خطابه الذي القاه أمام الأمم المتحدة بنيويورك في ١٩٦٤/١٢/١١، ليؤكد على حق الشعوب في تقرير مصيرها، حتى وإن كلفها ذلك حياتها.

** تشي جيفارا: المناضل الثوري الأممي، الأرجنتيني الأصل ارنستو تشي غيفارا، الذي اشترك في قيادة عدد من الثورات في أميركا الجنوبية، وساهم في الدعوة للتحرر من الاستعمار الغربي والمناداة بمعاداة الإمبريالية الأميركية، وظل في طريقه الثوري حتى استشهاده في بوليفيا في ١٩٦٧/١٠/٠٩.

(٢) من أقوال الزعيم جمال عبد الناصر.

رداً على الهزيمة

في الخامس من يونيو ١٩٦٧، شن العدو الصهيوني حرباً على ثلاث دول عربية، دامت ستة أيام وهُزمت فيها الجيوش العربية هزيمة مخزية، وكان من نتائجها خسائر بشرية ومادية كبيرة، واحتُلت أجزاء واسعة من الأراضي العربية، وتم تدمير العتاد العسكري العربي، وانهار ما تبقى من رهان على الجيوش العربية لتحرير فلسطين، أصبحت فلسطين بالكامل من بحرها إلى نهرها تحت قبضة الاحتلال الصهيوني، خيّم الخوف والإحباط وفقدان الأمل في أوساط اللاجئين الحالمين في العودة.

وقد أرجعت الجبهة الشعبية انتصار العدو الصهيوني إلى سرعة تعبئة الموارد وشموليتها، وإلى المستوى الرفيع من التدريب والقيادة والتخطيط، وإلى التفوق العام في التعامل مع أدوات الحرب الحديثة، كما يكمن التفوق العلمي خلف هذه المزايا[١].

لم تكن مهمات "جيش التحرير" في قطاع غزة واضحة "قبل الحرب"، وقد شحن أحمد الشقيري الضباط المغادرين إلى غزة حماسة، عندما وعدهم أن حرب التحرير قادمة بقوله سنتقدم (من غزة) إلى القدس عاصمة لدولتنا المستقلة، وكانت القيادة المصرية أكثر تواضعاً، إذ أصدرت تعليماتها إلى "جيش التحرير" بالصمود في غزة من ٢٤ إلى ٤٨ ساعة، رغم العديد من الخطط والسيناريوهات التي وضعتها القيادة المصرية للحرب، إلا أنه لم توضع أي منها موضع التنفيذ في أثناء الحرب مع أن وحدات "جيش التحرير" المعزولة قاتلت حتى استسلمت مدينة غزة في ٧ يونيو، وقتل من وحداتها في هذا القتال ١٢٢ جندياً[٢].

دب الرعب في قلوب الأهالي بعد أن دخلت الدبابات الصهيونية إلى قطاع غزة، التي كانت متخفية تحمل الأعلام الجزائرية والأردنية والسورية، خدع الأهالي البسطاء بهذا المشهد بسهولة وخرجت النساء تستقبل الدبابات الصهيونية المموهة بالأعلام العربية

---

(١) يزيد صايغ، الكفاح المسلح والدولة الفلسطينية، الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٤٩– ١٩٩٣)، ص ٣٠٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٢.

بالزغاريد والأعلام الفلسطينيّة على طول شارع صلاح الدين الرئيس، واجه بعض عناصر جيش التحرير نيران دبابات الاحتلال، وخاضوا مقاومة ارتجالية متفرقة استشهد فيها عدد كبير من الضباط والجنود، ومشاهد قصف الدبابات والطائرات الصهيونية في كل مكان، والجثث ملقاة في الشوارع وفي أزقة المخيمات، وسط ذهول سكان القطاع من الهزيمة التي حلت بالجيوش العربية، والتي لم يكن أحد يتوقعها.

خيّم الإحباط واليأس على المشهد العربي بعد الهزيمة، وتنحى الرئيس المصري جمال عبد الناصر عن الحكم، واستقالت الحكومة الأردنية(١)، وفي أغسطس ١٩٦٧، وبعد عودة عبد الناصر عن استقالته تحت الضغوط الشعبية في مصر والعالم العربي، انعقدت قمة عربية في العاصمة السودانية الخرطوم(٢)، ودفعت ظروف الهزيمة باتجاه تبني القمة العربية قرارات "حازمة" مثل إعلان اللاءات الثلاث: لا صلح، ولا تفاوض، ولا اعتراف بإسرائيل، ولذلك وُصفت هذه القمة بأنها كانت الأقوى في تاريخ القمم العربية.

وفي قطاع غزة، سيطر جيش العدو الصهيوني على القطاع بالكامل، بعد ستة أيام من بداية الحرب، وباشر العقوبات الجماعية حيث بدأ بعمليات الدهم والتفتيش، وجمع الأهالي وتحديداً الذكور في المدارس، واعتقل عدداً منهم واقتادهم إلى سجن غزة المركزي(٣).

النصر المتوقع تحول إلى هزيمة مريرة، وكابوس مرعب يخيم على نفوس وعقول عشرات الآلاف من اللاجئين الذين انكسرت فيهم أحلام العودة إلى ديارهم التي هجروا منها بعد النكبة، دفع ذلك الآلاف منهم لمغادرة قطاع غزة والنزوح إلى الخارج، في حين انحاز آخرون لخيار المواجهة وحمل السلاح، وانخرط العديد من الشباب فيما بعد في

---

(١) كان الظرف الداخلي الأردني عشية هزيمة حزيران صعباً، تزامن ذلك مع هجوم عربي مصري سوري تجاه الأردن، وقد زاد الأمر تعقيداً بعد استقالة حكومة وصفي التل، وتشكيل حكومة سعد جمعة الذي لم يكن مشغولاً بالحرب أكثر من انشغاله بضرورة مصالحة الأردن لمصر.

(٢) حضرت القمة كافة الدول العربية باستثناء سوريا التي دعت إلى حرب تحرير شعبية ضد إسرائيل، وقد استطاعت قمة الخرطوم بقراراتها أن تؤكد على أن العرب يستطيعون قطع الطريق أمام إسرائيل والولايات المتحدة الساعيتين لاستغلال ضعف العرب جراء الهزيمة، وترفض الاستسلام رغم حجم التفوق العسكري الإسرائيلي الكبير، والدعم الأميركي الغربي اللامحدود لإسرائيل.

(٣) أنشأه الانتداب البريطاني في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي، وبعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧، استخدمه العدو الصهيوني كسجن ومركز تحقيق للفدائيين والمنتمين لفصائل الثورة الفلسطينية.

صفوف المقاومة، ضمن الخلايا التابعة لـ "حركة القوميين العرب" بتشكيلاتها المتعددة، والتي انبثقت عنها في وقت لاحق "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"، بدأت خلاياها تعمل على إعادة ترتيب صفوفها، وضم عناصر جديدة، وجمع أكبر كمية من السلاح، وبعد أشهر من الهزيمة تمكنت من بناء جهازها العسكري "طلائع المقاومة الشعبية"، مستفيدة من الإمكانيات التسليحية والكفاءات العسكرية المتوفرة بفعل تواجد جيش التحرير الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية قبل الهزيمة، والذي وفّر إمكانيات للبدء بتنفيذ عمليات مسلحة ضد قوات الاحتلال الصهيوني، وإيقاع خسائر كبيرة في صفوفه، دون أن يقابلها خسائر في صفوف الفدائيين خلال تنفيذهم لمهماتهم القتالية، نفذت عدة عمليات عسكرية متفرقة على شكل حرب شوارع استهدفت دوريات الاحتلال، استمرت حتى منتصف السبعينات حيث اعتقل الاحتلال أعداداً كبيرة من مقاتلي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وسقط العديد منهم شهداء.

ومع بداية عام ١٩٦٨، شكلت قيادة الجبهة الشعبية لجاناً خاصة لإدارة العمليات العسكرية في الأراضي المحتلة، وألحقت مسئولية هذه اللجان للقيادة العسكرية، واعتمدت في تشكيلها تقسيماً جغرافياً للمسئوليات التنظيمية والعسكرية، إذ "لا ينبغي الانتظار دوماً حتى تجتمع كافة الظروف للقيام بالثورة، ويمكن للبؤرة الثورية والطليعة المقاتلة أن تفجر هذه الظروف الثورية[١]"، وكانت ضربات الفدائيين وعملياتهم تقوم على نصب الكمائن لآليات ودوريات العدو، وزرع الألغام والعبوات الناسفة، وإلقاء القنابل على حشوداته وآلياته، والاشتباك المباشر مع قواته، واستهدفت هذه الهجمات بشكل رئيس قوات جنود العدو وضباط وموظفي الحكم العسكري، وضرب خط سكة الحديد، وشبكات الكهرباء والمياه، معتمدين على عنصر المفاجأة الذي لعب دوراً حاسماً وفعالاً في إنجاح العمل العسكري، وفي مضاعفة حجم الخسائر في صفوف العدو إلى أقصى درجة ممكنة.

وسرعان ما التحق في صفوف طلائع المقاومة الشعبية المئات من خيرة أبناء شعبنا من العمال والفلاحين والمهنيين والطلاب والمدرسين والأطباء الذين حملوا السلاح معلنين عن انطلاقة شرارة العمل الفدائي المسلح، ومن تحت ركام الهزيمة ومن واقع الفقر

---

(١) تشي جيفارا، كتاب مبادئ حرب الغوار، ترجمة الدكتور فؤاد أيوب، والأستاذ علي الطود، ص ٩.

والمعاناة انتفضت جماهير شعبنا الباسلة في كافة المخيمات والقرى والمدن، معلنة عن بداية مرحلة جديدة، احتضنت فيها جماهير شعبنا البندقية المقاتلة وفتحت للفدائيين قلوبها وبيوتها ووفرت لهم أماكن للاختباء فيها عند محاصرة الجيش ومطاردته لهم، وشكلت درعاً واقياً وعيناً ساهرة على سلامتهم، وتحملت بكبرياء وصمود أسطوري عمليات البطش والتنكيل التي ما انفكت تزداد ضراوة مع ازدياد حدة وشدة المقاومة والعمليات الفدائية.

شعر العدو الصهيوني بأنه بدأ يواجه خطراً متنامياً، وأن عناصر وكوادر ومقاتلي حركة القوميين العرب قد عملوا على إعادة تنظيم قواهم في خلايا مسلحة منظمة، الأمر الذي دفعهم للقيام بحملة اعتقالات واسعة لأعضاء الحركة في يناير ١٩٦٨، وخاصة أن غالبية أسماء أعضاء الحركة ونشاطاتهم كانت موجودة في كشوف الاستخبارات المصرية، التي وقعت في أيدي قوات الاحتلال الصهيوني لدى سيطرته على المراكز والمؤسسات الحكومية في القطاع، وقد طالت هذه الاعتقالات عدداً كبيراً من أعضاء طلائع المقاومة الشعبية، إضافة لكشوف أخرى ضبطت لدى المسئول العسكري لطلائع المقاومة[١]، مما اضطر عدد آخر من الفدائيين للمطاردة، والذين مثلوا في ذلك الوقت النواة العسكرية الأولى للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عند تشكيلها امتداداً لحركة القوميين العرب.

تعرضت مجموعات طلائع المقاومة الشعبية التابعة لحركة القوميين العرب في قطاع غزة لضربات عنيفة في الأشهر الأولى من عملها، إلا أنها استطاعت خلال أقل من ثلاثة شهور ترتيب أوضاعها ومواصلة عملياتها الكفاحية المسلحة ضد العدو الصهيوني، ومع انطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في ديسمبر ١٩٦٧، تصاعدت العمليات العسكرية وتحوّل القطاع معها لجحيم لا يطاق لجنود الاحتلال، لا تجدي معه كل وسائل البطش ومخططات التصفية التي كانت تجد في كل مرة الرد المناسب على يد ثوارنا البواسل.

وبالرغم من حداثة التجربة الكفاحية وتدني مستوى الوعي الأمني لدى الكثير من المقاتلين، إلا أنهم استطاعوا أن يخوضوا حرباً حقيقية مع أجهزة استخبارات العدو، وفي

---

(١) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الدائرة الثقافية المركزية، كتاب المسيرة التاريخية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ص ٦٥.

عام ١٩٦٩، وصل العمل العسكري ذروته، وتضاعف عدد الهجمات الفدائية ضد العدو بشكل كبير، وتحوّلت أسماء العديد من الفدائيين إلى رعب حقيقي لسلطات الاحتلال، وأجهزة استخباراتها وعملائها، وأصبحت مجموعات الفدائيين تدير إلى درجة كبيرة الحياة اليومية للأهالي، وتتولى تسوية النزاعات الداخلية بينهم، وتعقد محاكمات سرية للنظر في قضاياها ومعالجتها، وتنصب محاكمات لمن يشتبه في أنهم مخبرون وعملاء للعدو، وكان الفدائيون يتعاملون بحزم وبعنف شديد مع العملاء الذين كان يجندهم جهاز المخابرات الصهيوني، الشيء الذي اضطرهم صاغرين للاعتراف بسلطة الفدائيين في القطاع، كما وصل الأمر بموشيه ديان أن يصرح بأن الفدائيين يسيطرون على القطاع في الليل وقواته في النهار، وشكل الفدائيون في تلك الفترة حماية لجماهير شعبنا من اللصوص والعملاء.

وفي بداية عام ١٩٧٠، لجأ العدو الصهيوني إلى فتح أبواب العمل لعشرات الآلاف من العمال من سكان المخيمات في "دولة الكيان" وبأجور مغرية نسبياً مستغلاً حاجة الناس وفقرهم، ومستهدفاً بذلك إجهاض الحالة الثورية في القطاع وسلب الثورة مادتها الأساس وهي العمال والكادحين، في المقابل تسخيرهم في تنمية موارده على حساب عرق العامل الفلسطيني الفقير، ولحق ذلك تمييزاً واضحاً في الأجور مقارنة مع العمال الأجانب أو "الإسرائيليين"، حيث تقاضى العمال الفلسطينيون أجراً أقل بنسبة كبيرة مقارنة بالعمال الآخرين، وتصدى الفدائيون بقوة لهذه المؤامرة، وبدأوا بمحاربة هذه الظاهرة من خلال محاولات ثني العمال عن العمل في الداخل، وقاموا برصد الحافلات التي كانت تقل العمال على طول الطريق العام من رفح حتى بيت حانون، وهي تغادر القطاع متجهة إلى الداخل المحتل، وحاولوا إعادتها ومنعها من التوجه شمالاً، مرة بالقوة والتخويف ومرات كثيرة بالتوجيه والاقناع، في المقابل سعوا إلى تقديم بدائل للعاطلين عن العمل عن طريق توفير فرص عمل بديلة في القطاع، إلا أن سوق العمل داخل القطاع لم يكن قادراً على توفير فرص العمل لنسبة كبيرة من العاطلين.

ما كان لافتاً في ذلك الوقت أن الحاكم العسكري في دير البلح كثيراً ما كان يتحدث إلى السكان الذين لديهم مشاكل بأن يذهبوا إلى الفدائي أحمد عمران "حاكم النصيرات"

ليحلها لهم[١]، وكان يشترط على العمال الذين يأتونه لطلب تصاريح للعمل في الداخل المحتل:

- "بدكو تصريح . . !!، أول شي روحوا جيبوا موافقة الحاكم العسكري في النصيرات أحمد عمران، بعدين بعطيكو تصريح!".

كان ذلك بمثابة تحريض على الفدائيين من جانب، كونه يُنمّي لدى الحاضرين شعوراً بأن الفدائيين هم من يقفون في وجه كل من يبحث عن قوت يومه وسد حاجات أبنائه في ظل تنامي الفقر المدقع في المخيمات، ومن جانب آخر هو اعتراف من الحاكم العسكري بقوة ونفوذ الفدائيين في المخيمات.

تصاعدت الثورة في كافة أرجاء قطاع غزة، وبشكل أفقدت العدو السيطرة عليه، وأصبح التفاف الجماهير حول العمل الفدائي شيئاً يلمسه الجميع، وتشهد له المعارك الضارية التي ينفذها الفدائيون، والقنابل التي يلقيها الثوار يومياً على دوريات العدو وجنوده فالمقاتل هو قبل كل شيء ثائر حر يترجم رغبة الجماهير في الخلاص من الاحتلال.

ولفرض سيطرته على القطاع أخذ العدو يلجأ إلى سياسة القتل الجماعي بتفجير القنابل بين الأهالي متهماً الفدائيين بذلك، من خلال طابوره الخامس للإساءة للثورة وللحد من الالتفاف الجماهيري حولها، وقام في تلك الفترة بإعدام عدد من الفدائيين بعد اعتقالهم بدون إثبات أي تهمة ضدهم، ومنهم الرفاق: حريص أبو حية[٢]، وعلي أبو سلطان[٣]، وسميح أبو حسب الله[٤].

استخدم العدو الصهيوني عدة أساليب للحد من الثورة المندلعة في المخيمات وللقضاء عليها، منها سياسة التهجير والإبعاد لتفريغ القطاع من الأهالي، وتقليل الكثافة

---

(١) في مقابلة مع الرفيق حسين أبو نار، وأكدها رفاق آخرين.

(٢) ولد في قرية المسمية في عام ١٩٤٦ ، التحق في صفوف الثورة عام ١٩٦٨ ، واعتقل في منتصف عام ١٩٧٠ ، استشهد بتاريخ ١٩٧٠/٠٧/٢١ ، تم اقتياده مكبل اليدين والقدمين إلى مخيم دير البلح ، وتم إعدامه هناك (سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٣) ولد في مخيم النصيرات في عام ١٩٤٩، هجرت أسرته قسراً من قرية حمامة في نكبة ١٩٤٨، كان قائداً لإحدى المجموعات المقاتلة في النصيرات، استشهد بتاريخ ١٩٧٠/١٠/٠١ (المصدر السابق).

(٤) ولد في مخيم النصيرات في عام ١٩٥٢، نزحت أسرته قسراً من مدينة يافا في نكبة ١٩٤٨، يعتبر من أبرز مقاتلي الجبهة الشعبية في المنطقة الوسطى، استشهد بتاريخ ١٩٧٠/١٠/١٢ (المصدر السابق).

البشرية في المخيمات، فهو يعرف أن الزيادة المضطردة في عدد السكان يستثمرها الفدائيون لصالح الثورة، فالمخيمات هي الحاضنة والخزان الذي تنهل منه وتستمد وجودها وعنفوانها واستمرارها، ورغم كل الإغراءات وطرق الترغيب في الهجرة إلا أن العدو فشل في مخططه وبقيت الثورة مستمرة، وكان يهدف بذلك إلى خلق بيئة ومناخ معادٍ للثورة، بقي الشارع يشهد وبشكل يومي، عمليات تستهدف دوريات العدو، الذي أصبح يحسب ألف حساب لقواته التي تتحرك بدوريات راجلة في شوارع المخيم أو تتحرك في سيارات مكشوفة، فاستبدل آلياته بسيارات مصفحة تماماً، وفي كثير من المرات كانت هذه الدوريات تفاجأ بالقنابل تسقط وسط دورياتها والرشاشات تمطرها بوابل من نيرانها حتى جن جنون العدو، وفي مثل هذه الحالات كان جنود العدو يطلقون النار بشكل عشوائي على المارة وفي جميع الاتجاهات، فيسقط من بينهم شهداء، لم يكتف العدو بهذه التصرفات الجنونية بل كان يقوم بنسف البيوت والمنشآت القريبة من مكان الحادث، بهدف الانتقام من الأهالي ودفعهم للسخط على الفدائيين التي تسببت هجماتهم في تشريدهم ونسف بيوتهم، ففي مخيم المغازي قام العدو بنسف عدد من البيوت تحت إشراف "موشيه ديان" شخصياً على إثر معركتين عنيفتين[١] تكبّد فيهما العدو الصهيوني خسائر فادحة في الأرواح، رغم استخدامه لقوات كبيرة اشتركت فيها حاملات للجنود ودبابات وطائرات طيلة ثماني ساعات كاملة على مرأى من أهالي المخيم.

يذكر "أرييل شارون" الذي تولى قيادة المنطقة الجنوبية[٢]، في مذكراته عن تلك الفترة، بأنه عندما وقف ليواجه مشكلة الفدائيين في قطاع غزة على نحو جدي، لم يكن لديه أي فكرة حول طريقة حلها، وبدأ بدراسة معمقة للمشاكل التي تواجه قواته في القطاع، وكرس شهرين للتردد المتواصل على القطاع وبياراته ومخيمات لاجئيه، وبدأ بالتجوال من منطقة إلى أخرى، ويوماً بعد يوم، وعلى نحو ممنهج فتش كل متر مربع في كل مخيم

---

(١) معركة المغازي الكبرى الأولى بتاريخ ١٩٧٠/٠١/٠٥ والتي استشهد فيها الرفيق القائد محمد أبو النصر وثلاثة آخرين من خيرة المقاتلين، ومعركة المغازي الثانية بتاريخ ١٩٧٠/٠٤/١٨، والتي استشهد فيها الرفيق القائد محمود عليان وثلاثة آخرين من خيرة المقاتلين.

(٢) وهي واحدة من المناطق الإدارية في دولة الكيان، وتضم عدة مدن منها بئر السبع واسدود وعسقلان إضافة لقطاع غزة.

لاجئين وفي كل بيارة حمضيات، كان يصعب على قواته اجتياز البيارات الكثيفة التي كانت تشكل مخابئ مثالية للفدائيين، والذين كانوا يتحصنون في غرف محصنة تحت الأرض، وفي بيوت في قلب مخيمات اللاجئين، واعتمد في تنفيذ خطته للقضاء على ظاهرة الفدائيين في القطاع على جنود من وحدات المشاة من ذوي المستويات الجيدة، مطلقاً على حملته (حرب عصابات مضادة للإرهاب)[١]، أمضى شارون في قطاع غزة سبعة شهور متواصلة، كان فيها معلماً ومدرباً لقواته بلا انقطاع وفي حركة مستمرة، وقسّم مخيمات القطاع إلى مربعات صغيرة وأعطى كل منها رقماً معيناً، وأوكل مهمة كل مربع منها لزمرة من ضباطه وجنوده تكون مهمتها الأولى هي الكشف عن الفدائيين وتصفيتهم.

ومع بداية عام ١٩٧١، بدأ العدو سياسة ترحيل أسر شهداء ومعتقلي الجبهة الشعبية، أو من يقدمون مساعدات للفدائيين إلى جنوب سيناء في معسكرات اعتقال أعدت لهذه الغاية، لإذلال هذه الأسر وقتل روحها المعنوية، وللحد من العمل المسلح، مستخدماً في ذلك كل أساليب العنف والتهديد، لتنفيذ مشروع التهجير وتفريغ القطاع من السكان بالقوة، ومن أجل تقويض الحاضنة الشعبية للثورة والرئة التي يتنفس منها الفدائيون، تمهيداً للقضاء على الثورة، وبالتالي يصبح قادراً على ضم القطاع لكيانه الغاصب وتهويده بالكامل عن طريق استقدام إسرائيليين للعيش في المستوطنات التي أقامها في القطاع.

ورداً على هذه السياسات الفاشية الخطيرة قامت الجبهة الشعبية في قطاع غزة بتوزيع بيان سياسي، تفضح فيه مؤامرة العدو بتهويد القطاع، وطالبت فيه الجماهير بالتصدي لهذه المؤامرة بكل قوة، ودعت إلى الإضراب العام والمظاهرات الشعبية لإسقاطها[٢]، وقد قام مقاتلو الجبهة بشن عدة هجمات بطولية على دوريات العدو أثناء قيامهم بترحيل العائلات، وبحسب إحصائية وردت في صحيفة صهيونية بتاريخ ١٩٧١/٠٩/٠٦، تحت عنوان حصيلة المرحلة الأولى من خطة الاقتلاع والنفي في قطاع غزة، التي نفذت في مخيمات رفح والشاطئ وجباليا، بهدف شق الطرق الواسعة، وتخفيض

---

(١) مذكرات أرييل شارون، تحرير دافيد شانوف، ترجمة أنطوان عبيد، ص ٣٢٧.

(٢) سجل الخالدين، الجزء الثاني، ص ٣١.

عدد سكان المخيمات في القطاع، بلغ عدد البيوت التي قام العدو الصهيوني بهدمها ونسفها في القطاع ١٨٥٧ بيتاً، وتهجير ١٩٠٥ عائلة[١].

وجه العدو بهذه السياسة ضربات قاسية لأهالي المخيمات ما بين التهجير والتجويع ونسف البيوت واعتقال المئات والزج بهم في السجون وممارسة أبشع أنواع التعذيب بحقهم، ولكن كل هذه الضربات التي لا يعرف مدى قسوتها وحقيقتها المرعبة إلا جماهير شعبنا في المخيمات، لم تنل من جذوة المقاومة التي بقيت مستعرة، وتصاعدت وتيرة العمليات العسكرية في القطاع، وارتفع فيها عدد القتلى والجرحى في صفوف العدو الصهيوني، حتى جعل القطاع يكاد يكون محرماً على جنوده، مما اضطره أن يفرض حظراً على الإسرائيليين بعدم الذهاب إلى قطاع غزة "قطاع القنابل" وفرض على كل صهيوني يدخل القطاع بأن يكون مسلحاً، كما طلب منهم إعلام السلطات بالجهة التي سيتوجهون إليها لتأمين حماية لهم من بطش الفدائيين[٢].

في تلك الفترة شنت قوات العدو أشد حملات العنف والتصفية وحشية وبربرية ضد جماهير شعبنا، وضد ثورته الباسلة في ظل صمت مُذِل على جميع الجبهات العربية، مما وفر للعدو فرصة تاريخية للاستفراد بالقطاع وللانقضاض على ثورته من خلال البدء بحملته البربرية بعد مجازر أيلول الأسود عام ١٩٧٠ مباشرة، واستمرت حتى نهاية عام ١٩٧٢، وسميت هذه الحملة بـ "طنجرة الضغط"، والتي تعني فيما تعنيه إحكام الطوق على سكان قطاع غزة، وفرض إجراءات عقابية على كل من يثبت تورطه في التعاطف مع الثورة أو تقديم مساعدات للفدائيين، واستمرار الضغط على الأهالي، وتضييق الخناق عليهم لرفع الراية البيضاء، وقد استقدم العدو الصهيوني لهذا الغرض قوات من حرس الحدود التي كانت تعمل على الحدود مع مصر أثناء حرب الاستنزاف[٣]، والتي تفرغت ولم يعد لها عمل هناك بعد موافقة مصر على مبادرة روجرز، فقامت هذه القوات بأبشع

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٣١.

(٣) الاستنزاف هو مصطلح أطلقه الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر على الحرب التي اندلعت بين مصر والكيان الصهيوني على ضفتي قناة السويس، بدأت الحرب في ١ يوليو ١٩٦٧، واستمرت لمدة ثلاث سنوات.

عملية مطاردة وقتل لجماهيرنا وثوارنا في القطاع وارتكبت مجازر جماعية للسكان، وضاعفت من عمليات هدم منازلهم وترحيلهم ووضعهم في معسكرات اعتقال في سيناء لاستكمال مشروع تفريغ القطاع من جماهيره الباسلة التي التصقت بالثورة حتى الرمق الأخير، وتعتبر عملية "طنجرة الضغط" أكبر حملة إبادة قام بها العدو بحق الأهالي في قطاع غزة لاقتلاع ثورتهم وانهائها.

حرص شارون على تدريب قواته على الحركة الدائمة، وألا يدَعوا الروتين يسيطر عليهم، والقاعدة العامة التي يجب أن يتسلحوا بها هي أن يخلقوا كل يوم وضعاً جديداً بالنسبة إلى كل فدائي، تم تدريبهم جيداً ليس فقط على السلاح الأبيض، بل أيضاً على تقنيات المطاردة، وكان كل واحد منهم يحمل في "سيره" حبل، الغاية منه كشف إحدى الخدع التي يفضلها الفدائيون آنذاك، كانوا يبنون في البيت حائطاً إضافياً ليختبئوا في الفراغ المحدث خلفه بين الحائط الأصلي والحائط المضاف، ويدخلوه من السقف، فبعد أن يقذف الفدائي قنبلته، كان يختفي في أحد هذه البيوت، فيطوق جنود الاحتلال البيت ويفتشونه عبثاً، وهنا كان الحبل يدخل في اللعبة، كان الجنود يستعملونه لأخذ المقاسات الخارجية والداخلية للبيت وعندما يوجد فرق بين المقاسين ينحصر العمل في إيجاد المكان السري الذي كان يحتمي به الفدائيون، لم يلجأ الجنود لقياس كل البيوت إذ كان يكفي انتقاء بعضها بشكل عشوائي، فكان الخبر ينتشر بسرعة فيعلم به الفدائيون ليضطروا إلى مغادرة مخابئهم في محاولة للهرب، فينكشف أمرهم ويسهل مطاردتهم[١].

لم يقف الأمر عند هذا الحد، فبعد أن تمركزت دوريات جنود العدو داخل المخيمات، أصبح الجنود أكثر دراية بأوضاع المخيمات، وراحوا يستخدمون حيلاً لا تخطر ببال أحد لملاحقة الفدائيين والقضاء عليهم، فقد كانوا يستقرون فوق أسطح المباني ليراقبوا عن كثب التحركات داخل أحواش البيوت وخارجها، كانت دورياتهم تتسلق الأشجار، ويمكثون عليها لساعات لمراقبة الطرق والأزقة المؤدية إلى المخيمات، فيدب الذعر في أرجاء المخيم، وتصل الأخبار إلى الفدائيين الذين يصبحون أكثر يقظة وقلق عند تحركهم من وإلى المخيم، وبالفعل نجحت قواته في القضاء على عدد كبير من

---

(١) مذكرات أرييل شارون ، تحرير دافيد شانوف ، ترجمة أنطوان عبيد، ص ٣٢٩ .

الفدائيين والمطاردين المطلوبين للعدو، واكتشفت العشرات من مخابئ الأسلحة والأوكار والملاجئ السرية الخاصة بالفدائيين في المخيمات والبيارات، يقول شارون في مذكراته عن تلك الفترة التي تحسن فيها أداء جنوده بحسب تقديره: "كنا نتكبد خسائر، لكن الخط البياني للإرهابين المستهدفين الذين تم تصفيتهم صعد كالسهم، وسرعان ما بلغ حداً ينذر بالخطر عندهم" [١].

استغل العدو الصهيوني وقف إطلاق النار وتجميد خطوط المواجهة على قناة السويس في صيف ١٩٧٠، ثم استغل اندلاع المواجهات الدامية مع قوات النظام في الأردن في سبتمبر ١٩٧٠، وبعدها في يوليو ١٩٧١، والتي كانت بمثابة استنزاف وتصفية للثورة الفلسطينية على الساحة الأردنية، لشن حملة متواصلة ضد الفدائيين في قطاع غزة، وكان إجبار المقاومة على الخروج من الأردن باعثاً مشجعاً على تصعيد الحملة الصهيونية في قطاع غزة.

تفرّغ العدو الصهيوني وكثّف من جهوده للقضاء على العمل الفدائي في القطاع، وضاعف من قواته العسكرية هناك، وأصبح قطاع غزة كله بمثابة ثكنة عسكرية، وازدادت مراكز العدو ونقاطه العسكرية الثابتة في داخل المخيمات والقرى والمدن، بالإضافة إلى الدوريات المتحركة المحمولة والراجلة في كل شارع وزقاق على مدار ساعات اليوم، وأصبحت مخيمات النصيرات والبريج والمغازي والشاطئ وجباليا تحديداً تخضع لحصار وفرض حظر التجول باستمرار، حيث يمنع خروج الأهالي منها إلا بعد الحصول على تصاريح خاصة.

وضمن خطة شارون للقضاء على العمل الفدائي في القطاع، فقد عمد إلى توسيع الشوارع داخل المخيمات تسهيلاً لعمل دورياته، لخدمة الأغراض الأمنية للعدو وتمكينه من اكتشاف الفدائيين فيها من مسافات بعيدة، ثم مطاردتهم بسهولة، لأن الممرات الضيقة داخل المخيمات كانت تساعد الفدائيين في التخفي والتحرك بعيداً عن أعين عملائه وقواته، واقتضى ذلك إلى هدم عدداً كبيراً من البيوت وإعادة إيواء سكانها في أنحاء أخرى من غزة وسيناء أو في مخيم الدهيشة في الضفة الغربية، وأعطى أوامره باقتلاع مساحات

---

(١) سجل الخالدين، الجزء الثاني، ص ٣٣٠.

كبيرة من أشجار البيارات المحاذية لهذه الطرق، لكي يوفر مسافة آمنة لدوريات العدو وآلياته ويسهل بذلك اكتشاف الفدائيين عن بعد، وبسبب كثرة العمليات وخاصة زرع الألغام في الطرق الترابية، قام الصهاينة بتعبيد ورصف بعض الطرق، كما قاموا بفتح شوارع واسعة داخل البيارات كثيفة الأشجار حتى يسهل على دورياتهم ملاحقة الفدائيين فيها بعربات جيب صغيرة للمطاردة[١]، كما سعى إلى إقامة عدد من المستوطنات اليهودية كنوع من العوائق لتقسيم قطاع غزة، "إذا أردنا في المستقبل أن نسيطر على هذه المنطقة بأي شكل كان، علينا أن نؤمن منذ الآن وجوداً يهودياً، وإلا فلا مبرر ولا قيمة لبقائنا هنا في الظروف الصعبة[٢]"، وفي مارس ١٩٧١، استخدم شارون سياسة العصا والجزرة، فطلب من الفدائيين تسليم أنفسهم، وفي ذات الوقت عرض على الأهالي إمكانية تقديم خدمات أفضل لهم، وتوفير حياة طبيعية لهم من خلال فصل الشئون المدنية عن الحكم العسكري.

في أغسطس عام ١٩٧٢، أعفى العدو الصهيوني حرس الحدود من مهماتهم في قطاع غزة بعد ١٩ شهراً من بدء عملياتهم هناك[٣]، وأعلن بتبجح نجاحه في القضاء على العمل الفدائي في القطاع، وفي تلك الفترة أصبحت ظروف العمل الفدائي صعبة ومعقدة للغاية، ومع ذلك نشطت بعض المجموعات القتالية التي كان يقودها الرفيق محمد الأسود "جيفارا غزة"، وواصلت عمليات المقاومة من جديد برغم كل الضربات المتواصلة للقضاء على الثورة، وفي كل مرة كان يعلن فيها العدو أنه قضى على الثورة في القطاع، كان الرد على هذه الادعاءات يأتي من فوهات بنادق الثوار.

تعاظمت حملات الاستهداف للثورة وللفدائيين، وصار واضحاً للعيان الفرق الشاسع بين الإمكانات التي كان يمتلكها العدو ويسخرها لقواته والأعداد الهائلة من الجنود الذين كان يضخهم في القطاع للقضاء على ظاهرة الفدائيين، والتي تزامنت مع صمت الأنظمة العربية وتخاذلها، وبين ما يتوفر للفدائي من إمكانيات محدودة وهامش بسيط للحركة

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٣٥.

(٣) يزيد صايغ، الكفاح المسلح والدولة الفلسطينية، الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٤٩ – ١٩٩٣)، ص ٤٢٢.

والتخفي، مع تفاديه لأي ضرر أو أذى يمكن أن يلحق بالأهالي الذين أنهكتهم اجراءات العقاب الجماعي، والحملات المسعورة من نسف البيوت والاعتقال والإبعاد والتهجير.

خلال أكثر من خمس سنوات من النضال الشاق والمتواصل، استطاع تنظيم الجبهة الشعبية في قطاع غزة أن يراكم على تجربته الخاصة، وأن يفشل مخططات العدو السياسية والعسكرية، والتي كانت تستهدف تدجين القطاع واستيعابه كجزء من الكيان الغاصب بعد القضاء على قواه الثورية، وقد تمثل هذا بقيام العدو بعدة حملات تصفوية مستمرة نجحت في ضرب الصف القيادي الأول للجبهة الشعبية في القطاع أكثر من ثماني مرات، واستطاع التنظيم تجاوز هذه الضربات وفرز قيادة جديدة في كل مرة كانت تستهدف قيادته، وكانت قيادته الجديدة تثبت كفاءتها وجدارتها مما راكم المزيد من الخبرات على التجربة والبناء عليها والاستفادة من دروس وعبر التجارب السابقة[١].

وفي ٩ مارس من عام ١٩٧٣، استشهد الرفيق محمد الأسود "جيفارا غزة" القائد العسكري لقوات الجبهة الشعبية في القطاع مع رفيقيه كامل العمصي، وعبد الهادي الحايك، في مواجهة ضارية مع قوات العدو بعد اكتشاف المخبأ الذي كانوا يختبئون فيه، في منزل الدكتور رشاد مسمار[٢]، في حي الرمال بمدينة غزة، وباستشهاده تراجع العمل الفدائي بشكل كبير، إلى أن أسدل الستار على مرحلة مشرقة ومضيئة من محطات نضال شعبنا لم يتوقف فيها شلال الدم النازف، قدمت خلالها الثورة قافلة طويلة من خيرة رجالها شهداء، إلى جانب آلاف الأسرى في باستيلات الاحتلال، التي حولتها الحركة الوطنية الأسيرة إلى أكاديميات ثورية حقيقية، وشكلت نماذج ومآثر عظيمة من البطولات والتضحيات الجسام على طريق الحرية.

---

(١) سجل الخالدين، الجزء الثاني، ص ٣٠٣.

(٢) ولد في مدينة نابلس بتاريخ ١٩٣٢/٠١/٢٩، بسبب نشاط والده السياسي أبعدت أسرته إلى مدينة غزة سنة ١٩٤٨، اعتقل للمرة الاولي في ١٩٧٠/١١/٢٦ بتهمة التنسيق بين فصائل الثورة في مدينة غزة، تم الافراج عنه في يناير١٩٧٣، نسف الاحتلال منزله بعد استشهاد الرفيق محمد الاسود بداخله، وعلى إثرها اعتقل للمرة الثانية في ١٩٧٣/٠٣/٠٩، وحكم عليه بالسجن ١٠سنوات، وبعد خروجه من السجن بتاريخ ١٩٧٨/٠٨/٣١، سكن في مخيم جباليا، وعمل مديراً في عيادة الوكالة في مخيم جباليا، وتوفي في ١٩٩٥/٠٣/٠٢.

في عام ١٩٥٧، بدأ تأسيس وبناء الهيكل التنظيمي الأول لحركة القوميين العرب في قطاع غزة بقيادة الرفيق عمر خليل عمر[١]، وسرعان ما توسع النشاط التنظيمي ليشمل كل مدن وقرى ومخيمات القطاع، حيث أصبحت الحركة من أهم التنظيمات وأكثرها عدداً في قطاع غزة، ساعد على ذلك المناخ السياسي الوطني والقومي الوحدوي الناصري في تلك المرحلة، إلى جانب التقارب السياسي والتنظيمي بين الحركة والنظام الناصري الذي قدم تسهيلات للحركة من أهمها تدريب مجموعات من شباب الحركة في دورات عسكرية خاصة، وقبول عدد من كوادرها في الكليات العسكرية، الذين تخرجوا وأسهموا بدورهم فيما بعد في تأسيس المجموعات والقواعد العسكرية للجبهة الشعبية في قطاع غزة والضفة الغربية والأردن بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧.

تشكلت فيما بعد "طلائع المقاومة الشعبية" كإطار جبهوي بقيادة حركة القوميين العرب في القطاع، ضم في صفوفه عدداً من الوطنيين المستقلين، وبدأ العمل على تأسيس الجهاز العسكري، وضم عناصر جديدة، وجمع أكبر كمية من الأسلحة، ووقع في أيديهم ختم حاكم غزة، فبدأوا في أول يوليو ١٩٦٧ بإصدار بطاقات هوية مزورة للفدائيين وللضباط والجنود المصريين[٢].

وفي بداية أكتوبر ١٩٦٧، قررت قيادة الحركة في غزة البدء بعمليات مسلحة عبر جهازها العسكري "طلائع المقاومة الشعبية" معلنة بداية الثورة المسلحة، وتولى المسئولية العضو القيادي في الحركة الملازم أول عمر خليل عمر، ونائبه الملازم أول رمضان سليمان داود[٣]، وتشكلت نواة الطلائع آنذاك من ٧٣ عضواً، حيث قام بزرع الألغام

(١) ولد في بلدة بيت لاهيا سنة ١٩٣٦، التحق بالكلية الحربية في مصر، وتخرج منها وعمل ضابطاً في جيش التحرير الفلسطيني، يعتبر أحد مؤسسي حركة القوميين العرب في قطاع غزة، كان مدرساً وشاعراً، توفي بتاريخ ٢٠١٧/٠٢/٠٩.

(٢) غازي الصوراني ، كتاب قطاع غزة (١٩٤٨ – ١٩٩٣) ، ص ٧٧.

(٣) ولد في مخيم جباليا بتاريخ ١٩٣٩/١/١٨، تخرج من كلية ضباط الاحتياط في القاهرة عام ١٩٦٤، متخصصاً في سلاح المدفعية، شارك في حرب حزيران عام ١٩٦٧، التحق بالجبهة الشعبية منذ تأسيسها، عاد إلى الوطن في شهر يوليو ١٩٩٦، توفي بتاريخ ٢٠٢١/٠٣/٠١.

ونصب الكمائن للدوريات العسكرية والهجوم على مقر الحاكم العسكري، الأمر الذي أعطى طلائع المقاومة ميزة خاصة عبر اتساع عملياتها وكثافتها ونوعية الأهداف المختارة، وفي ٢٤ يناير ١٩٦٨، اعتقل الرفيق عمر خليل عمر، مسئول الجهاز العسكري لطلائع المقاومة الشعبية في القطاع، الذي كان بحوزته قوائم بأسماء الأعضاء، مما أدى إلى اعتقال ٦٧ عضواً من أعضاء الجهاز العسكري آنذاك[١].

وجراء تواصل عمليات الاعتقال والإبعاد في صفوف جماهير شعبنا وطليعته الوطنية، اتخذت قيادة الجبهة قرارها برفد القطاع بكفاءات تنظيمية وعسكرية من الخارج، ومدّهم بمعدات قتالية، إدراكاً منها لأهمية وضرورة تصعيد المقاومة المسلحة، والحفاظ على جذوة المقاومة مشتعلة في صدور جماهير شعبنا، فأرسلت الجبهة عدة دوريات إلى قطاع غزة عن طريق سيناء.

كان الرفيق عبد الرحمن قاسم[٢] أول رفيق من عناصر الدوريات المقاتلة التي استقدمتها قيادة الجبهة في الأردن إلى القطاع، ونجح فور وصوله في استقطاب مجموعة من الشباب للعمل النضالي، وقام بتشكيل وتدريب عدة مجموعات قتالية، وسعى جاهداً لتشكيل جهاز عسكري للجبهة، معتمداً على عناصر حركة القوميين العرب الذين لم تطلهم ضربات الاعتقال، وقام بتنظيم عدد من الشباب الثائر المتحمس للقتال ضد العدو الصهيوني[٣].

واستمرت القيادة في إرسال هذه الدوريات إلى أن أصبحت تواجه خطورة كبيرة وعقبات جمة أثناء رحلة قدومها إلى القطاع، ونتيجة لذلك قامت الجبهة بتغيير خط سير

---

(١) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الدائرة الثقافية المركزية، كتاب المسيرة التاريخية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ص ٦٥.

(٢) ولد في مدينة بئر السبع في عام ١٩٤٥، التحق بصفوف حركة القوميين العرب خلال دراسته الثانوية، وخدم في جيش التحرير الشعبي، غادر إلى مصر بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧، ثم انتقل إلى الأردن والتحق بصفوف الجبهة الشعبية، في أوائل عام ١٩٦٨ عاد إلى قطاع غزة متخفياً عن طريق وادي عربة، في جولة استطلاعية بهدف بناء أنوية لقواعد عسكرية في القطاع، ثم غادر إلى الأردن في إبريل ١٩٦٩ ليعود مرة أخرى إلى القطاع بعد عدة أشهر، تولى إدارة العمل العسكري للجبهة الشعبية في القطاع، اعتقل في أغسطس ١٩٦٩، وحكم عليه بالسجن لمدة ٣٠ عاماً، أمضى منها ١٦ عاماً، ثم أفرج عنه في صفقة تبادل الأسرى عام ١٩٨٣، وتوفي بتاريخ ٢٠١٩/٠٢/٢٨.

(٣) في مقابلة مع الرفيق إبراهيم شاهين.

هذه الدوريات لتتحرك من الأردن مروراً بالأراضي السورية، ومنها إلى لبنان لتصل أخيراً إلى قطاع غزة عن طريق البحر، وفي عرض البحر كانت تواجه هذه الدوريات خطر الاصطدام بسلاح البحرية الصهيوني.

نجحت أول دورية عسكرية عن طريق البحر في الوصول إلى شواطئ غزة في مايو ١٩٦٩، كان على رأسها الرفيق عبد العزيز الميناوي[١] الذي تسلّم آنذاك قيادة الجهاز العسكري للجبهة الشعبية في القطاع.

كان من السهل على أفراد الدورية التواصل مع المجموعات العسكرية العاملة هناك لأنهم من أبناء القطاع، كما أن قيادة الجبهة في الخارج قد مهّدت الطريق وأعطت تعليماتها بتسهيل مهمة القائد الجديد للقطاع[٢].

وبعد انتهاء كافة الترتيبات والاستعدادات لبدء مرحلة نوعية من العمل الثوري وبعد الانتهاء من تشكيل الخلايا العسكرية، قامت القيادة العسكرية للجبهة بتقسيم القطاع إلى ثلاث مناطق، المنطقة الشمالية والمنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية، وقد عينت مسئولاً عسكرياً لكل واحدة منها، وبدأت المجموعات العسكرية في المناطق المذكورة بتنفيذ عملياتها البطولية والتي ما فتئت أن تأخذ طابعاً جديداً أكثر إيلاماً وضراوة.

ومن أبرز العمليات التي نفذتها مجموعات الجبهة الشعبية في تلك الفترة عملية "العمدان[٣]"، التي سيأتي ذكرها لاحقاً في هذا الكتاب، والتي شكّلت نقطة تحول في العمل الفدائي في قطاع غزة، إذ كانت أول عملية عسكرية يستخدم فيها سلاح الآر بي جي المضاد للدروع، والتي ألهبت حماس العشرات من الشباب الواعد، وشجّعتهم على الالتحاق بصفوف قوات المقاومة.

---

(١) ولد في بلدة الفاخورة في عام ١٩٤١، يعتبر من أبرز القادة العسكريين للجبهة الشعبية في تلك الفترة اعتقل بتاريخ ١٩٦٩/٠٩/٣٠، وأفرج عنه في صفقة تبادل الأسرى عام ١٩٨٥، غادر صفوف الحزب في فترة اعتقاله، وأصبح فيما بعد أحد قادة حركة الجهاد الإسلامي.

(٢) في مقابلة مع الرفيق محمد معالي أبو سمرة.

** ولد الرفيق محمد معالي أبو سمرة في مدينة دير البلح بتاريخ ١٩٤٨/٠٥/٢١، التحق بالعمل العسكري ضمن إحدى المجموعات المقاتلة التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام ١٩٦٩، وبسبب نشاطه العسكري تم اعتقاله، وحكم عليه بالسجن ٣ مؤبدات و٢٨ سنة ، أفرج عنه ضمن عملية التبادل بتاريخ ١٩٨٥/٠٥/٢٠.

(٣) منطقة تقع جنوب مدينة غزة.

وفـي سـبتمبر ١٩٦٩، تسلّم الرفيـق محمـد مصـلح "أبـو النصـر"، الملقـب أيضـاً بالجحّاحة، والذي لم يتجاوز العشرين من عمره، قيادة قوات الجبهة الشعبية في قطاع غزة بعد اعتقال الرفيق عبد العزيز الميناوي، كانت القيادة في بداية تشكيل الجهاز العسكري قيادة جماعيـة[١]، وكانـت تضـم الرفـاق الثلاثـة عبـد العزيـز الميـناوي، والرفيـق محمـد أبـو النصـر، والرفيق جلال حـافظ عزيـزة، وبعـد اعتقـال الرفيـق الميناوي بقيت مسئولية القيادة العسكرية علـى عـاتق الـرفيقين محمـد أبـو النصـر وجـلال عزيـزة، وقـد كـان الرفيـق "أبـو النصـر" من الـرواد الأوائـل الـذين شـكلوا طـلائـع المقاومـة الشـعبية، والـذي شـارك فـي قيـادة وتنظيم وتنفيذ معظم العمليات التي نفذتها الجبهة، وقد توفرت في هذا القائد الجسور كل سمات ومواصفات القائد الشعبي، فانعكست تجلياتها في ممارسته للعملية النضـالية وقدرته الفائقة على إعطاء القرار المناسب في أدق وأصعب الظروف.

حظـي أبـو النصـر بمكانـة عاليـة لـدى مقـاتلي الجبهـة والفصـائل الأخـرى، فمجـرد حضوره مع المقاتلين أو بالقرب منهم كان كافياً لإشاعة الأمن والثقة والهيبـة لدى الجميـع، لقد كان أبو النصر من أكفأ القادة العسكريين في القطـاع، وقد شهدت الفترة التي تسلّم فيها مسئولية العمل العسكري تصـاعداً نوعياً وكمياً فـي العمل الفدائي فـي القطـاع، تزايد فيهـا عدد المطـاردين، وتوّجت بعدد كبير من العمليات النوعيـة التـي نفذت في تلك الفترة، ومن أهمها عمليات الاستدراج التـي كـان يقوم بـها الفدائيون علـى امتداد الطريق العام، حيث كانوا يضربون قنابل في الطريق العام فتهرع دوريات العدو باتجاه الأماكن التـي ألقيت فيها القنابل لتصطدم بكمائن الفدائيين الذين تجهزوا للقاء هذه الدوريات فينقضوا عليها ويُجْهزوا على من فيها، وقد أطلق الرفيق أبو النصر على هذا النوع من العمليات "سحب الجحيم"!.

وفـي ٥ ينـاير ١٩٧٠، استشـهد الرفيـق أبـو النصـر فـي معركـة ضـارية فـي مخـيم المغـازي واستشـهد معـه ثلاثـة مـن خيـرة مقـاتلي الجبهـة، وهـم الرفـاق: حسـن الزريعـي[٢]،

(١) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة، وأكدها رفاق آخرون.

(٢) ولد في مدينة بئر السبع في عام ١٩٤٥، هجرت عائلته قسراً إلى قطاع غزة في نكبة ١٩٤٨، التحق بقوات الجبهة الشعبية وتميز بتنفيذه عدد من العمليات الفردية الجريئة ، استشهد بتاريخ ١٩٧٠/٠١/٠٥، خلال مواجهة عنيفة مع قوات العدو الصهيوني في مخيم المغازي (سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

وعامر زيدان[١]، وعبد الله السميري[٢]، سميت في حينه معركة المغازي الكبرى الأولى، قامت قيادة الحزب في الأردن بتكليف الرفيق جلال حافظ عزيزة لقيادة العمل العسكري في القطاع خلفاً لرفيق دربه الشهيد محمد أبو النصر، والرفيق جلال حافظ عزيزة من أعضاء حركة القوميين العرب، ومن الرفاق الأوائل الذين ساهموا في تشكيل طلائع المقاومة الشعبية، وهو من أكثر الرفاق نشاطاً وفعالية، كان صادقاً أميناً، وصارماً كحد السيف يتسم بالإقدام، والجرأة ورباطة الجأش ودماثة الخلق، والتي جعلت منه قائداً محبوباً وموضع ثقة الجميع.

شهد قطاع غزة في فترة قيادته نشاطاً عسكرياً واسعاً وفاعلاً للجبهة الشعبية، وفي المقابل شدّد العدو من قبضته، وألقى بكل ثقله لكسر شوكة العمل الفدائي مركزاً ضغطه بشكل خاص على المنطقة الوسطى، خاصة وأنها تحتوي على تجمعات كبيرة من الفقراء واللاجئين، فبعد استشهاد الرفاق الأربعة "مجموعة الرفيق محمد أبو النصر" بدأت حرب الشعب والمقاومة المسلحة ضد العدو تأخذ أشكالاً أكثر تطوراً وعنفاً، ولمس العدو أن الجماهير تتلاحم بقوة مع الثورة، والشباب الوطني ينخرط في صفوفها بأعداد كبيرة، خصوصاً وأنهم جميعاً لا يملكون ما يخسرونه سوى بؤسهم وشقائهم، وكانت الكثير من بيوت المخيمات تحتوي على المخابئ السرية لإيواء الفدائيين وتأمينهم، ولكسر شوكتهم اتبع العدو أحط وأبشع الأساليب الوحشية وأكثرها عنفاً، وقد واجهت جماهير شعبنا هذا العنف والبطش بمزيدٍ من العنف الثوري.

وبعد أربعة أشهر تقريباً من تولي الرفيق جلال حافظ عزيزة مسئولية قيادة الجهاز العسكري تمكّن العدو من اعتقاله في ١٧ إبريل ١٩٧٠، وتسلّم الراية من بعده الرفيق محمد أبو اعتيق الملقب "شيبوب"، الذي أصبح القائد العسكري لقوات الجبهة الشعبية في ذلك الوقت، ومن أبرز العمليات التي نفذها فدائيو الجبهة في تلك الفترة عملية "نادي

---

(١) ولد في قرية برير في عام ١٩٤٠، هجرت أسرته قسراً إلى مخيم البريج في نكبة ١٩٤٨، كان جندياً في كتيبة عين جالوت .التابعة لجيش التحرير، واستثمر خبراته العسكرية في تطوير العمل الفدائي وفي تنفيذ العديد من العمليات الناجحة، استشهد بتاريخ ١٩٧٠/٠١/٠٥(المصدر السابق).

(٢) ولد في مدينة بئر السبع في عام ١٩٤٦، نزحت منها عائلته إلى منطقة القرارة جنوب قطاع غزة في نكبة ١٩٤٨، تلقى تدريبات في الجيش الشعبي قبل حرب ١٩٦٧، التحق بالثورة وتمت مطاردته نتيجة مشاركته في العديد من العمليات، استشهد بتاريخ ١٩٧٠/٠١/٠٥(المصدر السابق).

النصيرات"، والتي سيأتي ذكرها لاحقاً في هذا الكتاب، وبسبب زخم العمل الفدائي واشتداد الضربات والهجمات التي نفذها الفدائيون للعدو الصهيوني في تلك الفترة، والتي ترتّب عليها تشديد الخناق على حركة الفدائيين وكثرة موجات المطاردة والملاحقة وتكرار فرض الطوق على المخيمات وبالذات في المنطقة الوسطى، قررت قيادة الجبهة سفر الرفيق شيبوب للخارج وتسليم الرفيق يوسف غبن(١)، الملقب "سعداوي" مسئولية قيادة العمل العسكري في القطاع، إلا أن العدو نجح في اعتقال الرفيق "شيبوب" قبل أن يتمكن من السفر، بعد صفقة أبرمها ضباط المخابرات مع أحد العملاء(٢).

في أغسطس ١٩٧٠، تسلّم القيادة الرفيق "سعداوي"، المطارد لقوات الاحتلال، مسئولية قيادة الجهاز العسكري، فتّشت عنه قوات الاحتلال في كل مكان وداهمت العديد من البيوت وكانت تلاحق كل من يحمل اسم "يوسف غبن"، بينما كان يتجول بحرية مستخدماً بطاقة مزورة يحمل فيها اسم "يوسف الخطيب"، ويتوجه إلى أريحا ومنها إلى عَمّان يلتقي قيادته ويعود من مخيم الوحدات إلى القطاع، ليواصل بناء الخلايا العسكرية، وبتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩٧٠ حاصرت قوات الاحتلال الصهيوني مخيم الشاطئ وشنّت حملة عسكرية واسعة في المخيم، وبينما كان الرفيق غبن إلى جانب الرفيق محمد الأسود، الذي خرج من المعتقل في يوليو ١٩٧٠، وتسلم مسئولية التنظيم السياسي، ونائب المسئول العسكري لقوات الجبهة آنذاك، وهما في طريقهما نحو تنفيذ إحدى العمليات الفدائية، فوجئا بوابل من الرصاص ينهمر عليهما، بدأ الرفيقان بإطلاق النار على الدورية التي تحاصر المكان، وبعد مواجهة عنيفة استشهد الرفيق سعداوي، وتمكن الرفيق جيفارا من الإفلات من الحصار، وأعلن راديو العدو أن معركة ضارية دارت في مخيم الشاطئ استشهد خلالها القائد العسكري للجبهة الشعبية في قطاع غزة.

وفي ديسمبر ١٩٧٠، بعد استشهاد الرفيق سعداوي مباشرة، تسلّم الرفيق محمد الأسود، مسئولية الجهاز العسكري، كان الرفيق جيفارا يتمتع بنشاط وانضباطية عالية وتقدير عالٍ للمسئولية، قاد رفاقه الثوار في ظروف صعبة وتحت أجواء من المطاردة

---

(١) ولد في قرية هربيا في بداية عام ١٩٤٧، يعتبر من أبرز القادة العسكريين للجبهة الشعبية في تلك الفترة، استشهد خلال مواجهة عسكرية بتاريخ ١٩٧٠/١١/٢٤.

(٢) في مقابلة مع الرفيق جمال الدحدوح.

والملاحقة المتواصلة التي مارستها المنظومة العسكرية الصهيونية بقيادة "موشيه ديان" آنذاك في سبيل التصدي لضربات الفدائيين وإخمادها والقضاء عليها.

قام جيفارا بنشاط مكثف لإعداد المجموعات العسكرية وتدريبها وتثقيفها، وابتكر العديد من وسائل التخفي التي كانت تُسهّل عليه الإفلات من قبضة العدو مراراً، وعاقب الخونة وعملاء الاحتلال بعد أن حاكمهم، ووضع شعاراً لمحكمة الثورة "الثورة لا تظلم، لكنها لا ترحم"، وظل جيفارا لغزًا محيّراً للعدو، لم تكن تمضي عليه أربع ساعات في مكان واحد، كان له ملجأ في كل مكان من قطاع غزة الضيق، وقد جُنّ جنون العدو يوم أن فرض قبضته العسكرية على قطاع غزة، ولم يترك شبراً فيه إلا ودخله، ولكن خابت آمالهم وفشلت خططهم أمام عبقرية جيفارا العسكرية، وقد وضع الرفيق جيفارا تكتيك "اضرب عدوك ضربات سريعة متلاحقة وفي أماكن عدة متباعدة وفى نفس الوقت، حتى يفقد صوابه وحتى لا يترك له مجالا للبطش بمنطقة منفردة".

وفي ٩ مارس١٩٧٣ تمكّنت قوات الاحتلال من معرفة مكان وجود جيفارا، وكانت المعلومات التي لدى أجهزة الأمن تؤكد أن جيفارا ورفيقيه موجودون في منزل الدكتور "رشاد مسمار"، خلف مستشفى الشفاء بمدينة غزة، فداهمت قوات كبيرة من الجيش ورجال المخابرات منزل الدكتور رشاد، وحاصرت البيت مستعينة بمئات الجنود والدبابات وبغطاء جوي من طائرات الهيلوكوبتر، كان الرفاق في تلك الأثناء يجلسون مع الدكتور رشاد وعائلته، وعندما أحسوا بتحركات غريبة حول المنزل انسحبوا إلى ملجأهم، وبعد عملية تفتيش داخل المنزل اكتشفت المخابرات أمر الملجأ الموجود داخل المنزل، وطلبوا من جيفارا ورفاقه أن يسلموا أنفسهم، ورغم هذا الحصار المشدّد، لم يستسلم جيفارا ورفيقاه الحايك والعمصي، واشتبكوا مع قوات الاحتلال إلى أن استشهد ثلاثتهم[١]، وحضر وزير الحرب الصهيوني في ذلك الوقت "موشيه ديان" إلى غزة بنفسه للتأكد من استشهاد جيفارا، وقد أدّى الضابط المسؤول عن الهجوم التحية العسكرية لجثمان جيفارا ورفاقه.

---

(١) تعتبر الجبهة يوم استشهاد الرفيق جيفارا غزة ورفيقيه العمصي والحايك، يوماً وطنياً أطلقت عليه "يوم الشهيد الجبهاوي"، وتحرص على إحياء هذه الذكرى في كل عام.

لم تسقط الراية باستشهاد الرفيق جيفارا، فقد حملها من بعده رفاق كُثر، منهم من قضى شهيداً ليلحق بقافلة طويلة من الشهداء، ومنهم من غيّبته أقبية السجون لسنوات، ليخرج منها أشد قوة وصلابة وأكثر عنفواناً، بعد استشهاد الرفيق جيفارا تسلم الرفيق صالح دردونة[١] مسئولية الجهاز العسكري للجبهة الشعبية في القطاع، وقد بذل جهوداً كبيرة في إعادة بناء الخلايا العسكرية واستنهاضها، وفي بداية عام ١٩٧٥ تعرضت مجموعات الجبهة لضربة قاسية، اعتقل على إثرها الرفيق دردونة وعدد من المقاتلين.

في تلك الفترة استنزفت المخيمات وأنهك أهلها، بسبب الحملة الشرسة التي نفذها "شارون" في إحكام سيطرته على القطاع، وفي تنفيذ المزيد من السياسات القمعية والإجراءات العقابية، ومع ذلك بقيت جذوة المقاومة مشتعلة في قلوب كل الأحرار المؤمنين بحتمية الانتصار، وما هي إلا سنوات لتبدأ موجة جديدة من موجات التصدي والمواجهة، ففي أواخر عام ١٩٨٧، انطلقت شرارة انتفاضة شعبية عارمة، عرفت باسم انتفاضة الحجارة، لتعبر عن مخزون الغضب الشعبي تجاه الاحتلال، ولتبدأ حلقة جديدة في سلسلة النضال الفلسطيني، وتقدم صفوف المواجهة أطفال وشباب بحجارتهم التي أدهشت العالم وبرهنت على أن كفّ الحق أقوى من مخرز القوة العسكرية الغاشمة المدججة بالسلاح والعتاد، واستمرت هذه الانتفاضة سبع سنوات، قدم خلالها شعبنا الفلسطيني نماذج من البطولات والتضحيات، وارتقى فيها أكثر من ألف شهيد، وعشرات الآلاف من الجرحى والمعتقلين.

أجيال تعاقبت على مسيرة النضال وتوارثت حلم العودة والحرية، جيل يورث جيلاً، وتستمر مسيرة النضال من محطة لمحطة أخرى، فبعد سنوات من انتهاء موجات الغضب الشعبي في انتفاضة الحجارة، اندلعت انتفاضة جديدة في سبتمبر عام ٢٠٠٠، عُرفت باسم انتفاضة الأقصى، وبعدها بسنوات شنّ العدو الصهيوني موجات من العدوان المتواصل على قطاع غزة، كان أبرزها في الأعوام ٢٠٠٨، ٢٠١٢، ٢٠١٤، ٢٠٢١،

(١) ولد بتاريخ ١٩٣٦/٠٥/١١ في قرية جباليا بقطاع غزة، أحد قادة حركة القوميين العرب في القطاع، التحق بصفوف الجبهة الشعبية منذ تأسيسها، واعتقل بسبب نشاطه أواخر عام ١٩٦٩، وفور اعتقاله تم فصله من التدريس، أفرج عنه في مايو عام ١٩٧٢، تسلم قيادة الجهاز العسكري للجبهة في قطاع غزة فور استشهاد رفيق دربه (جيفارا)، اعتقل مرة أخرى بتاريخ ١٩٧٥/١/١٤، أفرج عنه بعد عشر سنوات من الاعتقال عام ١٩٨٥، واصل نضاله إلى أن توفي بتاريخ ١٩٩٤/١١/٢٣.

ارتكب خلالها مئات المجازر والجرائم، وارتقى فيها آلاف الشهداء الأبطال، وفي الضفة المحتلة واصل العدو الصهيوني مصادرته للأراضي وبناء المستوطنات، وواصل تهويده للقدس وللمقدسات، وبرغم جبروت الاحتلال وقوته الغاشمة، وتعاظم قوى الشر في العالم وإسنادها اللامحدود للكيان الصهيوني، وبرغم ضعف وهوان الأنظمة العربية والإسلامية، وهرولة بعضها للتطبيع مع العدو، وانتقالها للمعسكر المعادي للشعب الفلسطيني ولقضيته العادلة، وبالرغم مما تعانيه جماهير شعبنا من تحدّيات وظروف مجافية بسبب استمرار الانقسام والحصار وتردي الحالة السياسية على المستوى الداخلي، وتهالك القيادة الفلسطينية المتنفذة، وما ترتب على ذلك من إنهاك للجبهة الداخلية وتقويض مقومات صمودها، وتفاقم المزيد من الأزمات والتحديات والأوضاع المعيشية الصعبة في ظل ارتفاع معدلات الفقر والبطالة، إلا أن جماهير شعبنا ومعها طليعتها المقاتلة ما زالت توّاقة للحرية، وما زالت قادرة على تقديم المزيد من التضحيات والمآثر والبطولات لتحقيق أهدافها وتطلعاتها في الحرية والعودة والاستقلال.

وإلى ذلك الحين سيبقى الصراع مع الاحتلال مفتوحاً، وستظل بنادق الثوار محشوّة بالمزيد من الرصاص، ومشرعة نحو الاحتلال الغاصب، آخر احتلال عسكري تشهده البشرية والتاريخ الحديث.

من موقع اشتباك إلى آخر
(ضربات الاعتقال)

"على حائط الزنزانة يكتب المسجونون أسماءهم، يحفرونها بزر قميص أو بمسمار، أول ما يفعله الأسير هو أن يكتب اسمه على حائط الزنزانة، إنه دائماً كان يكتب اسمه وتاريخ دخوله السجن، والوطن الذي جاء منه، وكبشارة للسجين الذي سيأتي الزنزانة بعده، فالسجين دائماً قبل خروجه، يكتب تاريخ الافراج عنه، كأنه يريد أن يقول لابنه أو لحفيده، السجين القادم:

– ما سجن انبنى على سجين، ولا مستشفى انبنت على مريض[١].

كلما كانت ضربات الفدائيين أكثر ضراوة وأكثر إيلاماً للعدو، كلما ضاعف العدو من عملياته الانتقامية بحق الأهالي، وكلما قام بتشديد الخناق عليهم، واستخدم بحقهم شتى أساليب العقاب الجماعي، وفرض الطوق على المخيم لأيام، وجمع الأهالي في المدارس والساحات، ونفذ حملات واسعة النطاق من الدهم والتفتيش والاعتقالات والتشريد، كان هدفه الأسمى القضاء على هؤلاء الفدائيين، وحتى يتمكن من ذلك لا بد أن يمارس كل أشكال البطش والإرهاب بحق الأهالي لإرهابهم وإقناعهم بأن ما كل يجري لهم بسبب احتضانهم "للمخربين" بحسب لغة العدو، وبرغم هذه السياسات الإجرامية، إلا أن الأهالي كانوا أكثر التصاقاً بالفدائيين، وأكثر إيماناً بالثورة، خيارهم الوحيد للخلاص من الاحتلال.

تبلورت شخصية الفدائي البطل الذي يحمل روحه على كفه، ويتصدى لجبروت العدو الغاشم المدجج بالسلاح، فيزرع لمجنزراته لغماً هنا، ويضرب إحدى دورياته بقنبلة هناك، وينصب كمينه في هذا الشارع، وفي ذاك الزقاق، ويعيش حياة التشرد والمطاردة، ليذود عن كرامة المخيم ويحمي أهله من بطش المحتلين، ومن خطر اللصوص ومن كيد العملاء الجبناء.

---

(١) معين بسيسو، دفاتر فلسطينية، ص ١٦.

حاصر الفدائيون العدو بدلاً من أن يحاصرهم، وأخرجوا تجمعاته من داخل المخيمات بعد أن دمروها تباعاً فكانت تمركزاته وخطوط إمداده من خارج المخيمات، إحداها شرق مخيم النصيرات في "مركز أبو مدين" على الخط العام، وأخرى غرب المخيم في منطقة "النويري" المطلة على البحر، فرضوا على العدو قواعد المواجهة، وكانت أولى الدروس التي تلقوها في مدرسة الثورة، المواجهة حتى آخر رصاصة حتى الموت، هذا النوع من الأبطال لا يعرف طريق الاستسلام أو رفع الراية البيضاء، "لا تمت قبل أن تكون نداً"، هذه هي الثقافة التي زرعت في قلوبهم، والعدو يعرف جيداً هذا النوع من الفدائيين الذي لا يستسلم أبداً.

وفي هذا الكتاب سنمر على أكثر من نموذج من نماذج البطولة لفدائيين وقعوا في فخاخ وكمائن العدو إلا أنهم واجهوها ببسالة، فمنهم من واجه ونجح في الإفلات، بعد أن أثخنهم بالجراح، ومنهم من واجه حتى الموت فقضى شهيداً ليلحق بقافلة طويلة من الشهداء الذين سبقوه إلى المجد وإلى الخلود، ومنهم من لم تتوفر له ظروف المواجهة، فكانت قبضة العدو أقرب إليه، ومنهم من خارت قواه بعد أن أصيب بجراح بليغة في أرض المعركة أو نفدتْ ذخيرته بالكامل، فيظفر العدو باعتقالهم ويفرح بنصره المزعوم، ولا يعرف بأنهم مثل طائر الفينيق ينهض من تحت الرماد، ليبدأ معاركه من جديد، ولكن هذه المرة في زنازين التحقيق وفي أقبية السجون ساحة اشتباك مباشر، ليسطروا فيها أروع ملاحم البطولة والتحدي، وبجَلَدهم وصمودهم وإرادتهم التي لا تلين جسدوا "فلسفة المواجهة"، وهم من أرسوا اللّبنات الأولى لشعار "الاعتراف خيانة".

خاض هذا الجيل من الفدائيين معاركه في السجون مثلما خاض معاركه خارجها، فتحولت السجون من معاقل يراد منها كسر إرادة المعتقلين وتحويلهم لمرضى نفسيين مفرغين من أي قيم وطنية، إلى أكاديميات تصنع الأبطال وتبشّر بالنصر والحرية، عاشوا تجربة الاعتقال بعد سنوات الهزيمة، وجعلوا من أقبية التحقيق، ومن غرف السجون محطات جديدة من النضال والصمود والعزيمة، ومنهم من قضوا شهداء، ليسطّروا أسماءهم في سجل الخالدين، فتظل ذكراهم حاضرة في قلوب كل الثوريين الأحرار، ومن

مداد تضحياتهم تستمر مسيرة النضال فيحمل الراية الأحرار ويتلقفها الفدائيون جيلاً بعد جيل، "فأنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح"(١).

بدأت الحركة الوطنية الأسيرة بالتشكل وأصبحت امتداداً لوجود الأسرى المعتقلين قبل عام ١٩٦٧، حيث كانت السجون التي خلّفتها السلطات الأردنية والمصرية في الضفة والقطاع مكتظة، فضلاً عن مراكز الاعتقال التي خلّفها الانتداب البريطاني في الجزء المحتل من فلسطين عام ١٩٤٨، ففي البدايات لجأت "إسرائيل" إلى ممارسة الاعتقال بحثاً عن السلاح أو تجميع الملفات الأمنية التي تركتها السلطات المصرية والأردنية في الضفة والقطاع، وبدأت في مطاردة أعضاء الأحزاب وأفراد جيش التحرير في قطاع غزة، ومع انطلاق المقاومة اتسع نطاق مطاردتها للفدائيين الذين عبروا الحدود مع الأردن أو مع مصر، فضلاً عن الخلايا المحلية التي تشكّلت من أعضاء الأحزاب والتنظيمات والجسم الطلابي، امتلأت السجون بعد أشهر قليلة من الاحتلال الجديد، وفي سياق سياستها استندت إلى قوانين الطوارئ البريطانية التي تجيز لها اعتقال كل من تشتم رائحة انتمائه إلى المقاومة أو له علاقة بالأحزاب السياسية مهما كان شكل ومقدار هذه المقاومة، سواء توافرت ضده أدلة وشواهد تمكنها من تقديمه للمحاكمة أو لا، فإن لم تتوافر ضده الأدلة فسياسة الاعتقال الإداري التي تستند إلى نظام الطوارئ البريطاني تنتظره بدون أدنى تأخير، ولم يكن هناك أيّ معايير قانونية، فقد يمكث المشتبه فيه أشهراً طويلة في زنازين التحقيق دون تمتعه بحق زيارة ذويه أو محاميه أو حتى الصليب الأحمر، كان يمكن للقاضي أن يمدد توقيف أي مشتبه فيه يمثل أمامه لمدة شهر قابلة للتجديد ٣ شهور أخرى، وكانت هناك إمكانية لتمديد فترة التحقيق لتصل إلى ٦ شهور متتالية، وغالباً ما كان يمثل المعتقلون أمام المحاكم الصورية دون تمثيل قانوني(٢).

في تلك الفترة كان السجّان يتحكم في تفاصيل حياة السجين، بدءاً من حركته داخل الغرفة إلى ساعات نومه، والوقت الذي عليه أن يبقى فيه يقظاً، وألا يفرش بطّانيته المهترئة أو أن يمدد جسمه عليها طوال النهار، كانت وسائل العنف الأسلوب الوحيد سواء

---

(١) من قصيدة المعركة للرفيق معين بسيسو، القصيدة عن (عباس الأعسر) أول شهيد لحركة أنصار السلام المصرية في قناة السويس عام ١٩٥١.

(٢) أحمد سعدات، صدى القيد، ص ٢٥.

أكانت لانتزاع الاعترافات أم لتحويل حياته داخل السجن إلى جحيم، ومن الصعب تناول هذه المرحلة، ووصف طبيعتها ومفرداتها إلا ممن عاشها، وحمل ندبات منها على جسده، هي مرحلة قاسية عاشها الأسرى، وجاءت انعكاساً لواقع ممارسات الاحتلال العنيفة بحق شعبنا في الأرض المحتلة، بهدف السيطرة عليه، ومحاولة قمع أية ردود فعل ثورية، لا سيما أن العمل الفدائي بدأ يشق طريقه، وباتت أعمال المقاومة للاحتلال مظهراً سائداً سواء أداخل المدن والقرى والمخيمات، أم على تخوم الوطن، خاصة الحدود الشرقية منه.

كانت بدايات الأسرى صعبة وقاسية، لأن الرعيل الأول تحمل معاناة وآلاماً لا حدود لها، وذلك لتأسيس وبناء حياة الاعتقال، فقد كانوا في البدء أفراداً مبعثرين يفتقدون أدنى آليات التعامل الجماعي، بوصفهم أبناءً للتنظيم، أو جماعة أسيرة منظمة، فالفردية هي السائدة، لأن السجانين كانوا يسيطرون تماماً على حياة الأسرى، ويتحكمون فيها، وهكذا كأي ظاهرة تولد ضعيفة، وتحتاج إلى زمن للتبلور والنمو، شرع الأسرى يتغلبون على الواقع تدريجياً، بعد أن ازدادت أعدادهم، وصارت احتياجاتهم تفرض ذاتها، مهما كلفهم الأمر [١].

وفي المرحلة التي يغطيها الكتاب والتي تمتد من انطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٥، كانت السمة الأبرز في أسلوب عمل فصائل العمل الوطني آنذاك الارتجال والعفوية والتركيز على العمل العسكري وحده على حساب البناء التنظيمي والأيديولوجي والتعبئة الجماهيرية، وكان بعض أعضاء الجبهة الشعبية حالهم كحال باقي أعضاء الفصائل الأخرى يعترفون حال اعتقالهم تحت بطش المحققين بكل ما عندهم، غير آبهين بما يلحق ذلك من عواقب يمكن أن يترتب عليها اعتقال آخرين أو نسف بيوتهم، وذلك اعتقاداً منهم بأن الثورة ستنتصر على الصهاينة وأن السجن لن يطول، وإعادة بناء البيوت هو أمر قريب، في الحقيقة "ثمة عُرف غير مكتوب كان دارجاً في ذلك الحين لدى الأعضاء الملتحقين بالفصائل، حيث يكون الاتفاق بأن على من يعتقل أن يصمد لمدة ٢٤ ساعة فقط، يمكن أن تبدأ هذه الساعات بالنقصان التدريجي من ٢٤ ساعة إلى ١٢ ثم ٦ ساعات، وربما قد يصل الأمر إلى أقل من ذلك، إن جذر

---

(١) أحمد أبو السعود، ومضات من خلف القضبان، ص ١١.

الوعي هنا هو الاستعداد للاعتراف وليس للصمود وإغلاق الفم، هذه العقلية وسمتها وتفاعلاتها هي التي سادت وصبغت أسلوب التعامل بين فصائل الحركة الوطنية وبين سلطات الاحتلال[(١)]"، وبرغم هذا العُرف الذي كان يبرر الاعتراف لا الصمود في تلك الفترة إلا أن تجربة الحركة الأسيرة أظهرت نماذج من البطولة ومن التضحيات قدّمها العديد من الرفاق الذين لم يرتضوا هذا العرف وأسسوا بصمودهم خلال فترة التحقيق لمرحلة جديدة، غيرت فيها العرف المبني على الاعتراف لا الصمود، وعلى إثر ذلك بدأ مفهوم الصمود وعدم إفشاء الأسرار في أقبية السجون في التبلور التدريجي، وبدأ المعتقلون في اللجوء إلى بعض المخارج الأمنية كالاعتراف على شخص واحد فقط أو على "نقطة ميتة"، وهي الاعتراف على شخص تتوقف عنده موجة الاعتقالات، بعد ذلك تطور سقف عملية المواجهة في التحقيق إلى أن أخذت بعض الشعارات مداها وأصبحت هي العرف السائد داخل السجون، وانتهت مسألة الاعتراف بمجرد الاعتقال، وأصبحت الشعارات السائدة لدى معتقلي وأسرى الجبهة الشعبية هي "نعم لشرف الحزب وصونه"، و"الاعتراف خيانة"، و"الصمود هو القاعدة والاعتراف استثناء"، وتبلورت عقلية الصمود وفلسفة المواجهة وارتبطت هذه الشعارات بعملية تعبئة وتحشيد وحث مستمر للانتصار على السجان مهما كلف ذلك من تضحيات، وتعتبر هذه التجربة التي عمّدها أسرى الجبهة الشعبية بالدم، مثالاً للحركة الأسيرة التي ساهمت في تغيير الحالة العامة في السجون من الاعتراف إلى الصمود المشرف.

تعتبر السجون وما زالت خندق نضالي متقدم يعي روادها من أبناء الحركة الأسيرة معنى وأبعاد الأسر وهدفيته وتعريفه بأنه ساحة نضالية وموقع إعداد للمناضل في شتى الصعد السياسية، الأيدولوجية، التاريخية، الثقافية، والمعنوية...إلخ، وبذات الوقت موقع مواجهة نضالية يومية تتمثل بالتصدي لسياسات وإجراءات إدارة السجون بوصفها أداة المشروع الاحتلالي ضد الأسرى، لتعتبر مهمة الإعداد والتصدي هي المهمة النضالية الأبرز للحركة الأسيرة بمكوناتها وقياداتها، وهذا يعني أن كافة الإجراءات والخطوات

---

(١) كراس "بطولات في أقبية السجون"، من إصدارات الحركة الأسيرة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، إبريل ١٩٨٨، ص ٧.

والبرامج والتوجهات وكافة أشكال النضال اليومي للأسرى تلعب دورًا في تخفيف معاناة الأسرى وتساعد في الحد من سياسة التعذيب والإجراءات التي تستخدمها إدارة مصلحة السجون ضد الأسرى الفلسطينيين[١].

استطاعت الحركة الأسيرة وعبر نضالها المستمر تحسين ظروف اعتقال الأسرى، وخاضت عشرات الإضرابات عن الطعام وغيرها من الطرق لانتزاع بعض الحقوق البسيطة لهم، وفي مجال تحسين الحياة الثقافية والتعليمية في السجون، كانت باكورة إنجازاتهم الحصول على الورقة والقلم لتصبح حقاً مكتسباً في المعتقلات، وواصلوا نضالاتهم إلى أن تمكنوا من إدخال الكتب وإنشاء المكتبات داخل السجون، وكان للجنة الدولية للصليب الأحمر دور في إدخال بعض الكتب والمواد التعليمية للمعتقلين.

وعلى الرغم من أن العديد من المواثيق الدولية كاتفاقية جنيف الرابعة[٢] كفلت للأسرى حق القراءة والتعليم، إلا أن إدارات السجون كانت لا تتوانى عن سلبهم أبسط حقوقهم، وتضييق الخناق عليهم بحيث تمنع إدخال بعض الكتب، أو تقوم بين الفينة والأخرى بمصادرة أعداد منها.

اهتمت الحركة الأسيرة بأن تصبح السجون أكاديميات ثورية يتلقى فيها المعتقلون دروساً في جوانب مختلفة تصقل شخصياتهم وتضاعف من وعيهم وثقافتهم، وكانت توفر المعرفة والدروس بانتظام من خلال برامج تثقيفية متواصلة، ولتسهيل عمليات التثقيف والتثقيف الذاتي تمكنت الحركة الأسيرة وعبر نضالها المستمر من إنشاء مكتبات داخل السجون، وبرغم الظروف المجافية والصعبة التي كان يمر بها المعتقلون، إلا أن غالبية منظمات السجون حرصت على إنشاء هذه المكتبات، وزوّدتها بشتى أصناف وأنواع الكتب السياسية والفكرية والتاريخية والأدبية وغيرها[٣].

---

(١) في مقابلة خاصة أجرتها اللجنة الإعلامية والثقافية للجبهة الشعبية في السجون مع الأسير القيادي في الجبهة الشعبية الرفيق ثائر حنيني، تحدث فيها عن الحركة الأسيرة، نشرتها بوابة الهدف.

(٢) اتفاقية أممية بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب، وهي إحدى المعاهدات الأربع لاتفاقيات جنيف، اعتمدت في أغسطس ١٩٤٩، تحدد الحماية الإنسانية للمدنيين في منطقة الحرب، يوجد حاليا ١٩٦ دولة طرفاً في اتفاقيات جنيف، وفي عام ١٩٩٣ أكد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة على أن اتفاقيات جنيف ملزمة لغير الموقعين عليها، المنخرطين في الصراعات المسلحة.

(٣) في مقابلة مع الرفيق يونس أبو قاسم .

وفي الوقت الحالي تتواجد مكتبة محددة في كل قسم، وغاب نظام المكتبة العامة التي تخدم كافة الأسرى، وذلك حين أعلنت إدارة مصلحة السجون ما سمي بلجنة "أردان" والتي تشكلت في منتصف عام ٢٠١٨، للتضييق على الأسرى، وسحب مُنجزات حققوها بفعل العمل النضالي، والإضراب عن الطعام على مدار العقود السابقة، منها تقليص أعداد الكتب المسموح للأسرى اقتناءها ووضعها في مكتبات الأقسام، من سبعة كتب لكل أسير إلى أربعة، وكذلك تم منع الكتب التعليمية ومن ثم تصنيفها كتحريضية حتى لو كانت باللغة العبرية، وأعلنت الحرب على المكتبات، إلا أن الأسرى يعتبرون الكتب والمكتبات مهمة نضالية كونها أُنشئت بعزيمة وإرادة ووعي ونضال المعتقلين.

وقد استطاعت الحركة الأسيرة عبر سنوات نضالها الطويل فرض التعليم الثانوي والجامعي، وانتزاع هذا الحق الإنساني من بين أنياب السجان، غير أن مصلحة السجون سمحت في البداية بالتعليم الثانوي للأسرى، ورفضت السماح للأسرى بالدراسة الجامعية سواء في الجامعات الفلسطينية المحلية أو "الإسرائيلية"، واستمر ذلك حتى سبتمبر ١٩٩٢، بعدها استطاع الأسرى انتزاع حق التعليم الجامعي، بعد الإضراب عن الطعام، وكان التعليم الجامعي مشروطاً بالالتحاق "بالجامعة العبرية المفتوحة" دون غيرها، وبعد عام ٢٠٠٠، التحق العشرات من الأسرى ببرنامج الماجستير في ذات الجامعة، وكان التخصص الوحيد المتاح أمام الأسرى هو برنامج الديمقراطية، وكانت الدراسة باللغتين العبرية والإنجليزية، وقد أثمرت هذه العملية الطويلة في تخريج آلاف الكادرات المتمرسة والمثقفة التي كانت تحمل تجاربها الثقافية والتنظيمية إلى خارج أسوار الأسر.

وفي عام ٢٠١١، سحبت مصلحة السجون العديد من الإنجازات من الأسرى بما فيها التعليم الجامعي، بعد سَن قانون عُرف بقانون شاليط[١]، ومع ذلك تمكن الأسرى من مراسلة عدد من الجامعات المحلية التي سمحت بالانتساب إليها والتعليم عن بعد، مثل

---

(١) يتضمن قانون شاليط جملة واسعة من الإجراءات القمعية بحق الأسرى المعتقلين في سجون الاحتلال الصهيوني، منها حرمانهم من زيارات الأهل بشكل مطلق، وحرمانهم من زيارة محاميهم أو اللقاء بهم وحصرها فقط في زيارات ممثلي الصليب الأحمر، على أن تقيد بزيارة كل ثلاثة أشهر، كما يتضمن حرمان الأسرى من مشاهدة التليفزيون، وحرمانهم من حقهم في مواصلة التعليم، ومن إدخال الكتب والصحف، وإتباع سياسة العزل الانفرادي كأسلوب عقابي، ولفترات غير محدودة، وجاء هذا القانون من أجل تشديد الضغط على المقاومة الفلسطينية للإفراج عن الجندي الصهيوني "جلعاد شاليط".

"جامعة القدس المفتوحة"، بشرط أن يُشرف على العملية عدد من الأسرى حملة شهادات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، وبالفعل تشكلت لجان أكاديمية في مختلف السجون، وأُدخلت المئات من الكتب التعليمية، وباشرت هذه اللجان بالإشراف على المسيرة التعليمية، وقد نال العشرات من الطلبة شهادات البكالوريوس في مختلف الجامعات بهذه الطريقة، كل هذا يُمارس بعيداً عن عيون إدارة مصلحة السجون التي تُلاحق الأساتذة وتعزلهم، وتصادر الكتب التعليمية والمراجع، وتمنع إدخالها[١].

للاحتلال الصهيوني وأجهزته القمعية تاريخ أسود حافل بالجرائم بحق الأسرى العُزل، الذين يمارس ضدهم كل أصناف التعذيب النفسي والجسدي، ومن ممارسات المحققين ورجال الأمن العام العنيفة المتبعة بحق المعتقلين الفلسطينيين، والتي وصلت إلى ١٦٥ أسلوب تعذيب جسدي ونفسي وحيل خداعية منذ مطلع ١٩٦٧، والتي تبدأ بأسلوب الضرب المفضي إلى الموت مروراً بالضرب المتقطع لفترة قصيرة، ومن ثم الضرب المتواصل لفترات طويلة، وضرب رأس المعتقل بالحائط، والضرب على الرقبة والمفاصل، ومن ثم الضرب على أسفل القدم "الفلكة"، والضرب على مؤخرة المعتقل، والضرب على البطن والمعدة، والضرب بسلك كهربائي، أو بالعصا أو بالأنابيب المطاطية على الرجلين واليدين وفي كل مكان من الجسم، مروراً بأسلوب التعذيب بالوثاق والقيد "الكلبشات"، وأسلوب التعليق والربط "الشبح"، إلى حد اغتصاب المعتقل، وهذا من أخطر أساليب التعذيب غير الأخلاقية بحق المعتقل، بالإضافة إلى الحرمان من الطعام والشراب، والحرمان من قضاء الحاجة والحرمان من النوم وأسلوب الحرمان من النظافة والعلاج، إضافة إلى مجموعة من الأساليب النفسية الخطيرة التي ترهق المعتقل من أبرزها أسلوب اعتقال الأهل، وأسلوب الاعتداء الجنسي على الأهل، وتعرية المعتقل، والتهديد بالقتل، وهدم البيت، والإبعاد، وتحقير الذات، وأسلوب التشكيك بالنضال والثورة، وأسلوب المحقق ضخم الجثة، وتبسيط التهمة، والإغراء الجنسي، والصفقة، وتحطيم المثل[٢] أو بإصدار الأصوات المزعجة والضوضاء من غرفة مجاورة، وغير ذلك من الأساليب.

---

(١) في مقابلة خاصة أجرتها اللجنة الإعلامية والثقافية للجبهة الشعبية في السجون مع الأسير القيادي في الجبهة الشعبية الرفيق ثائر حنيني، تحدث فيها عن الحركة الأسيرة، نشرتها بوابة الهدف.

(٢) أحمد سعدات، صدى القيد، هوامش ص ٦٠.

ومن السجون والمعتقلات التي استخدمها العدو الصهيوني كمعاقل لكسر إرادة المعتقلين، واستفرد فيها ضباط مخابرات العدو الصهيوني بهؤلاء الأبطال، واستخدموا معهم أبشع أنواع وصور التعذيب، وبشكل متواصل لانتزاع الاعتراف منهم بالقوة وبأسرع وقت ممكن، سجن غزة المركزي[١]، وسجن بئر السبع المركزي[٢]، وسجن عسقلان المركزي[٣]، ومجمع سجون الرملة[٤].

ومن ضربات الاعتقال التي تعرضت لها قيادة الجبهة الشعبية وكوادرها العسكرية في تلك الفترة، والتي كان لها وقع هام على الأحداث:

---

(١) أنشئ في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي، وكان يقع في إطار مقر القيادة العسكرية البريطانية صاحبة الانتداب على فلسطين آنذاك، وقد جعلت جزءا من المبنى سجناً مركزياً للثوار الفلسطينيين وبعد نكبة عام ١٩٤٨، ووضع قطاع غزة تحت وصاية الإدارة المصرية، استخدم هذا المقر كمجمع للدوائر الحكومية، وخصص جزء منه كسجن لسكان في قطاع غزة، وبعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ استخدمه العدو الصهيوني كسجن ومركز تحقيق للفدائيين والمنتمين لفصائل الثورة الفلسطينية.

(٢) تم إنشاء سجن بئر السبع "سجن إيشل"، في بداية عام ١٩٧٠، وهو السجن الأول في إسرائيل الذي تم بناؤه ليستعمل سجناً، يقع جنوب مدينة بئر السبع على طريق إيلات، حاولت إدارة سجن بئر السبع إجراء جملة من التجارب على الأسرى، من خلال طرح برامج حوارية للأسرى مع بعض الأدباء الصهاينة، أمثال "ساسون تسوميخ"، لكن الأسرى بحسهم الوطني والأمني، أفشلوا الأهداف الدنيئة لتلك الحوارات، مما دفع إدارات السجون لوقفها.

(٣) أنشئ في عهد الانتداب البريطاني مقراً لقيادة الجيش البريطاني في عسقلان ومحيطها وسرايا لاستقبال الوفود البريطانية الرسمية، وداخل سرايا عسقلان خصص جناح من المبنى مركز تحقيق وتوقيف، وفي بداية عام ١٩٦٩، بسبب وتيرة العمليات العسكرية، وتصاعد ضربات الفدائيين وازدياد عدد المعتقلين، قرر العدو الصهيوني افتتاح سجن عسقلان المركزي الأكثر دموية، وشهد افتتاح المعتقل تنكيلا بالأسرى الفلسطينيين حيث كانوا يمرون وسط صفين من البوابة وصولا إلى غرف وزنازين السجن، بينما الهراوات تنهال على أجسادهم والذي عرف بعد ذلك بـ "التشريفة"، ويوجد في هذا السجن خمسة أقسام بجانب قسم الزنازين، ويحيط به سور يرتفع إلى حوالي ستة امتار ومحاط بالأسلاك الشائكة، إضافة إلى أبراج المراقبة، ويشتهر بزنازينه الرطبة التي لا تدخلها أشعة الشمس، والحرارة القاسية التي لا تطاق، إضافة إلى جناح خاص بالشاباك الإسرائيلي للتحقيق مع الأسرى الفلسطينيين والعرب، وقد فرضت مصلحة السجون العمل الإجباري على الأسرى في ورش عمل ملحقة بالمعتقل، استطاع الأسرى مقاطعة مرافق العمل بشكل كامل عبر سلسلة طويلة من الاحتجاجات سواء على الاحتجاز أو على إجبارهم على العمل، ونجحوا في وقف هذا الأسلوب الإجرامي نهائياً.

(٤) أنشئ في سنة ١٩٣٩، إبان الاستعمار البريطاني على فلسطين، تم تحويل السجن لمركز للجيش بعد قيام الكيان الصهيوني في سنة ١٩٤٨، وفي سنة ١٩٥٣ خصص جزء من السرايا سجناً للفدائيين الفلسطينيين، وفي سنة ١٩٦٧ تم تحويل السرايا بكاملها إلى سجن مركزي للجنائيين اليهود فضلاً عن الأسرى الفلسطينيين الذين هم من منطقة القدس خصوصا، وأطلق عليه اسم (أيالون).

(١)

اعتقال الرفيق عمر خليل عمر

المسئول العسكري لطلائع المقاومة الشعبية

نفّذ الذراع العسكري لحركة القوميين العرب العديد من العمليات النوعية، من زرع الألغام ونصب الكمائن للدوريات العسكرية والهجوم على مقر الحاكم العسكري، الأمر الذي أعطى حركة القوميين العرب ميزة خاصة عبر اتساع عملياتها وكثافتها ونوعية الأهداف المختارة بعناية، وفي ٢٤ يناير ١٩٦٨ اعتقل مسئول الجهاز العسكري لطلائع المقاومة الشعبية في القطاع، الرفيق عمر خليل عمر، الذي كان بحوزته قوائم بأسماء أعضاء الحركة، مما أدى إلى اعتقال غالبية أعضاء الجهاز العسكري آنذاك، وكان من بين المعتقلين في تلك الضربة، الرفيق محمد الأسود "جيفارا غزة"، وعلى إثر ضرب الجهاز العسكري، سرعان ما أعلنت الطلائع عن نفسها باعتبارها فرعاً للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي تشكلت في ١١ ديسمبر ١٩٦٧ (١).

(١) في مقابلة مع الرفيق إبراهيم شاهين.

(٢)

اعتقال الرفيق عبد الرحمن قاسم

القائد العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في قطاع غزة

غادر الرفيق عبد الرحمن قاسم قطاع غزة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧، متجهاً إلى مصر، وهناك التحق بالتدريب في معسكر أنشاص العسكري، ثم سافر إلى قاعدة الحبّانية في العراق، ومنها إلى الأردن، وفي منطقة غور الأردن تسلم مسئولية خلية عسكرية نفّذت العديد من العمليات العسكرية عبر نهر الأردن، وفي بداية عام ١٩٦٨عاد متسللاً إلى قطاع غزة، بتكليف من القيادة العسكرية للجبهة.

وبعد فترة وجيزة قامت قيادة الجبهة برفد كادرات عسكرية إضافية للقطاع لتعزيز وإسناد الخلايا العسكرية التي أشرف الرفيق عبد الرحمن على تشكيلها، ومنهم الرفيق محمود أبو ديب الملقب "رمزي أبو السباع"، والرفيق سليمان القطشان الملقب "قحطان الشعبي[١]"، والرفيق عودة أبو صوصين، الذي نشط في منطقة سيناء وشكّل مجموعات قتالية هناك.

وبعد أن باشرت هذه الخلايا بتنفيذ العديد من العمليات العسكرية النوعية، تنبّه العدو الصهيوني للخطر الذي باتت تشكله هذه المجموعات، وطالت ضرباتها ضباط مخابراته، فكثّف جهوده للقضاء على عناصر هذه المجموعات، وعلى من يقود وينظم أنشطتها.

وفي إبريل ١٩٦٩، غادر الرفيق عبد الرحمن قاسم قطاع غزة ومعه مجموعة من الرفاق منهم: الرفيق محمد أبو عتيق، والرفيق سليمان القطشان، لتبريد عمليات الملاحقة والمطاردة للعناصر المسلحة في القطاع، بعد نجاحهم في تشكيل عدد كبير من الخلايا العسكرية، والتي تعمل في الخفاء دون مطاردة.

---

(١) قحطان محمد الشعبي: أول رئيس لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية في الفترة من ١٩٦٧ إلى ١٩٦٩، والتي عرفت فيما بعد بجمهورية اليمن الديمقراطية.

وبعد أشهر قليلة عاد نفس أفراد المجموعة مرة أخرى إلى القطاع عن طريق البحر، وعند وصولهم للشاطئ قبالة منطقة الشيخ عجلين تحطم قاربهم، وطاردتهم قوات العدو هناك، لكنهم نجحوا في الإفلات منها، بعد أن خسروا حمولة القارب من الأسلحة والعتاد[١].

وفي أغسطس عام ١٩٦٩، بعد أن نجح الفدائي الرفيق سلامة العروقي[٢] من تصفية الحاكم العسكري للمنطقة الوسطى الملقب "أبو النور"، اختبأ في خزان المياه المصنوع من الإسمنت (الحاووز)، شرق مخيم المغازي، وقضى هناك يومان.

فرضت قوات العدو الطوق على المخيم وفتشوا عنه في كل مكان، إلا أنهم لم يفلحوا في القبض عليه، فلم يخطر ببال أحد أنه كان يختبئ في حاووز المخيم، وعندما رفع منع التجول، وعلم الفدائيون بالمكان الذي كان يختبئ فيه، ذهبوا إليه وأخرجوه من هناك وهو في حالة صعبة، بعدها بأيام قامت قوات العدو الصهيوني بفرض منع التجول على مخيم المغازي مرة أخرى للبحث عن الرفيق منفذ عملية الاغتيال، صادف في تلك الأثناء تواجد العديد من الفدائيين في المخيم، من بينهم الرفيق عبد الرحمن قاسم.

اعتاد الناس أن يصنعوا في بيوتهم ملاجئ "استقامات" ومخابئ لإيواء الفدائيين ولهذا العمل النبيل قيمته في نفوس الفدائيين الذين كانوا يلقون حفاوة كبيرة من أهالي المخيمات المؤمنين بهم وبأعمالهم البطولية في مواجهة بطش الاحتلال.

عرض أهالي المخيم على الرفيق عبد الرحمن قاسم الاختباء في بيوتهم في الوقت الذي بدأت فيه قوات العدو تفرض منع التجول، فآثر الرجل العصامي أن يختبئ في حاووز المياه كي لا يتسبب في إيذاء أحد بسبب بطش الاحتلال وقمعه للأهالي الذين كانوا يفتحون بيوتهم للفدائيين ويؤونهم، لم يكن يعلم أن رفيقه العروقي اختبأ في الحاووز قبل أيام وأصبح أمره مكشوفاً للعدو، وأثناء منع التجول توجهت قوات غفيرة إلى الحاووز، وألقت القبض على الرفيق القائد عبد الرحمن قاسم الذي كان مختبئاً هناك[٣].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق إبراهيم شاهين.

(٢) ولد في مدينة بئر السبع في عام ١٩٤٨، تولى مسئول الجهاز العسكري للجبهة الشعبية في خانيونس، استشهد خلال مواجهة عسكرية بتاريخ ١٩٧٠/٠٤/٠٧ (سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٣) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة.

(٣)

اعتقال الرفيق عبد العزيز الميناوي

القائد العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في قطاع غزة

في أواخر عام ١٩٦٩، اتسعت دائرة المقاومة الشعبية وتطور مستواها، في المقابل شن العدو حملة عسكرية واستخباراتية شرسة للبحث عن العناصر التي دخلت إلى قطاع غزة قبل عدة أشهر، المسئولة عن العمليات الفدائية التي حدثت مؤخراً في غزة.

وفي إحدى العمليات الاستخبارية اللوجستية، استخدموا وحدة من المظليين التابعة لكتيبة (١٠١)، بهدف اعتقال أحد عناصر هذه المجموعة، وهو الرفيق سلامة السعيدني[١] الملقب "أبو الحر"، بعد وصول معلومات عن وجوده في شمال القطاع، وقاموا بتفتيش البيارة بالكامل، ولم يتركوا شبراً واحداً فيها إلا وخضع لعمليات البحث والتفتيش، باءت محاولاتهم بالفشل رغم دقة المعلومات التي حصلوا عليها من أحد المخبرين آنذاك، بعد أن اختبأ الرفيق المطلوب في بئر ماء على عمق أكثر من عشرين متراً في تلك البيارة، حضر في تلك العملية شارون وأشرف على عمليات التفتيش بنفسه، وحلقت طائرات هيلوكوبتر فوق سماء البيارة، ومكثوا هناك ساعات طويلة، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل.

كان هناك تركيز وإصرار على إلقاء القبض على عناصر هذه المجموعة الخطرة كما كان يسميها العدو، وكثف من عمليات الملاحقة وفرض الطوق والتنغيص على المواطنين وإرهابهم وتهديدهم بعدم تقديم أي مساعدة لعناصر "المخربين"، وفي هذه الظروف الصعبة، وتحت إلحاح الضرورات التنظيمية والنضالية استشعرت القيادة العسكرية للجبهة في القطاع بالخطورة من إمكانية نجاح العدو في اعتقال أفراد هذه

---

(١) ولد بتاريخ ١٩٤٦/١٢/٠١، في مدينة بئر السبع، نزح مع عائلته قسراً إلى مخيم البريج في نكبة ١٩٤٨، التحق بصفوف الجبهة الشعبية منذ تأسيسها في ديسمبر عام ١٩٦٧، واجتاز دورات عسكرية عدة، وحضر إلى قطاع غزة في أول دورية قادمة إلى قطاع غزة عن طريق البحر، واعتقل في نهاية سبتمبر ١٩٦٩ مع الرفيق عبد العزيز الميناوي، وحكم عليه بالسجن ١٠ سنوات، وتم إبعاده إلى جنوب لبنان بعد أن أفرج عنه في أكتوبر ١٩٧٩.

المجموعة، لأنهم قاموا بتدريب المئات من الشباب وأشرفوا على تشكيل الخلايا العسكرية في كافة أرجاء القطاع، فاتخذت قرارها بإخراج عناصر هذه المجموعة من القطاع، وهم الرفاق: عبد العزيز الميناوي، وسلامة السعيدني، ومحمد الطيب، وعبد الرحيم الغول، وعبد العظيم خضر، وعبد المنعم نوفل، لتخفيف عبء الملاحقة والمطاردة عن المقاتلين الآخرين، ولحماية باقي المجموعات من خطر التعرض لضربات الاعتقال فيما لو ألقي القبض على أحدهم بعد أن أصبحوا مطلعين على كافة التشكيلات العسكرية في القطاع في تلك الفترة، وفي بيارة "قرقش" الواقعة خلف سينما السامر في مدينة غزة، التقى الرفيق جلال حافظ عزيزة(١) بأفراد هذه المجموعة، وأخبرهم بأن التنظيم قد أنهى ترتيبات خروجهم إلى الأردن.

تحدد موعد مغادرة الرفاق مساء يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٦٩، وانتقلوا بصحبة والد الرفيق "أبو الحر"(٢) إلى العريش، وتنكروا في ملابس أهل العريش، وحملوا معهم سلاحهم الشخصي، وبعض الأموال وتقارير تنظيمية بحوزة قائد المجموعة الرفيق الميناوي، وبعد أن اجتازوا مدينة رفح بقليل، وصلوا خيمة الدليل(٣) ودفعوا له مبلغاً من المال مقابل إنجازه إنجازه مهمة إخراجهم من المنطقة، والتقوا أيضاً بآخرين من حركة فتح(٤)، خرجوا لنفس السبب من القطاع.

بدأت رحلتهم ليلاً مشياً على الأقدام، يتقدمهم الدليل العجوز راكباً على الجمل، توجهت قافلتهم نحو الجنوب بمحاذاة الشريط الحدودي، كانوا يكمنون في النهار ويواصلون متاهتهم في الليل، بين سلاسل جبلية ممتدة ذات مسالك وعرة، في ليلتهم الأولى قطعوا مسافة لا تقل عن ٤٠ كيلومتر، عندما طلع عليهم النهار كانوا قد وصلوا منطقة "القصيمة"، فكمنوا هناك إلى أن حل المساء.

---

(١) من القيادة العسكرية للجبهة الشعبية، وكان ضمن مهامه تنسيق العلاقات بين المجموعات.

(٢) كان والد الرفيق السعيدني على معرفة واسعة بأشخاص من سكان سيناء، لذلك طلبت منه قيادة الجبهة باختيار دليل مناسب لتأمين رحلة سفر الفدائيين ووافق على ذلك.

(٣) الحج سالم وشقيقه غانم.

(٤) يحيى التلباني، فرحان اللوح، أحمد اللوح، وهم من مقاتلي حركة فتح.

واصلوا مسيرهم بنفس همة اليوم الأول، ومع بزوغ الفجر عادوا إلى الاختفاء مرة أخرى، لم يكونوا بحاجة للكثير من الطعام، سوى بعض المعلبات وقليل من الطحين، إلى أن وصلوا منطقة "وادي فيران"، على مسافة ١٥٠ كيلومتر من بداية رحلتهم، وفي تلك الليلة استراحوا قليلاً في كتف الوادي، وجلسوا بالقرب من بئر ماء[١]، وأشعلوا النار وجهزوا طعام "الملة"[٢] وأعدّوا شايهم على الحطب، وأثناء تناولهم طعامهم الزهيد نادى عليهم من بعيد شخص غريب، يختفي خلف تلة أعلى الوادي، ولم يكشف لهم عن شخصيته . .

-"مين اللي هناك ؟؟" . .

الصحراء وجبالها المترامية والوادي الذي استراحوا فيه جعل الصوت يتردد من كل مكان، فكانوا يسمعون صدى الصوت وكأنه ينبعث من الجبال المحيطة بهم، لم يعرفوا ما الذي يريده منهم، طلب أن يتحدث مع واحد منهم . .

-"واحد فيكو ييجي . ."

دق ناقوس الخطر، وبدأوا يتساءلون فيما بينهم، من يا ترى هذا الرجل ؟!!، فأجابهم الدليل بأنه جاسوس للاحتلال، قرر الرفيق أبو الحر الذهاب إليه، ليحسم أمره، وأخذ معه الدليل ليتحدث معه بلكنة أهل العريش، حتى لا ينكشف أمرهم، ويعرف أنهم أغراب وليسوا من أهل المنطقة، واتجها نحو التلة التي يأتي منها الصوت، وإذ بالرجل الغريب ينادي بأعلى صوته . .

- "خَلَّك مكانك"، واستمر في حديثه معهم - "إيش تكونوا إنتو . . ؟"

أجابه الرفيق أبو الحر:

- "إحنا من سكان رفح، ورايحين ع الأردن، وفش عنا رغبة نؤذيك أو نؤذي غيرك".

- "إنتو من اللي بِلَفلفوا إهْني ؟".

---

(١) كان العدو ينصب كمائنه بالقرب من آبار المياه لمعرفته بأن هذه الآبار ستشكل عنصراً جاذباً للفدائيين الذين كانوا يتسللون من غزة إلى سيناء.

(٢) يتم خلط الطحين مع قليل من الماء وتقليبه على النار.

لم يفهم الرفيق أبو الحر ما يقصده الغريب، فسأل الدليل عن معنى كلامه، فأجابه الدليل بأن السؤال يعني "هل أنتم من الفدائيين ؟ "، فرد عليه الرفيق أبو الحر:

- "إحنا مش من اللي بلفلفوا"

رفض الغريب أن يتجاوب مع حديثهم ورد عليهم بغلظة، وحسم أمره معهم . .

- "طيب أقعدو مكانكو، والله إن تحركتو غير أردكم على قفاكم"

- "عيب يا رجل، إحنا رَبع بعضنا"

- "والله غير أرُدكم على قَفاكم"

تيقّن الرفاق بأن هذا الغريب جاسوس للاحتلال، وينوي تسليمهم للعدو، فالاحتلال يجند هؤلاء ويزودهم بالسلاح ويغدق عليهم بالأموال مقابل تمشيط الصحراء والقبض على الفدائيين، احتاروا كيف يتخلصون من شره، فهم لا يعرفون مكانه ليطلقوا عليه النار، ولا يستطيعون إلقاء قنبلة باتجاهه فهو في مكان مرتفع لا تطاله قنابلهم، كان خيارهم أن يبتعدوا عنه وأن يغادروا المكان بسرعة.

تحركوا بأقصى جهد، واجتازوا سلسلة الجبال الشاهقة، وقطعوا مسافة كبيرة أبعدتهم عن خطر الرجل الذي قطع عليهم الطريق، إلى أن وصلوا إلى أرض منبسطة ومكشوفة، أصبحت فيها الحركة خطرة ومن السهل كشف أمرهم والقضاء عليهم، فكمنوا مع حلول الصباح كعادتهم وتحلقوا في مجموعات، كل مجموعة من ثلاثة أشخاص وتبعد عن الأخرى ٣٠٠ متراً، حتى لا يسهل اكتشافهم.

أربعة أيام مرت في غياهب صحراء سيناء، أصبحت مدينة إيلات على مرمى بصرهم، وأعمدة الكهرباء تلوح من بعيد وتعطيهم أملاً باقتراب نهاية رحلتهم، وفي ساعات الصباح الأولى سمعوا هدير الدبابات يأتيهم من بعيد، ويقترب منهم أكثر فأكثر، فدب الرعب في قلوبهم، وتعاظمت معاناتهم واختلطت أحاسيسهم بين الارتباك والجوع، فكمنوا في كتف آخر جبل في السلسلة الجبلية العملاقة، وعندما اقتربت الدبابات وتأكدوا أنها تقتفي أثرهم، اعتلوا سفح الجبل واختبأوا خلف كتلة صخرية هناك، ثم تفاجئوا بطائرات ميراج تحوم فوق رؤوسهم، وترسم خطاً أبيضَ في السماء يتجه نحوهم، إشارة منها للدبابات لتتجه نحو مكان اختبائهم.

بدأت الطائرات تطلق النار على أي جسم مشبوه على الأرض وواصلت الدبابات عمليات البحث والتفتيش، انتقل الفدائيون بسرعة إلى سفح جبل آخر، واختبأ كل ثلاثة منهم في مكان مغاير ووضعوا فوق رؤوسهم عشباً ناشفاً وكمنوا بين الصخور، ومع حلول المساء انسحبت الطائرات واندحرت الدبابات بعد أن فشلت في العثور عليهم.

تجمع المطاردون من جديد، وفتشوا عن الدليل وشقيقه فلم يجدوهما، لاذ الدليل بالفرار وتركهم بلا طعام أو شراب يواجهون مصيرهم وسط رمال الصحراء الشاسعة.

وبعد خمسة أيام مرت على سفرهم، خارت قواهم الجسدية والمعنوية وأصبحوا عاجزين عن مواصلة المسير، وأصيب أحدهم بالإعياء الشديد وعدم القدرة على المشي، ونصح رفاقه بأن يتركوه ويواصلوا طريقهم بدونه، فاستراحوا قليلاً وكمنوا عند حافة وادٍ صغير هناك، لم يتبق أمامهم سوى ساعتين من المشي ليصلوا إلى مدينة إيلات، كانت الأرض منبسطة ومكشوفة، وكان من السهل تشخيصهم، وعلى مسافة بعيدة سمعوا صوت كلاب تنبح بشكل متواصل ، فقال أحدهم:

– صوت الكلاب يعني أن هناك أناساً يسكنون في مكان قريب.

ذهب اثنان منهم باتجاه الصوت لجلب الطعام والماء إلا أنهما لم يرجعا، فاحتار الباقون في أمرهما، فذهب اثنان آخران للبحث عنهما إلا أنهما لم يعودا أيضاً.

استقبل شيخ القبيلة ضيوفه، وبالغ في الترحيب بهم، قضى الرفاق الأربعة ليلتهم في خيمة الشيخ بعد أن أعطاهم الأمان، ودون أن يشعروا أخبر العدو عنهم، ومع ساعات الفجر الأولى حضرت دورية للعدو إلى خيمة الشيخ، تحفز الرفاق للمواجهة لكن الشيخ نجح في خداعهم مرة أخرى، وأوهمهم بأنها دورية تمر بصورة اعتيادية من المكان، وطلب منهم أن يقولوا إذا ما أتت إلى الخيمة وسألتهم عن هويتهم بأنهم من أبنائه، ولدى وصول الدورية العسكرية إلى خيمة الشيخ، كان الجنود في حالة تأهب، وعندما سأل قائد الدورية: أين هم ؟، قام الشيخ بتسليمهم واعتقالهم.

أما الباقون فقد مكثوا في مخبأهم بانتظار رفاقهم، وبعد لحظات حلقت فوقهم طائرة عسكرية، وسمعوا أصوات دبابات تقترب منهم مع مرور الوقت، اعتقدوا حينئذٍ أن الدبابات تسير في طريقها خصوصاً وأن هناك طريق رملية بالقرب من إيلات تتحرك فيها دوريات

العدو بشكل اعتيادي، اختبأوا خلف ربوة صغيرة لتخفيهم عن أعين أعدائهم، توقفت الدبابات على مسافة قريبة منهم، ونزل منها الجنود وتحركوا باتجاههم، بعد أن حددت الطائرات مكانهم بالضبط، وأحاطت بهم من كل جانب، وتم اعتقالهم في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٩، ونقلوا بطائرة هيلوكوبتر من مكان قريب من البحر الأحمر إلى سجن صرفند[١].

وعند تقديمهم للمحاكمة حرص العدو على حضور صحافة أجنبية لتوثيق اعترافات هذه المجموعة الخطرة التي حضرت من الخارج (بحسب لسان حال المحكمة)، واعتبروا القبض على عناصرها انتصاراً وصيداً ثميناً[٢].

---

(١) يعد هذا المركز، معتقلاً للتحقيق، ومكاناً لممارسة أنواع مختلفة من التعذيب والإرهاب بحق المعتقلين الفلسطينيين، يتألف من بناية كانت تستخدم في عهد الانتداب البريطاني، وتقسم إلى قسمين: القسم الأول: الزنازين، وتشرف عليها المخابرات، وهي مخصصة للتعذيب، ومساحة الزنزانة الواحدة لا تتجاوز متراً مربعاً، بحيث لا يتمكن المعتقل من النوم، والقسم الآخر من المعتقل يتكون من مجموعة من الغرف، وهي أشبه بالزنازين أيضاً، وعندما يدخل المعتقل إلى هذا المعسكر يكون معصوب العينين، وكذلك لدى خروجه منه، وجميع الذين تم إدخالهم إلى هذا المعسكر هم من المعتقلين الذين يعدوا بالنسبة للاحتلال الصهيوني من الخطرين جداً.

(٢) في مقابلة مع الرفيق سلامة السعيدني.

(٤)

اعتقال الرفيق أحمد عمران

اعتاد الاحتلال الصهيوني أن يفرض الطوق وحظر التجول على أي مخيم بمجرد وصول معلومات عن وجود أي من المطاردين فيه، وبسرعة كانت تهرع دورياته للمكان لمطاردة هؤلاء المقاتلين أو مداهمة المخابئ التي كانوا يتواجدون فيها، إجراءات عقابية قاسية يفرضها العدو بحق أي من المواطنين الذين تتهمهم بتقديم مساعدات للمطاردين أو إيوائهم في مخابئ أعدوها في بيوتهم.

قررت قيادة الجبهة سفر عدد من المطاردين المطلوبين للاحتلال لتخفيف أعباء المطاردة ولنزع الذرائع في فرض عقوبات على أهالي المخيمات وحمايتهم من بطش الاحتلال، وفي بداية مارس ١٩٧٠ بدأت رحلة سفر ثلاثة من الرفاق المطاردين، الرفيق إبراهيم الشاعر[١]، والرفيق حسن العامودي، والرفيق أحمد عمران الذي كان أصغرهم سناً، إذ لم يتجاوز عمره في ذلك الوقت ١٧ عاماً.

انتقلوا إلى سيناء في سيارة للرفيق خميس البيروتي، لم يأخذوا معهم أي شيء بعد أن أبلغهم الوسيط الذي رتب لمغادرتهم من القطاع بأن رحلة سفرهم لن تتجاوز أكثر من ثلاثة أو أربعة أيام فقط، أوصلهم السائق إلى منطقة الماسورة في بلدة الشيخ زويد شمال العريش، حيث يوجد الدليل الذي سيكمل معهم رحلة السفر إلى الأردن.

استقبلهم الشيخ الذي دفع له التنظيم ٣٣٠٠ ليرة مقابل تأمين رحلة سفر الرفاق للأردن خير استقبال واحتفى بهم، كان بحوزة كل رفيق منهم مسدسه الشخصي وقنابل، تحرك الرفاق الثلاثة بعد غروب الشمس بعد أن لبسوا ملابس أهل سيناء، وركبوا على

---

(١) ولد في مخيم المغازي بتاريخ ١٩٤٩/٠٩/٠٦، وهاجرت عائلته قسراً إلى قطاع غزة في نكبة ١٩٤٨، التحق بالثورة من خلال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكان فاعلاً في إحدى مجموعاتها المقاتلة، شارك في العديد من العمليات البطولية منها عملية السوق في مخيم المغازي، اعتقل في إبريل ١٩٧٠، وأفرج عنه في نوفمبر ١٩٧٧، ولا زال ملتزماً بالخط الكفاحي للحزب.

الجمال، وبصحبتهم اثنان من البدو، وهما الدليلان اللذان سيكملان معهم الطريق إلى الأردن.

بعد ثلاثة أيام وصلوا إلى وادي العريش، وعندما بدأوا يشعرون بالجوع والعطش، أخذ الدليل يخلط قليلاً من الطحين مع الماء ويقلّبها على نار الحطب[١] ويقدمها لهم، واصل الرفاق مسيرهم إلى أن وصلوا بعد أيام إلى منطقة أم خشيب، وهي منطقة مرتفعة فيها موقع عسكري للعدو الصهيوني يستخدم مهبطاً لطائرات الهليكوبتر.

كانوا يواصلون مسيرهم طوال الليل ، وينامون في النهار، كما تنخ جمالهم لتستريح من عناء السفر، وبعد ساعات مرت بهم قوة من الجيش، لم يخطر ببال أفراد العدو أن من يقف أمامهم هم من عناصر الفدائيين الذين يذيقون جنودهم في القطاع ويلات الجحيم، اعتقدوا أنهم من بدو سيناء فطلبوا منهم الابتعاد عن المكان، كانت المنطقة تشهد حركة نشطة لدوريات العدو في الليل، فاتجهوا بعيداً عن أنظار قوات العدو، وأكملوا استراحتهم حتى غروب الشمس.

وبعد مرور خمسة عشر يوماً من بداية رحلتهم وصل الرفاق منطقة "الراحة"، وهناك تزودوا بقليل من الطعام وعلب السجائر، ووصلوا إلى ثميلة[٢] يتجمع فيها الماء وتشرب منها الدواب والكلاب، ويشرب منها التعساء ممن يمرون من هذا الطريق، فشرب منها الفدائيون، وقضوا حاجتهم وأكلوا من ثمار شجرة السيال[٣] المنتشرة هناك، واستراحوا بظلها قليلاً، وأثناء استراحتهم جاءهم أحد سكان المنطقة يبحث عن بعض حاجياته يدّعي أنه فقدها في المكان الذي يجلسون فيه، وأبلغهم بوجود قوات من الجيش ممن يقصّون الأثر قادمين إلى المكان[٤]، وتناول معهم الطعام ثم غادرهم.

---

(١) يسمي أهل البادية هذا الطعام باسم " الملّة ".

(٢) تجمع صغير للماء، تشرب مه الحيوانات ويكثر انتشارها في صحراء سيناء.

(٣) من الأشجار المثمرة التي تنبت في صحراء سيناء، ذات أشواك كبيرة وحادة وتنمو على ضفاف الوديات الجافة، وهي من الأشجار الآخذة في الانقراض.

(٤) يقول "أرئيل شارون" في مذكراته، ترجمة أنطوان عبيد، ص ٣١٣-٣١٤: جمعنا في وقت قليل مئات المتطوعين، الذين جذبتهم فكرة الخدمة كمتعقّبين، وكشافة في فرقة جمّالين، كل هؤلاء البدو على ظهور الجمال متعممين بكوفية صفراء يقومون بأعمال الدورية في الصحراء، كما فعل أجدادهم طوال أكثر من ألف سنة، كان أولئك البدو كشافة لا مثيل لهم، صيادين بالفطرة، وأكثر فاعلية إجمالاً من زملائهم اليهود، فما أن يشتموا رائحة أثر حتى ينتهي بهم البحث إلى إيجاد فريستهم.

في المساء شدّوا رحالهم وواصلوا مسيرهم إلى أن وصلوا منطقة "جبل غارب"[١]، كانت الطريق وعرة للغاية وحركتهم فيها حذرة وبطيئة، الظلام الدامس ضاعف من صعوبة اجتيازهم الطريق، وعن بعد كمن لهم الشخص الذي التقاهم قبل ساعات، فأوقفهم وقطع عليهم الطريق، وهددهم بقوة السلاح، وطلب منهم أن يسلموه ما بجعبتهم من مال وزاد، استنكر الرفاق فعلته وبدأوا في محاورته.

ودون أن ينتبه أحد، استدار الرفيق أحمد عمران من الخلف، وأمره أن يرمي بندقيته على الأرض، وأن يرفع يديه لأعلى، وإلا فسوف يفجر رأسه بقنبلة يحملها في يده، وفتح القنبلة فشعر خصمهم بالخوف، وسلم سلاحه وامتثل لأوامر الرفيق عمران، ورغم خسته ونذالته إلا أنهم أعادوا له بندقيته بلا طلقات، وطلبوا منه ألا يعترض طريقهم فيما بعد، واكتفوا بتهديده.

بعد عشرين بوماً على مسيرتهم الوعرة وصلوا لمنطقة تسمى "الرملتين"، ثم اجتازوها إلى أن وصلوا وادي الوحوش في منطقة عرب المزينة[٢]، ونزلوا فيه وتركوا جمالهم في الأعلى لصعوبة الحركة في منحدر الوادي ، الظلام والبرد القارس والجوع والعطش رفيقهم الدائم في مسيرهم الشاق، التصقوا بجمالهم أثناء المسير بحثاً عن الدفء، وفي قعر الوادي غادرهم الدليلان وذهبا بحجة البحث عن الطعام، وبعد يوم من انتظار الدليل صعد الرفيق إبراهيم للأعلى ليستطلع الأمر، فوجد أن الدليلين قد أخذا الجمال وهربا ليتركا الأغراب يواجهون مصيرهم في صحراء الموت وسط هذا القحط والجفاف والجوع.

فقد الرفاق دليلهم ولم يعرفوا إلى أين يتجهوا، ظلوا ملتصقين بثميلة الماء ليشربوا منها، أما زادهم فقد كان شحيحاً وبالكاد يجدون في طريقهم شجرة السيال ليقتاتوا من ثمرها، وبعد أسبوع من الانتظار والجوع أحس الرفاق بأن الموت يقترب منهم رويداً رويداً، وبأن الصحراء المقفرة التي لا حدود لها ستكون المقبرة التي تتوارى أجسادهم المنهكة في ثراها.

---

(١) منطقة جبلية مرتفعة ووعرة جداً.

(٢) قرية تقع جنوب سيناء، ومن أشهر قبائلها قبيلتي المزينة والترابين.

طلب الرفيق أحمد من رفيقيه أن يغادرهما لعله يصطدم بأحد يكمل معهم مسيرهم للخروج من هذا التيه، وفعلاً غادرهم ثم عاد بعد أيام ومعه شخص من قبيلة مزينة الترابين، وأحضر معه وعاءً من اللبن وأشربهم منه وأشبع ظمأهم، وقبل أن يغادرهم وعدهم بالمساعدة بأن يحضر لهم من يكمل معهم مسيرهم، وبعد يوم تفاجأوا بطائرات هيلوكوبتر تحوم فوق رؤوسهم، وتطلق عليهم النار، حضر معهم الرجل الذي زارهم بالأمس ووعد بالمساعدة، ويرافقه شيخ القبيلة[1] الذي بمجرد أن وصلهم انهال عليهم بالشتائم والاتهامات، واتهم الفلسطينيين بأنهم يتسببون في إيذائه وقتله، أسكته ضابط الدورية التي حضرت مع قدوم الطائرات، وهناك تم اعتقالهم واقتيادهم إلى سجن عسقلان، بعد ٤٥ يوماً من المعاناة والجوع والعطش والبرد أنهى "أبو ذراع" رحلتهم وسلّمهم لقوات الجيش الصهيوني، كان ذلك في ١٤ إبريل ١٩٧٠.

اعتقلوا في منطقة نويبع بعد أن شارفوا على الوصول، وبعد أن قطعوا مئات الكيلومترات من بداية سفرهم، وبعد أن أصبحوا على مسافة ليست ببعيدة عن ملاذهم، رحلتهم لم تكن تحتاج كل هذا الوقت، لكن الدليل الذي ضل طريقه اقتادهم إلى عمق الصحراء وتوجه بهم إلى الغرب، فأمضوا ٤٥ يوماً من التيه والضياع، وانتهت بهم رحلتهم إلى سجن عسقلان[2].

---

(١) كانت يده مقطوعة، ولقبه "أبو ذراع".

(٢) في مقابلة مع الرفيق إبراهيم الشاعر.

(٥)

اعتقال الرفيق جلال حافظ عزيزة

القائد العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في قطاع غزة

تم الترتيب لسفر ثلاثة من الرفاق المطاردين، وهم الرفيق أحمد عمران، والرفيق حسن العامودي، والرفيق إبراهيم الشاعر إلى عمان عن طريق أحد الأصدقاء[١]، الذي كان يزوّد الجهاز العسكري بالسلاح مستفيداً من علاقاته ببدو سيناء، واستعد لتأمين سفرهم، وبالفعل خرج الرفاق الثلاثة بتاريخ ١٩٧٠/٠٣/٠١، ومعهم الرفيق أبو حافظ الذي أوصلهم إلى منطقة الماسورة، حيث يوجد الدليل الذي سيكمل معهم طريقهم، وبعد أن اطمأن إلى أمرهم، اتفق مع الدليل على كلمة سر، وسلم الرفاق رسالة لقيادة التنظيم في عمان، وعاد أدراجه إلى القطاع.

قرر الرفيق جلال عزيزة ألا يدخل منطقة رفح وألا يلتقي بالمجموعات المقاتلة هناك أو يلتقي ثانية بصديقهم "الدربي"، إلا بعد أن يتأكد من وصول الرفاق الثلاثة إلى عمان .

بعد شهر من سفر الرفاق الثلاثة، وصلت معلومة للرفيق جلال عزيزة بأن إذاعة صوت الثورة[٢] أذاعت خبر وصول الرفاق الثلاثة: عمران، والشاعر، والعامودي وصلوا إلى قواعدهم سالمين، لم يتيقن الرفيق من صحة هذا الخبر بسبب عدم تسلمه كلمة السر من القيادة بالخارج، وفي نفس اليوم التقى بالرفيق شيبوب في قاعدة "اشدود يعقوب"[٣] في بيارة أبو سليم، وبمجرد أن رآه الرفيق شيبوب بادره بابتسامة قائلاً:

– حمد لله ع السلامة.

– إيش في ؟

(١) محمد الدربي (أبو هشام).

(٢) انطلقت إذاعة صوت الثورة الفلسطينية من القاهرة بتاريخ ١١ أيار عام ١٩٦٨، تزامناً مع انتهاء معركة الكرامة، وقد دعم تأسيسها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر.

(٣) اسم قاعدة عسكرية للجبهة في (بيارة أبو سليم) بمخيم النصيرات، كان يتواجد بها الرفيق شيبوب.

أخبره بأنه سمع البارحة بأذنيه في إذاعة صوت الثورة خبر وصول الرفاق الثلاثة إلى قواعدهم سالمين(١)، ورغم أنه لم يتلق كلمة السر من القيادة، إلا أنه يثق برفيقه شيبوب، وأصبح خبر وصولهم سالمين أمراً مؤكداً بعد أن تم إذاعته في صوت الثورة.

على إثر ذلك قرر الرفيق أبو حافظ الذهاب إلى رفح ليمارس مهماته، وهناك مكث أسبوع بأكمله والتقى بعناصر المجموعات المقاتلة، كما التقى بصديقه "الدربي" الذي رتب لسفر الرفاق الثلاثة، وأعطاه مبلغاً من المال مقابل ذلك، وفي اليوم الأخير أرسل الرفيق أبو حافظ إلى سائق السيارة ليأتيه في الصباح ويرجعه مرة أخرى إلى مدينة غزة.

كان لصاحب البيت ولد شقي شاهده يلعب بمسدس الرفيق أبو حافظ، أثناء تناولهم لطعام الغذاء، فاستأذن ضيفه بأن يخبئ سلاحه بعيداً عن يدي ابنه حتى لا يرتكب جريمة في البيت، قبل الرفيق جلال عزيزة ذلك، وسمح للرجل بأن يخبئ سلاحه وقنابله، المنطقة كانت آمنة، وما هي إلا ساعات ويغادر المكان.

أخلد الرفيق للنوم علّه يأخذ قسطاً من الراحة، لم يكن سلاحه تحت الوسادة كما اعتاد كل ليلة، فصاحب البيت أخفاه تحت سقف المنزل، وفي منتصف الليل داهمت قوة من جيش العدو المنزل لاعتقال صاحب البيت (٢)، ووقف قائد منطقة رفح الضابط "توبيا" فوق رأس الدربي وركلها بقدمه . .

– قوم.

نهض الدربي من نومه مفزوعاً، فسأله الضابط عن اسمه، فأجابه . .

– محمد الدربي يا فندم.

وما أن شعر بهم الرفيق أبو حافظ حتى فزّ من نومه، وفتّش عن سلاحه في الغرفة التي كان ينام فيها إلا أنه لم يجده، احتجزت القوة الدربي وبدأوا في تفتيش البيت، وعندما وجدوا الرفيق جلال، سألوه:

---

(١) أوعزت قيادة الجبهة في الخارج لإذاعة صوت الثورة بإعلان خبر وصول الرفاق الثلاثة، رغم أنهم لم يصلوا بعد ، بهدف التغرير بقوات العدو، وثنيها عن مواصلة البحث والتفتيش عنهم.

(٢) بعد اعتقال الرفاق الثلاثة عمران، الشاعر، العامودي بالقرب من منطقة نويبع بسبب خيانة الدليل الذي خرج معهم، ولم يلتزم بالاتفاق الذي أبرمته معه قيادة التنظيم، قرر الرفاق الانتقام من عناصر الدليل، ومن الشخص الذي رتب لسفرهم، فاعترفوا عليه لاعتقادهم بأنه يتحمل جزءاً من المسئولية كونه ورّطهم باختياره السيء للدليل الذي تركهم في وسط صحراء سيناء وهرب وتسبب في اعتقالهم.

– وحضرتك مين ؟

لم يجبهم عن اسمه، فسألوه مرة ثانية وثالثة، وهو محجم عن الإجابة، وعندما أصرّ "توبيا" على سؤاله، أجابه:

– أنا اسمي جلال حافظ ! . . .

وقبل أن يكمل اسمه انهال عليه "توبيا" وجنوده بالضرب، فسقط مغشياً عليه، ارتبط لسان الضابط من هول المفاجأة، وقال له:

– إنت جلال عزيزة ؟!، وين إنت ؟!، إحنا إلنا ٣ سنوات بندوّر عليك، أنا لو كنت أعرف إنك في البيت لأحضرت قوة من ٣٠٠ جندي وطوّقت كل رفح !!"

وفي بيت الدربي في رفح، اعتقل الرفيق أبو حافظ، وتم اقتياده للأسر مكبلاً بالأغلال[١].

---

(١) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة.

(٦)

اعتقال الرفيق حريص أبو حية

لجأ العدو الصهيوني إلى أسلوب إجرامي يفوق كل أساليبه الإجرامية بشاعة ودموية، فقد دفعه حقده الأسود، والرعب الذي قذفه فرسان ومقاتلو الجبهة في قلوب جنوده الأوغاد، لتصفيتهم حتى في زنازين الموت، وهم مكبلون بالأصفاد، فقد شكل هؤلاء الأبطال خلال مقارعتهم له نموذجاً ساطعاً، وسجلوا بصمودهم في أقبية التحقيق مواقف مشرفة، أطاحت بعنجهية أجهزة المخابرات، وكشفت وجهها الفاشي الأغبر.

ارتكب العدو الصهيوني جرائم بشعة بحق أسرانا الأبطال، ومارست أجهزة استخباراتهم مسلسل تصفيتهم وإعدامهم أكثر من مرة، بعدما كانت تفشل في انتزاع أي اعتراف منهم.

في ١٨ أبريل ١٩٧٠، اعتقل الرفيق حريص أبو حية[١] وهو أحد المقاتلين بمخيم دير البلح، وبعد أشهر من التحقيق القاسي والمستمر معه، وبعد أن فشلوا في انتزاع كلمة واحدة منه، رغم بشاعة وقسوة أساليب التحقيق التي مارستها أجهزة المخابرات بحقه، حملوه في مجنزرة، ترافقها سيارتان عسكريتان واقتادوه إلى المنطقة التي اعتقل فيها، ثم أنزلوه من المجنزرة وأطلقوا النار عليه، تحت ذريعة محاولة الهرب.

استشهد الرفيق حريص أبو حية في ٢١ يوليو ١٩٧٠، كما استخدم العدو هذه الطريقة لتصفية عدد من المقاتلين، ومارست أجهزة المخابرات نفس السيناريو مع أسرى آخرين للجبهة الشعبية في سجن غزة المركزي[٢].

---

(١) ولد في قرية المسمية عام ١٩٤٦، هجر مع أهله قسراً في نكبة ١٩٤٨، نزحت أسرته إلى مخيم دير البلح في وسط قطاع غزة، التحق بصفوف الجبهة الشعبية نهاية عام ١٩٦٨، كان من أوائل الفدائيين الذين قام العدو بإعدامهم والتخلص منهم بعد اعتقالهم، استشهد بتاريخ ١٩٧٠/٠٧/٢١(سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٢) سجل الخالدين، محافظة الوسطى، ص ١٤٩.

(٧)

اعتقال الرفيق علي أبو سلطان

(وداعاً يا رفاقي !)

بعد أيام من إعدام الرفيق حريص أبو حية، في ٢١ يوليو ١٩٧٠، تمكن العدو من اعتقال الرفيق علي أبو سلطان من سكان مخيم النصيرات، على حاجز للجيش الصهيوني وهو لا يحمل هوية تدل على شخصيته، لم يعترف الرفيق أبو سلطان باسمه الحقيقي طيلة فترة التحقيق، ولم تستطع أجهزة المخابرات تشخيصه، بعد أن ادعى أن اسمه "سعيد نبهان".

حكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة شهور، بتهمة عدم حمله البطاقة الشخصية، وأمضى مدة محكوميته في سجن غزة، وفي الفترة التي اعتقل فيها كان معظم المعتقلين في السجن من رفاق الجبهة الشعبية، ومنهم الرفيق كامل العمصي مسئول الغرفة، الذي عمل على توفير التغطية الضرورية للحفاظ على هوية الرفيق مجهولة للجميع، ونجح في إبعاده عن أنظار المعتقلين الذين كانوا من سكان المنطقة الوسطى والجنوبية، خشية أية أخطاء قد تكشف هوية الرفيق.

وبعد أن انتهت مدة الثلاثة شهور، ويوم الإفراج عنه ودع رفاقه المعتقلين، ونزل لاستلام ملابسه وأماناته، ثم خرج من بناية السجن، ولم يتبق عليه سوى الخروج من بوابته الرئيسية، في هذه الأثناء لحق به ضابط درزي كنيته "حمزة الزير" فأمسك به وناداه باسمه الحقيقي، وأخذه على الفور إلى التحقيق مرة أخرى.

وبعد أيام من التحقيق والتعذيب، اعترف الرفيق أبو سلطان على اسمه الحقيقي، لكنه لم يدل بأي اعتراف عن أنشطته العسكرية، وبعد أن اعتقلت مجموعة كبيرة من الرفاق وعلى رأسهم الرفيق شيبوب، أظهرت نتائج التحقيق أن الرفيق أبو سلطان قد نفذ وشارك في العديد من العمليات العسكرية، مما دفع أجهزة الأمن الصهيونية إلى حسم أمرها بتصفية كافة أفراد المجموعة التي قامت بتنفيذ تلك العمليات.

وفي ١ أكتوبر ١٩٧٠ قرر العدو الصهيوني إعدام الرفيق علي أبو سلطان، فجاءه أحد ضباط المخابرات وأخبره بأنه سينقل إلى مخيم النصيرات وسيتم تصفيته هناك، فأجابه بأنه جاهز في أي وقت، "فقط أريد أن أودع رفاقي في الزنزانة"، وفعلاً ودع رفاقه من فتحة صغيرة تعلو باب زنزانته، وقال لهم بأنهم سيأخذونني ليعدموني، كانت آخر كلماته لرفاقه : "والآن وداعاً يا رفاقي"، لم يصدق الرفاق ما قاله لهم رفيقهم علي الذي كان بالفعل يودعهم للمرة الأخيرة(١).

(١) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

(٨)

اعتقال الرفيق سميح أبو حسب الله

(والقيد لي وسام)

اعتقل الرفيق سميح سعيد أبو حسب الله في مخيم النصيرات الغربي بتهمة الانتماء للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والمشاركة في العمليات الفدائية ضد قوات الاحتلال، وذلك صباح يوم ٨ يوليو ١٩٧٠، بعد وشاية من إحدى النساء العاملات مع جهاز المخابرات أثناء منع التجول الذي فرضته قوات العدو بعد أيام من تنفيذ الفدائيين لعملية النادي البطولية، التي نفذها مغاوير الجبهة الشعبية ومن ضمنهم الرفيق البطل سميح، المقاتل الشرس الذي برغم قصر الفترة التي عمل بها مع الفدائيين إلا أنه نفذ العديد من العمليات البطولية والنوعية، التي ستظل شاهدة على شجاعته وإقدامه.

وبناء على معلومة تفيد بأن الرفيق سميح مختبئاً في أحد البيوت في المخيم الجديد، شمال غرب النصيرات، بدأت عمليات الدهم والتفتيش، وأجبر الأهالي على التجمع خلف جامع المخيم في مدرسة ذكور الإعدادية التابعة للأونروا، أصابع الغدر والخيانة وشت بمكانه فأوصلتهم إلى المنزل الذي كان يختبئ فيه، واقتادوه إلى المدرسة أمام تجمهر الناس، وبعد اعتقاله مباشرة فرضوا الطوق على المخيم، لاعتقادهم بأن ذلك يحول دون معرفة رفاقه بمسألة اعتقاله، وبذلك ينجح العدو في توجيه ضربات أخرى لهم.

أخبرنا الرفيق حسين أبو نار(١) الذي اعتقل في نفس اليوم: "كنت يومها أحس بغصة في قلبي ولم أعرف السبب، لم أكن أرغب في العودة للبيت، لكن شيئاً ما كان يدفعني للرجوع إليه، وبالفعل عدت إلى هناك، كان بيتنا في البيارة المواجهة مباشرة لمدخل النصيرات، وكان والدي يعمل ناطوراً فيها، كنا نسكن في الطابق العلوي لغرفة الموتور،

---

(١) ولد في مخيم النصيرات بتاريخ ١٩٥٢/٠٥/١٥، هجرت أسرته قسراً من قرية عاقر في نكبة ١٩٤٨، التحق بالعمل الفدائي في نوفمبر ١٩٦٩، وعمل ضمن مجموعات الفدائيين الناشطة في مخيم النصيرات، نفذ العديد من العمليات الجريئة ، اعتقل ثلاث مرات، وأمضى في سجون الاحتلال أكثر من ١٠ سنوات، ما زال منتمياً لنفس المدرسة الكفاحية التي التحق بها في ريعان شبابه، وما زال مدافعاً عن المبادئ والأفكار الثورية التي دفعته للانتماء للجبهة الشعبية.

فوقفت في شرفة البيت المطلة على النصيرات، كان ظاهراً أمامي رتل من السيارات العسكرية التي كانت تغادر النصيرات معتقداً أنها ستكمل طريقها في شارع صلاح الدين متجهة إلى الشمال، أخفت الأشجار السيارات من أمام عيني قليلاً، فبقيتُ أنتظر خروجها إلى الطريق العام وهي متجهة إلى غزة، بعد لحظات تفاجأت بأن زحفاً من الجنود اقتحم البيارة قادماً إلى البيت، فقفزت من الشرفة، واجتزت سياج البيارة المرتفع وهربت إلى الشرق، لسوء حظي كانت هناك مجنزرة تغادر مخيم البريج، متجهة إلى الطريق العام (شارع صلاح الدين)، واصلت تحركها باتجاهي، فعدتّ أدراجي إلى الخلف، في تلك اللحظة انتشر الجنود في البيارة وآخرون تجاوزوها واقتربوا مني، وبعد أن أوقفت سيارة كانت تمر في الطريق، بدأوا بإطلاق النار تجاه السيارة، حاولت تشجيع السائق على الفرار إلا أنه من فرط خوفه أوقف السيارة، بعدها أحاط الجنود بالسيارة وتمكنوا من اعتقالي، ثم حملوني إلى المخيم الغربي، هناك شاهدت تجمعاً من الأهالي في مدرسة الوكالة شمالي المخيم، واقتادوني إلى غرفة الحليب "حسب ما يسميها الأهالي هناك"، حدثني رجل المخابرات قليلاً، لم أكترث لحديثه، بعدها أحضروا الرفيق سميح، وقتها عرفت أنهم تمكنوا من اعتقاله، صدمني المشهد، وبكيت عندما رأيته، عرفت أنه قد تعرض لتعذيب عنيف جداً لدرجة أن عدداً من أسنانه سقط من فرط التعذيب، كان ظاهراً على وجهه المتورم وأسنانه المكسورة أنهم استفردوا به، وقاموا بتعذيبه بوحشية(١)".

زج به العدو في زنازين سجن غزة المركزي، ومارس بحقه أبشع أشكال التعذيب الجسدي والنفسي، لم تفلح محاولاتهم في كسر إرادته، ولم تنجح في انتزاع الاعتراف منه، سطّر صفحات مشرقة في الصمود رغم صغر سنه وقلة تجربته، وبعد انتهاء فترة التحقيق معه، نُقل إلى قسم(ب) في ذات السجن، وبعد بضعة أيام وتحديدا في ١٢ أكتوبر عام ١٩٧٠، وأثناء وجوده مع زملائه في "الفورة" اليومية، فإذا بضابط المخابرات حمزة الملقب

---

(١) في مقابلة مع الرفيق حسين أبو نار، وقد أضاف بأن الرفيق رزق فرج اعتقل معهم في ذلك اليوم .

** ولد الرفيق رزق محمد فرج فرج في مدينة بئر السبع بتاريخ ١٩٤٥/٠١/٠١، نزح مع أسرته قسراً من مدينة بئر السبع في نكبة ١٩٤٨، وسكن في مخيم النصيرات للاجئين، التحق بصفوف الجبهة الشعبية وعملها الكفاحي في منتصف عام ١٩٧٠، وبسبب انضمامه للفدائيين تم اعتقاله بتاريخ ١٩٧٠/٠٧/٠٨، وحكم عليه بالسجن لمدة عشرين عاماً، أمضى منها ١٥ عاماً، ثم أفرج عنه عام ١٩٨٥، في عملية تبادل الأسرى.

"أبو سالم"، يطل من فتحة الباب الجنوبي المؤدي إلى قسم التحقيق مباشرة، يرقب بعينيه الذئبتين تحركات الأسرى في الساحة، وعندما شاهد الرفيق سميح جن جنونه وصرخ بأعلى صوته:

- "أبو حسب الله"

وعلى مسمع ومرأى من جموع الأسرى الذين كانوا معه في "الفورة" صرخ:

- " انت هون.. لسّاتك عايش..!!"(١).

كانت انفعالات الضابط وملامح وجهه وكلماته ونبرة صوته توحي بمدى حقده، وبأنه سيقدم على جريمة ما، وبنفس الطريقة البشعة التي أعدم بها الرفاق حريص، وأبو سلطان، أخرجوه من زنزانته مكبل اليدين والقدمين، وحملوه في مجنزرة ترافقها عدة سيارات عسكرية واقتادوه إلى مسقط رأسه في مخيم النصيرات، وبعد أن طافوا به شوارع المخيم، طلب منهم قبل إعدامه أن يودع أمه وأباه، وبالفعل سمحوا له بوداعهما، واقتادوه إلى منطقة "الكلبوش" مكسر الأسنان ومنزوع الأظافر، وذهبوا به إلى منزله مكبّل اليدين والقدمين وسمحوا له بتوديع أهله، أخذوه إلى إحدى بيارات البرتقال غربي المخيم، وأطلقوا النار عليه، وعادوا به إلى أهله وسلموهم الجثة والقيود في يديه، جثة مطرزة بوابل من الرصاص، وقالوا لهم بأنه قد حاول الهرب فقتلناه(٢).

ويذكر الرفيق علي الصلحات(٣) ضمن شهادته عن تلك الفترة فيقول: "من ضمن الذكريات التي لا تفارقني أبداً، ومن المواقف التي ما زالت تؤلمني وتؤثر في نفسي، حينما نادوا على الرفيق سميح بميكروفون السجن وخرجوا به، كانت يدي مكبلة مع يد الرفيق

(١) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة.

(٢) في مقابلة مع الرفيق جهاد مشالي.

(٣) ولد في عام ١٩٥٢، هجرت أسرته قسراً من قرية المنصورة قضاء الرملة في نكبة ١٩٤٨، التحق بالجبهة الشعبية في نهاية ١٩٦٩، وعمل في المجال السياسي، ثم التحق بالعمل العسكري بعد أن تمت مطاردته من قبل قوات العدو في إبريل ١٩٧٠، عمل ضمن مجموعات النصيرات، ونفذ العديد من العمليات من أبرزها عملية نادي النصيرات، اعتقل في أغسطس ١٩٧٠، وحكم عليه بالسجن ٢٠ عاماً، أمضى منها ١٥ عاماً، وأفرج عنه في عملية التبادل سنة ١٩٨٥.

سميح، وفي المساء حينما استفسر الأسرى عن مصير رفيقهم الذي خرج ولم يعد، ردت إدارة السجن بأنه قُتل بعد أن حاول الفرار[١]".

ويروي لنا أخوه يوسف[٢] الذي كان عمره ست سنوات في تلك الفترة، بأن الجنود جاءوا به بملابس السجن، قبل استشهاده بساعات، وعندما دخل إلى البيت قبّل يدي والديه، ثم خرجوا به، ويضيف بأنه شاهد بعينيه ما يجري، إلا أنه لم يفهم ما يجري وقتها.

وفي اليوم التالي خرجت جماهير شعبنا في مخيمات الوسطى في مظاهرات عارمة استنكاراً للجريمة البشعة، وداعاً لابنهم وشهيدهم البطل، كما توجه مقاتلو الجبهة إلى بيت الشهيد لتعزية أهله، وكلهم تصميم وإصرار على الثأر من الصهاينة المجرمين.

---

(١) في مقابلة مع الرفيق علي الصلحات.

(٢) في مقابلة مع الأستاذ يوسف أبو حسب الله.

(٩)

اعتقال الرفيق محمد أبو اعتيق، الملقب "شيبوب"

القائد العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في قطاع غزة

في ٧ أغسطس ١٩٧٠، اعتقل القائد العسكري لقوات الجبهة في القطاع آنذاك الرفيق محمد أبو اعتيق الملقب شيبوب ومعه كل من: الرفيق علي الصلحات، والرفيق جمال الدحدوح[١]، والرفيق ضيف الله أبو عطيوي [٢]، بعد أن قضوا ليلتهم في أحد المنازل في منطقة تل العجول في المغراقة الواقعة شمال وادي غزة ، والتي كانت تشكل الحاضنة والملجأ للمطاردين عندما كانوا يحتاجون قسطاً من الراحة أو بهدف الإعداد والتخطيط لإحدى العمليات أو لتبادل المعلومات.

كانت هذه المنازل تشكل محطة مهمة للمطاردين، وفي الليل حضر إلى المكان أحد الرفاق ليبلغهم بأن الرفيق يوسف غبن في انتظارهم في أحد المنازل جنوب مخيم النصيرات، كان الهدف من اللقاء تسلم مهام القيادة العسكرية من الرفيق شيبوب الذي تقرر سفره للخارج لتخفيف العبء عن كاهل الفدائيين، بسبب حملات المداهمة والمطاردة التي يمارسها العدو باستمرار للقبض على الرفيق شيبوب أو التخلص منه، وقد جاء قرار سفره وتسليم المهام بناء على تعليمات قيادة الجبهة الشعبية في الخارج.

سأل الرفيق شيبوب عن الوضع في الخارج، فأجابه أحد الحاضرين، بأن هناك دورية محمولة مرت من الطريق ودوريات متمركزة في المحيط، فكان جوابه " فش خوف من الدوريات الماشية، أما الدوريات الثانية يمكن أن تكمن لنا في أي مكان"، وفي ضوء ذلك اتخذ قراره بالبقاء في البيت والتحرك غداً مع طلوع الشمس، وبالفعل باتوا ليلتهم

---

(١) ولد بتاريخ ١٩٥٢/١٢/١٢، التحق بالعمل العسكري من خلال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في بداية عام ١٩٧٠، وعمل ضمن مجموعاتها في المنطقة الوسطى، وشارك في تنفيذ العديد من العمليات العسكرية النوعية، إلى أن اعتقل في أغسطس ١٩٧٠ لمدة ١٥ عاماً، أفرج عنه في عملية تبادل الأسرى عام ١٩٨٥.

(٢) ولد في مدينة بئر السبع في عام ١٩٤٨، وهاجر مع أسرته سنة ١٩٤٨، ليقيم في مخيم النصيرات، أحد مقاتلي الجبهة الشعبية، اعتقل أكثر من مرة، وتمت مطاردته بسبب نشاطه العسكري، نفذ العديد من العمليات البطولية غالبيتها في المنطقة الوسطى، استشهد بتاريخ ١٩٧٢/٠٤/٢٨.

هناك، وفي الصباح نزلوا من أعلى التل، واتفقوا أن يسبقهم أحد الرفاق ليكشف لهم الطريق، لأنه لم يكن مطارداً أو مطلوباً للعدو.

كان اعتقال الرفاق شيبوب، والصلحات، والدحدوح أحياء بمثابة صيد ثمين وإنجاز يبحث عنه ضباط المخابرات، ومن أجل ذلك استخدموا كل أساليبهم القذرة للقبض على هؤلاء الفدائيين الذين يقضون مضاجع العدو ليلاً و نهاراً، وقد اكتشف فيما بعد أن عملية اعتقالهم جاءت نتاج ثمرة خبيثة لصفقة أبرمها ضباط المخابرات مع أحد العملاء داخل السجن مقابل الإفراج عنه وعن آخرين، واستهدفت الصفقة تسليم الرفيق شيبوب القائد العسكري للجبهة الشعبية آنذاك.

في صبيحة ذلك اليوم، كانت شهيّة العدو مفتوحة لتنفيذ مخططه اللعين، فنشر كمائنه في كل مكان، وكان مخيم النصيرات يخضع لمنع التجول، بعد دقائق من خروج الرفيق شيبوب ورفاقه من مخبئهم، كانت سيارة المخابرات تقف قبالته، حاولوا الفرار إلى الشرق إلى أن وصلوا بالقرب من خط السكة الحديد ، فوجدوا كميناً للعدو في انتظارهم، رجعوا أدراجهم لكنهم اصطدموا بكمين آخر، قوات غفيرة من قوات وجنود الاحتلال تخندقت خلف ربوة مرتفعة تكشف الطريق عن بعد كانت تتعقب حركتهم، وعندما أصبحوا في مرمى نيرانها، أطلقت باتجاههم النار وطلبت منهم الاستسلام، لم يتمكنوا من الفرار أو حتى المواجهة، وبالفعل نجح العدو في اعتقال أفراد المجموعة بالكامل، وتم اقتيادهم إلى سجن غزة المركزي، أما الرفيق ضيف الله أبو عطيوي، فقد تمكنت امرأة من إخفائه في بيتها المجاور، ووضعته في غرفة مخصصة لتربية المواشي وفردت فوقه العشب الناشف والقش، وتركت الماعز في الغرفة لتغطي على من يرقد تحتها، نجحت هذه الطريقة أن تحول دون اعتقال الرفيق ضيف الله، لم يكن هذا التصرف مفاجئاً أو غير مألوف فلو استطاعت هذه الماجدة أن تفعل أكثر من ذلك لفعلت، إنها العفوية الصادقة التي تنحاز ودون تفكير للبندقية التي تحارب، وللفدائي البطل الذي يذود عن حمى الوطن، وبعد فترة تمكن الرفاق من إلقاء القبض على العميل الذي تسبب في اعتقال أفراد المجموعة، وقاموا بإعدامه وتخليص المخيم من شروره[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق جمال الدحدوح .

الثورة لا تظلم لكنها لا ترحم

(١)

استخدم العدو أسلوب "الحرق الجماهيري" لعدد من الفدائيين البارزين، الذين شكلوا عناصر جذْب والتفاف جماهيري، وهو أسلوب اعتمدت عليه أجهزة مخابرات العدو في التشهير بسمعة المناضلين وخصوصاً الذين يتمتعون بسمعة وطنية ونضالية عالية، ويحظون بالتفاف جماهيري كبير، وبث الاشاعات المحبوكة عنهم للتقليل من شأنهم وتقزيمهم وتشويه صورتهم والتبخيس من دورهم النضالي.

استهدف العدو عدداً من المقاتلين واستخدم معهم هذا الأسلوب، منهم الرفيق أحمد عمران، والرفيق شيبوب عندما اقتادهم الحاكم العسكري للمنطقة الوسطى مكبلين بالقيود، وقام بجمع المواطنين في مدرسة خالد بن الوليد(١) وأخذ يحرضهم على عدم التعاون مع الفدائيين بقوله: "انظروا إلى من تطلقون عليهم فدائيين، وهم ليسوا أكثر من مجموعة من اللصوص، اعتادوا على قتل وتعذيب الأبرياء ونهب ممتلكات المواطنين، فها هو أحمد عمران الذي كنتم تتصورونه بطلاً" . .

وقف الرفيق أحمد عمران من داخل المجنزرة، ولم يدعه يكمل حديثه، وأخذ يخطب بالجماهير ويكشف لهم أهداف الحاكم العسكري وأساليبه الرخيصة في النيل من المقاتلين الذين قضوا معظمهم شهداء، فتحول المكان إلى مظاهرة تهتف بالشعارات المؤيدة والمتضامنة مع الثورة والفدائيين.

كان الشغل الشاغل لأجهزة مخابرات العدو تقويض الثورة ونسفها من داخلها، مستخدمة كل الوسائل المتاحة لتحقيق ذلك، فقامت بزرع العملاء داخل صفوف فصائل الثورة، ولجأت إلى تشكيل مجموعات تعمل لإنجاز هذا الهدف طابوراً خامساً، وتقوم بارتكاب العديد من الجرائم البشعة وإلصاقها بالمقاتلين، ونذكر هنا مجموعة أطلقت على

---

(١) من أقدم مدارس الثانوية في المنطقة الوسطى، تقع جنوب مخيم النصيرات على مسافة قريبة من الخط العام.

نفسها اسم "الكف الأسود"، التي انحسرت مهمتها في تصفية الرموز الوطنية تحت غطاء أنهم عملاء، وتشويه صورة الفدائيين أمام الناس، ومن المقاتلين الذين استهدفوا بهذه الطريقة، وكانوا من ضحاياها، الرفيق القائد أحمد فكري أبو وردة[١] ومجموعته.

وفي إطار التصدي لهذه المجموعات ووأد مخططاتها المسمومة، قامت الجبهة الشعبية بحملات توعية للجماهير، وحذّرتهم من الوقوع في فخ هذه الأساليب المشبوهة، وساعدتهم في اتخاذ كافة الوسائل الوقائية الممكنة لدرء هذه المخاطر، وقامت بتحصين أطرها التنظيمية والعسكرية من أية محاولة اختراق لصفوفها، وكان عليها مسئولية الوقوف بحزم أمام أية خروقات مسلكية أو تنظيمية لأي من مقاتليها، كي لا تستغل من جهاز المخابرات الصهيونية لإحداث شرخ بين الجماهير وقواها الثورية وإضعاف تلاحمهما.

---

(١) ولد في عام ١٩٤٤، في قريه النزلة بجباليا، التحق بصفوف حركة القوميين العرب في عام ١٩٦٢، وذلك أثناء دراسته الجامعية في مصر، وبعد عودته إلى قطاع غزة التحق بجيش التحرير الفلسطيني، ثم التحق بصفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مع بداية عام ١٩٦٨، وشارك في تشكيل العديد من الخلايا والمجموعات العسكرية، تمت مطاردته لأكثر من عامين، وكان من أبرز مقاتلي الجبهة الشعبية في شمال قطاع غزة، نفذ العديد من العمليات العسكرية الجريئة، وبتاريخ ١٩٧٠/٠٨/٢٨، نصب له العدو وعملائه الجبناء كميناً غادراً على شاطئ البحر المحاذي لبلدة جباليا، واستشهد مع ثلاثة من رفاقه، وهم الرفاق: بشير مصطفى أبو وردة، وتيسير مهدي فرج، وبشير عبد ربه.

(٢)

أثناء منع التجول، وفي أحد شوارع النصيرات الضيقة في المخيم الجديد، كان أحد الأهالي يقف خلف باب بيته، فأوقف مطارداً للجبهة أثناء مروره في الشارع، واشتكى من تصرفات أحد زملائه وسوء سلوكه، حمل الفدائي الأمانة وأوصلها إلى قائد المجموعة، الرفيق شيبوب، وأخبره بشكوى الرجل، كان ذلك بعد استشهاد الرفيق أبو النصر بفترة بسيطة، فأمر بإحضار كل من له علاقة بالشكوى على الفور.

عرف عن الرفيق شيبوب أنه كان صارماً ولم يكن يتوانى عن معاقبة أي فدائي يرتكب خطأً ولو كان بسيطاً.

– "جيبولي إياه !"

وبالفعل جاء أفراد المجموعة بمن فيهم الرفيق المطلوب، الذي لم يكن يعرف سبب مجيئه إلى هناك، وبمجرد حضوره قال له الرفيق شيبوب، وقد جحظت عيناه غضباً:

– " إقف غاد عند البلحة، شِكلك ما تنفع لينا، شكلك بتشوّه سمعة الفدائية " . .

همّ الرفيق شيبوب بمعاقبته، لكنه تراجع بعد أن اقترب منه أحد المقاتلين، وهمس في أذنه ناصحاً له بأن يعالج الأمر بطريقة أخرى.

أدار الرفيق شيبوب ظهره باتجاه من يتحدث، ونظر إلى أفراد المجموعة ليقرأ في عيونهم ما يمكن أن يفعله في تلك اللحظة . .

– "خلاص ربطوه وخلّوه مرمي تحت الشجرة" . .

امتثل الرفاق لأوامر قائدهم، وتركوا رفيقهم مقيداً لعدة ساعات، ولم تأخذهم به رأفة ولا رحمة، وتركوه في وضع يرثى له، وقبل أن يفك وثاقه سمع من رفاقه ما سمع من اللوم والتوبيخ، أحس رفيقهم بالحرج الشديد، وكاد يدخل بعضه في بعض من الندم، ووعد رفاقه بأن يُقلع عن هذه المسلكيات الخاطئة، وقد أثبت بعد ذلك من خلال حسن سلوكه مع الجماهير، ومن خلال عملياته الفدائية التي قام بتنفيذها أنه فدائي صنديد تجده عند الشدائد.

وبعد أيام اجتمع بهم الرفيق شيبوب لتنفيذ إحدى العمليات في مدينة غزة، وبمجرد أن بدأ يشرح لهم عن مكان العملية ومدى خطورتها، وإذ برفيقهم المعاقب يعلن أمامهم بأنه سينفذ العملية، وبدأ يستحثهم على أن يقبلوا بذلك، وظل يلح عليهم إلى أن وافق الرفيق شيبوب على طلبه، كانت العملية أمام مركز الشرطة بالقرب من مدخل الشجاعية.

- "بدك تيجي من شرق وتطلع غرب، على يمينك بكون تجمع لعدد كبير من الجنود قاعدين على العشب قدام ساحة المركز، وبدنا نعطيك قنبلتين، بتضربهن وإحنا راح نكون بنستناك أعلى الظهرة"

تأهب الرفيق لتنفيذ العملية، ضارباً المثل في البطولة والشجاعة، وبالفعل حضر إلى مكان العملية وضرب قنبلته الأولى على تجمع الجنود الذين تجمعوا أمام ساحة المركز بكامل عتادهم في انتظار نقلهم إلى سيناء، وواصل هجومه باتجاه الغرب وضرب قنبلته الثانية، اثنان من الرفاق يرقبان المشهد من مسافة بعيدة، تناثرت أشلاء الجنود بعد أن باغتهم منفذ العملية بضرب القنبلتين، وجرى باتجاه السيارة التي كانت في انتظاره على مسافة آمنة، وبداخلها كل من الرفيق منصور ثابت[١]، والرفيق خليل أبو زبيدة[٢]، حملته السيارة ورجعت به إلى مخيم النصيرات.

نفذ الرفيق عمليته بنجاح، واستعاد ثقة الجميع فيه، بعد أن واجه درساً قاسياً، كاد أن يكلفه حياته[٣].

---

(١) ولد في مخيم النصيرات بتاريخ ١٩٥٠/٠٥/٢٤، نزحت عائلته من مدينة بئر السبع إلى قطاع غزة في نكبة ١٩٤٨، اعتقل بتاريخ ١٩٧٠/٠١/٢٧ بسبب التحاقه بالثورة، أفرج عنه في عام ١٩٨٥ضمن عملية تبادل الأسرى، تكررت عمليات اعتقاله، وكانت آخرها في عام ٢٠٠١ بعد أن اعتقلته سلطة رام الله خلال الهجمة التي شنتها على قيادة الجبهة في الضفة المحتلة وقطاع غزة، بعد اغتيال رحبعام زئيفي، كان قاصّاً، وأديباً، وشارك في تأسيس عدداً من المراكز والمؤسسات الثقافية، توفي بتاريخ ٢٠٠٧/٠٧/٠٥ (سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٢) ولد في مخيم النصيرات بتاريخ ١٩٥٠/٠٢/٠٥، نزحت عائلته من قرية زرنوقة إلى قطاع غزة في نكبة ١٩٤٨، اعتقل بتاريخ ١٩٧٠/٠١/٢٧ بسبب التحاقه بالثورة، أفرج عنه في عام ١٩٨٥ضمن عملية تبادل الأسرى .

(٣) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

(٣)

بمجرد أن حطت أقدامه على أرض الأردن قادماً من مصر عبد الناصر في بداية عام ١٩٦٨، واصل الرفيق سلامة السعيدني "أبو الحر" مسيرته النضالية وتلقى العديد من الدورات العسكرية هناك، ومن معسكرات الفدائيين التابعة للجبهة الشعبية في الكرامة والكرَيْمة نفذ العديد من العمليات العسكرية، كان الوجود الفدائي في تلك الفترة متمركزاً على شكل قواعد عسكرية منتشرة في غور الأردن، كل قاعدة منها كانت تتألف من ثلاثين عنصراً موزعين على شكل مجموعات قتالية قوامها من سبعة إلى عشرة مقاتلين، ولكل قاعدة منها تجهيزات عسكرية وبرنامج عملياتي.

حضر الحكيم جورج حبش أكثر من مرة إلى تلك القواعد، كان يحضر بسيارة فلوكس فاجن قديمة، وفي إحدى المرات طلب أن يتحدث إليه، وأثناء سيرهما داخل معسكر التدريب سأله الحكيم عن احتياجاتهم في المعسكر وعن ملاحظاته، اختار التحدث إليه ولم يتحدث مع قائد المعسكر، فأجابه الرفيق السعيدني بأن الفدائيين ينقصهم أسلحة وعتاد، وأشار إليه بضرورة تكثيف العمليات العسكرية على الحدود، لتصبح ثلاث عمليات في الشهر بدلاً من واحدة، وكان الحكيم ينصت إليه ولا يقاطعه، وبعد أن انتهى من حديثه أخبره الحكيم بأن التنظيم سيفتح له مكتباً في جرش، وبأنهم يرغبون في نقله للعمل إلى هناك، نال الرفيق إعجاب الحكيم، بعد أن استمع إلى أسلوبه في الحديث وكياسته، وتشجع لنقله للعمل في مكتبهم الجديد، إلا أن الرفيق السعيدني كان له وجهة أخرى، بعد أن التصق بمعسكرات التدريب وكان شغله الشاغل المشاركة في عمليات عسكرية على الحدود لضرب مراكز تواجد العدو هناك.

وضمن توجيهات القيادة العسكرية بتكثيف العمليات ضد قوات العدو الصهيوني، قامت مجموعة الرصد في منطقة الكرامة المحاذية لنهر الأردن بتحديد هدف عسكري في منطقة "الجفتلك"، وهو عبارة عن عربتين عسكريتين تقوم بدورية متحركة في المنطقة المذكورة.

أعطى قائد القاعدة العسكرية، الملازم أول "عطا الله"، تعليماته للعمليات بالتحرك بعد تحديد الهدف، وعلى إثر ذلك تم تشكيل مجموعة عسكرية قوامها أحد عشر مقاتلاً من الرفاق المدربين تدريباً جيداً، وعلى رأسهم قائد المجموعة الرفيق السعيدني، وقد حرصت القيادة العسكرية قبل كل عملية من هذا النوع أن تخضع المقاتلين المشاركين فيها إلى تدريب ميداني، بحيث يتم تنفيذ بروفات للعملية، وبعد أن تستكمل كافة الاستعدادات، وبعد الانتهاء من تدريب المقاتلين وتزويدهم بالأسلحة والعتاد المطلوب، يتم إعطاء المجموعة أوامر بالتنفيذ، كانت العملية عبارة عن نصب كمينين على الشارع العام الرابط بين منطقة "الجفتلك" ومنطقة "فصايل"، بالقرب من جسر "دامية"[١] في منطقة "شعشاعة".

وفي ١٤ ديسمبر ١٩٦٨[٢]، وبعد تحديد ساعة الصفر ليلاً، حمل أفراد المجموعة أسلحتهم (قذائف أر بي جي، ورشاشات متوسطة، وأسلحة فردية)، وانطلقوا نحو هدفهم، ثم اجتازوا نهر الأردن من منطقة واسعة وضحلة، وقطعوا مسافة ستة كيلومترات إلى أن وصلوا موقع العملية، وهناك اصطدموا بحقل ألغام موزع على منطقتين، وسلك شائك على طول الحقل، كانت حركتهم حذرة وبطيئة، اجتازوا كمين الألغام من خلال ممر ضيق بين الحقلين، ثم توزعت المجموعة في كمينين حسب خط سير العملية، وقاموا بزراعة لغمين في الطريق الفاصل بين حقلي الألغام، وأخذوا أماكنهم حسب ما هو مخطط في انتظار الوقت الذي يتم فيه تغيير الدوريات المناوبة.

تفاجأ الجميع بزخات من النيران تنطلق نحوهم من مكان قريب، وسمعوا عن قرب صوت طائرات مروحية متجهة نحوهم، رد المقاتلون على مصدر النار، واندلع اشتباك حامي الوطيس قبل وصول الطائرات، وسقط شهيدان أثناء الاشتباك، وهما الشهيد صلاح الدين الداغستاني (عز العرب)، والشهيد سليمان عطا الله أبو الرب (أبو جلال)، اختلفت الأمور بعد قدوم الطائرات، وأصبح المقاتلون في مرمى نيرانها، ولم يعد استمرار المعركة في صالحهم، وبدأت الطائرات تقترب أكثر فأكثر، وأنوارها من بعيد تسيطر على

---

(١) جسر داميا أو جسر الأمير محمد، هو جسر مُغلق حاليًا يقطع نهر الأردن بين الضفة الغربية في فلسطين وبين الأردن، تم إنشاؤه في فترة المماليك، وقد تم تجديده لاحقًا عدة مرات في القرن العشرين، يقع شمال مدينة أريحا بحوالي ٣٥ كيلومترًا.

(٢) صادفت العملية ليلة الثاني عشر من رمضان.

المكان[١]، المعركة أصبحت غير متكافئة، والاستمرار فيها يعني الإجهاز على جميع أفراد المجموعة.

أشار عليه أحد رفاقه[٢] بالانسحاب، وعلى الفور صرخ الرفيق السعيدني في رفاقه وأمرهم بالانسحاب التدريجي نحو الشرق، حفاظاً على أرواحهم، تدخلت مدفعية العدو وبدأت تضرب قذائفها نحوهم، الطائرات تدير كشافاتها في كل مكان بحثاً عنهم لتحديد أماكنهم والقضاء عليهم، ورغم ما وفرته المروحيات من إنارة عالية، ورغم اشتداد القصف المدفعي، واشتداد إطلاق النار، إلا أن أفراد المجموعة المتسللة استطاعوا العودة إلى النهر، ونجحوا في اجتيازه إلى الضفة الأخرى، والعودة إلى قاعدتهم العسكرية، كانوا تسعة رفاق فقط، بعد استشهاد رفيقين منهم، ولم يستطيعوا انتشال جثتي رفيقيهما الشهيدين بسبب ضراوة المعركة وانكشافهم للعدو الذي فتح عليهم النار من كل حدب وصوب.

طلبت القيادة العسكرية تقريراً مفصلاً بما حدث، وأخضعت الرفيق المسئول لمحاكمة عسكرية، وأنزلت بحقه عقوبة بسبب مغادرته أرض المعركة وعودته دون رفيقيه الشهيدين.

- لو أخذت في راسك ١٢ طلقة، أحسن ما ترجع بدون رفاقك الشهداء.

امتثل الرفيق السعيدني قائد المجموعة للعقوبة، وحرم من مغادرة القاعدة، ومنع من الإجازات لمدة شهر، بسبب تركه جثماني رفيقيه الشهيدين هناك في الجفتلك![٣].

---

(١) منطقة سهلية تعاني من التصحر، وفيها أشجار متفرقة .

(٢) الرفيق المقاتل محمد انميلات من مخيم جباليا.

(٣) في مقابلة مع الرفيق سلامة السعيدني.

الجاسوس لا أرض تقلّه، ولا سماء تظلّه

من الوسائل التي لجأ إليها العدو الصهيوني للقضاء على الثورة وتقويضها من الداخل، إنشاء شبكات تجسس وتخريب[١] تعمل لصالحه، وإضافة لدورها الرئيسي، التجسس على العمل الفدائي، كانت تقوم أحياناً بانتحال اسمه، وكان عناصر هذه الشبكات يمارسون أعمال النهب والسرقة وابتزاز الأموال من الأهالي والاعتداء على أعراض الناس وقتل الأبرياء ولصق كل ذلك بالثورة ، وهدف العدو من ذلك واضح، عزل الجماهير عن الثورة، لكن جماهير شعبنا الصامدة الصلبة ظلت مؤمنة بقضيتها العادلة، ملتفة حول طليعتها المقاتلة، ووعت هذه الممارسات الخبيثة وميّزتها، وأدركت نوايا العدو من ورائها.

تعاملت الجبهة الشعبية مع ملف العملاء بحذر شديد، وبطريقة مختلفة عن التنظيمات الأخرى، فكانت ترى في تماسك النسيج المجتمعي لجموع اللاجئين وكافة الأهالي في القطاع أمراً ضرورياً لإبقاء جذوة المقاومة مستمرة، ولاستمرار الثورة حتى تحقيق أهدافها، وكانت تحذر دائماً من خطر تأجيج نار الخلافات العائلية والعشائرية، وأعطت توجيهاتها الصارمة بأن ملف العملاء هو ملف بيد القيادة الأولى للجهاز العسكري، وأن عمليات ردع أو تصفية العملاء لا يمكن تنفيذها إلا بقرار من هذه القيادة، لذلك كان عدد العملاء الذين تم تصفيتهم على يد مقاتلي الجبهة الشعبية في تلك الفترة قليلاً نسبياً.

جاء اهتمام الجبهة الشعبية بهذا الملف نظراً لما يشكله من خطورة على الأهالي وعلى المقاتلين، وارتبط قرارها بتصفية وإعدام هذا العميل أو ذاك، بمدى حجم وفداحة ما ارتكبه من جرائم بحق الأهالي، والخطر الذي يشكله على الجماهير وعلى الثورة.

أظهرت الأرقام الإسرائيلية مقتل ٤٨ فلسطينياً، وجرح ٨٩٧ آخرين، في الفترة ١٩٦٧–١٩٧٠، نتيجة عمليات الإعدام في قطاع غزة، والعمليات المضادة

---

(١) جهاز الشاباك هو الجهة المسؤولة عن تجنيد العملاء من بين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وبالذات القسم العربي في هذا الجهاز.

للإسرائيليين[1]، والحقيقة أن هذه الإحصائيات التي كانت تظهرها الصحافة الإسرائيلية كان الهدف منها تأليب الأهالي على الفدائيين، وإثارة الفتن، وزرع فتيل النزاع بين الفدائيين والعائلات أو العشائر، وضرب الحاضنة الشعبية للمقاومة والانقضاض عليها.

وبشكل عام كانت الخلايا السرية التابعة للجبهة الشعبية والعاملة في قطاع غزة تقوم بتوجيه إنذارات وتهديدات عامة للعملاء والخونة، تحذرهم فيها من عواقب استمرارهم في التعامل مع العدو وخيانة الثورة والجماهير، وتنذرهم بأنهم إذا لم يرجعوا عن هذا الطريق فإن قواتها ستقوم بتنفيذ حكم الإعدام فيهم، وكانت تحرص على تقديم هؤلاء الخونة لمحكمة ثورية تسجل فيها أقوالهم واعترافاتهم قبل تنفيذ حكم الإعدام بهم.

ومن أجل مجابهة ظاهرة العملاء التي تعد من أخطر المشكلات التي لا زال يعاني منها شعبنا الفلسطيني، وحتى ننجح في تحصين جبهتنا الداخلية، وتعزيز المنعة الذاتية بحيث يصعب إسقاط أحد في هذا المستنقع الخطير، لا بد من توعية الأفراد وتقوية شعورهم بالانتماء الوطني، في المقابل يجب معالجة الأسباب التي تدفع بضعاف النفوس إلى الانزلاق في مهاوي الخيانة، وهذا يحتاج إلى توفير منظومة مجابهة، ووضع خطة وطنية شاملة، تعتمد بالأساس على التوعية المخططة والمستمرة للتصدي لهذه الظاهرة الخطيرة.

---

(١) يزيد صايغ، الكفاح المسلح والدولة الفلسطينية، الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٤٩ – ١٩٩٣)، ص ٣١٨.

المرأة شريكة حقيقية في النضال

تمتلك الجبهة الشعبية نظرة تقدمية وحداثية تجاه المرأة، فهي نصف المجتمع، وشريكة حقيقية للرجل في النضال، بحيث لا يكتمل النضال إلا بوجودها مع الرجل جنباً إلى جنب، فلا يمكن مجابهة المشروع الصهيوني بنصف المجتمع في حين يبقى النصف الآخر معطلاً.

صحيح أن "التقاليد الاجتماعية، وبعض التفسيرات الخاطئة للدين، أسهما في تهميش دور المرأة في المجتمع، كما أن الوضع الاقتصادي يشكل بدوره عائقا أمام حصول المرأة على حقوقها، ولا بد من النضال من أجل تحقيق وضع مرضٍ للمرأة" إلا أن الجبهة الشعبية أحدثت اختراقاً كبيراً في هذا الجانب، وترى أن "الأولوية هي للنضال من أجل التحرر والاستقلال"[(١)]، على أن يقترن ذلك بالنضال من أجل المساواة الاجتماعية، ومن أجل حقوق المرأة، وصولاً إلى تحقيق أهدافنا في إقامة مجتمع تسوده العدالة والمساواة.

وقد شكلت مشاركة المرأة الفلسطينية في معترك النضال بكافة أشكاله نقلة نوعية خلال مسيرة النضال الفلسطيني، حتى على صعيد العمل العسكري، كانت هناك قيادات نسوية قدمت النموذج والمثل، وفي هذا الجانب تميزت الجبهة الشعبية عن غيرها من الفصائل الفلسطينية، حيث كان لها السبق في إشراك المرأة في العمل المسلح، ووفرت فرصة كاملة لها كي تلتحق بصفوف المقاتلين، وتتلقى تدريبات عسكرية مثل الرجل تماماً، وتكون قائدة فيما لو وجدت لديها الملكات والسمات المطلوبة للقيادة، ومثال على ذلك الرفيقة ليلى خالد[(٢)] التي تعتبر أيقونة للمرأة المقاتلة، وحازت تجربتها العسكرية على اهتمام الكثير من قوى وحركات التحرر في جميع أنحاء العالم.

---

(١) جورج حبش، كتاب الثوريون لا يموتون أبداً، ص ٢٧٩.

(٢) ولدت في مدينة حيفا عام ١٩٤٤، تُعتبر أول امرأة تقوم بخطف طائرة، في أغسطس ١٩٦٩ قامت بخطف طائرة شركة TWA الأمريكية وتحويل مسارها إلى سوريا، بهدف إطلاق سراح المعتقلين في فلسطين، ولفت أنظار العالم إلى القضية الفلسطينية، وبعد فترة قامت بخطف طائرة شركة العال

وقد تأثر نضال المرأة الفلسطينية بهزيمة ١٩٦٧، حيث خرجت من دائرة العمل في المؤسسات، والجمعيات الخيرية إلى معترك النضال الوطني الذي وصل إلى قمة نشاطه في تلك الفترة ، والتحقت بالعمل المسلح والحركات الفدائية في فلسطين، مثل ليلى خالد التي قامت بخطف الطائرات، وعايدة سعد(١) التي قامت بإلقاء قنبلتين ضد الآليات العسكرية الصهيونية الموجودة أمام مركز الشجاعية في مدينة غزة في مارس ١٩٦٩، وفاطمة برناوي(٢)، التي اعتقلت بعد تفجيرها لقنبلة في سينما "صهيون" في أكتوبر ١٩٦٧، وشهيدة حرب الأيام الستة شادية أبو غزالة(٣)، التي استشهدت أثناء إعدادها لعبوة متفجرة في تل أبيب في عام ١٩٦٨، ووداد قُمَّري(٤) التي استلهم غسان كنفاني من تجربتها في العمل الثوري قصة لم تكتمل بسبب اغتياله، بعنوان "برقوق نيسان"، وفي أواخر عام ١٩٦٨ شاركت مع رفاقها في تهريب الدكتور الحكيم جورج حبش من سجن

"الإسرائيلية" التي هبطت في لندن، ولم تنجح بمحاولتها وألقي القبض عليها، ثم أطلق سراحها في عملية تبادل بعد حوالي شهر إثر خطف رفاقها لطائرة أمريكية، وتعيش الآن في الأردن مع زوجها وولديها.

(١) ولدت عام ١٩٥١ في مدينة غزة، استشهد ثلاثة من أشقائها خلال العدوان الثلاثي على مصر وقطاع غزة، سنة ١٩٥٦، بعد أن سقطت قذيفة على مكان وجودهم مما أدى إلى استشهادهم على الفور، من مقاتلات حركة فتح، في ١٦ أبريل ١٩٦٩، نفذت عملية بطولية حيث ألقت قنبلتين على جيب عسكري صهيوني أمام مركز الشجاعية بمدينة غزة، وقتلت عدداً من الجنود الصهاينة، وعلى إثر ذلك تم اعتقالها وتعرضت لأبشع أنواع التعذيب، اعتقل الاحتلال أفراد عائلتها ووالدتها وقاموا بنسف منزلهم، حكم عليها بالسجن عشرين عاماً، قضت منها عشر سنوات، وأفرج عنها بعد ١٠ سنوات من الاعتقال.

(٢) ولدت في القدس عام ١٩٣٩، مقاتلة فلسطينية من أصل أفريقي، وتعتبر أول امرأة فلسطينية نظّمت عملية عسكرية في الداخل المحتل (محاولة تفجير سينما في أكتوبر ١٩٦٧)، نفذتها مع شقيقتها إحسان التي تصغرها بنحو ٥ أعوام ، وهي أول معتقلة فلسطينية في السجون الصهيونية ، كانت فاطمة واحدة من أربع نساء ممن انضممن للثورة الفلسطينية في بداياتها مع ليلى خالد وعائشة عودة ورسمية عودة .

(٣) ولدت في مدينة نابلس سنة ١٩٤٩، درست في جامعة عين شمس سنة أولى علم اجتماع ثم قررت إكمال تعليمها في كلية النجاح الوطنية في نابلس، بدأت نشاطها السياسي منذ الصغر، فانتسبت إلى حركة القوميين العرب، وبعد نكسة ١٩٦٧ التحقت بصفوف الجبهة الشعبية وأصبحت عضواً قيادياً فيها، شاركت وقادت عدة عمليات عسكرية تابعة للجبهة الشعبية، وكانت في بيتها تعد قنبلة لتفجيرها في عمارة إسرائيلية بتل أبيب، ولكنها انفجرت بين يديها وأدت إلى استشهادها في ١٩٦٨/١١/٢٨.

(٤) ولدت في مدينة القدس عام ١٩٣٩، وهي من أوائل المناضلات اللواتي التحقن بحركة القوميين العرب، والجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين، وبسبب نشاطها في نقل السلاح للمقاومين اعتقلت عام ١٩٦٦، وأطلق سراحها إبان هزيمة حزيران ١٩٦٧، طاردتها قوات الاحتلال بعد أن اكتشفت أمر مشاركتها في أعمال التحضير للمقاومة، اعتقلت عام ١٩٨٢ في السعودية بتهمة الانتماء للجبهة الشعبيّة، وأفرج عنها عام ١٩٨٦، توفيت في ٢٠٢٢/٠٦/٣٠ في العاصمة الأردنيّة عمَّان، على إثر مرض العضال.

المزّة بسوريا، والشهيدة دلال المغربي[١] قائدة المجموعة الفدائية، التي قامت بتفجير حافلة عسكرية، وقتل جنود صهاينة في مارس ١٩٧٨، والمناضلة فتحية عوض الحوراني التي داست الدبابات الصهيونية فوق جسدها في عام ١٩٧٤، وصولاً لتغريد البطمة[٢] التي استشهدت في عام ١٩٨٠، بجانب الكثير من المناضلات الفلسطينيات اللاتي ضربن المثل والقدوة في النضال من أجل تحرير الوطن ليس في البدايات فحسب بل في كافة محطات النضال الوطني الفلسطيني.

وفي قطاع غزة، وفي الفترة التي يغطيها الكتاب، كانت تسود الأفكار المجافية للمرأة، بحيث تجعله لا يختلف عن أي مجتمع ذكوري، لا تتوفر فيه ثقافة مشاركة المرأة للرجل في مختلف جوانب الحياة، ما يجعل دورها يقتصر على العمل في البيت، وما يترتب على ذلك من حرمانها من أبسط حقوقها، وقد ناضلت الجبهة الشعبية لكسر هذه القوالب من الأفكار التسلطية التي تقوم على أساس التمييز في الحقوق بين الرجل والمرأة، وتغيير هذه الذهنية الذكورية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وقدمت نموذجاً مختلفاً للمرأة، وفي مجال العمل العسكري سهّلت عملية إلحاق المرأة بالثورة، فحملت السلاح وقاتلت بجانب الرجل، وأخذت دورها في النضال مثلها مثل الرجل، وقد تميزت المرأة في هذا الجانب، ونجحت في تنفيذ بعض المهمات التي لم يستطع الرجل القيام بها، وفي تأدية أصعب الأعمال، فهي صحيح أضعف من الرجل من الناحية الجسمية، إلا أنها ليست أقل احتمالاً منه، وتستطيع النجاح في تنفيذ الكثير من المهمات القتالية.

ومن أهم الأعمال التي تميز بها دور المرأة في الثورة، هو نقل الرسائل والأموال والأشياء صغيرة الحجم مثل الذخيرة وقطع السلاح من وإلى المقاتلين، واستطاعت بذكائها

---

(١) ولدت في مخيم صبرا بلبنان في عام ١٩٥٨، شاركت في عملية عسكرية نفذتها حركة فتح (عملية كمال عدوان) في المنطقة الساحلية بين مدينتي حيفا وتل أبيب في ١٩٧٨/٠٣/١٤، أسفر الهجوم عن مقتل ٣٦ إسرائيلياً، كما قُتلت المغربي مع ثمانية مسلحين آخرين أثناء العملية، كانت على قائمة الجثامين التي طالب بها حزب الله اللبناني في إطار صفقة لتبادل الأسرى أُبرمت مع الكيان الصهيوني في ٠٧/١٧/ ٢٠٠٨، ولكن فحوص الحمض النووي (DNA) أظهرت عدم إعادة الجثمان، ولا يزال جثمانها غير معروف المكان.

(٢) ولدت في بلدة بنير قضاء رام الله عام ١٩٥٨، التحقت بصفوف الجبهة الشعبية لممارسة دورها النضالي في مقاتلة العدو الصهيوني، استشهدت الرفيقة تغريد فـي ١٩٨٠/٠٦/٠١، عندما كانت تشارك في إحدى التظاهرات المنطلقة من جامعة بيت لحم.

وحيلها نقل هذه الأشياء، وكانت الأنظار تتجه نحو اختيار العنصر النسوي المناسب لهذه الأعمال، وتحديداً اللاتي يتمتعن بالثقة والجرأة العالية، معتمدين في الأساس على أن المرأة أقلّ لفتاً للأنظار وأقلّ إيحاءً بالخطر لجنود العدو، ويكون العدو أقل تحفزاً وأقل وحشية عند تعامله مع النساء مما يمكنهن من القيام بنقل هذه الأشياء بطريقة أفضل وأكثر نجاعة من الرجال، خصوصاً أن المرأة تستطيع استخدام أحزمة خاصة يمكن أن تخفيها حول وسطها أو تحت ملابسها أو في ضفيرتها دون أن يشك فيها أحد.

تقول الرفيقة المناضلة فيروز عرفة[١]،عن بداية انضمامها للعمل الفدائي، بأن مدارس الإعدادية والثانوية كانت مع بداية عام ١٩٦٨ مسرحاً لانطلاق المظاهرات التي كان يشارك فيها الفتيان والفتيات رفضاً للاحتلال ولأي تواجد له على أرض غزة، وفي تلك الفترة قرأت البرامج السياسية التي كان يكتبها الطلاب بأيديهم ويوزعونها في مدارسهم للتنظير على الطلاب الآخرين، فأعجبت بالبرنامج السياسي للجبهة وأعجبت أكثر بموقف الجبهة من المرأة، ودور المرأة في النضال، فبدأت تحسم خيارها باتجاه هذا التنظيم صاحب النظرة التقدمية للمرأة الذي يتيح لها فرصة المشاركة في النضال مع الرجل جنباً إلى جنب، وأبدت رغبتها في العمل ضمن صفوف الجبهة، وبعد أن اجتازت فترة التقييم والتدريب، تم تبليغها من قبل الرفيق زهير الخالدي بأنها أصبحت عضواً في تنظيم الجبهة الشعبية، وتم الحاقها بإحدى المجموعات العاملة في مدينة غزة، وفي تلك الفترة شاركت في توزيع المنشورات التي تصدرها الجبهة، وكانت تكتب المنشورات بخط اليد، ثم تقوم بتوزيعها في الشوارع، وعلى المنازل وأبواب المدارس وكانوا يستخدمون مادة النشا كمادة لاصقة متحدية بذلك حاجز الخوف والعادات والتقاليد[٢].

---

(١) ولدت في مدينة غزة القديمة بتاريخ ١٩٤٨/١٠/٠٨، التحقت بالجبهة الشعبية في يونيو ١٩٦٨، وعملت ضمن مجموعات الرصد والمتابعة، اعتقلت للمرة الأولى بتاريخ ١٩٧٠/١٢/٢٤، وبعد عام خرجت من السجن لتواصل نشاطها الكفاحي، واعتقلت للمرة الثانية بتاريخ ١٩٧٥/٠٣/٢١، وخرجت من السجن بعد أن أمضت في التحقيق ٤٦ يوماً تعرضت خلالها لشتى أنواع التعذيب إلا أنها لم تُدلِ بأي اعتراف، واعتقلت للمرة الثالثة بتاريخ عام ١٩٧٦، وأفرج عنها بعد ٤٧ يوماً من التحقيق، لقبها الرفيق جيفارا غزة "ليلى خالد غزة"، نظراً للمهمات الصعبة التي نفذتها في ذلك الوقت، لا زالت إلى الآن مؤمنة بذات القيم والمبادئ التي نادت بها المنشورات الأولى التي خطتها بأناملها ووزعتها في أزقة وشوارع ومدارس غزة.

(٢) في مقابلة مع الرفيقة فيروز عرفة.

وعن كتابة البيانات وطباعتها تقول: استطاع الرفيق أحمد عبد الهادي[١] صناعة آلة خشبية تحتوي على الحرير لطباعة البيانات والمنشورات التي كانت تصدرها الجبهة الشعبية آنذاك، واستطاعت هذه الماكينة توفير الكثير من الجهد الذي يبذله الرفاق في نسخ هذه البيانات بأعداد كبيرة باستخدام ورق الكربون[٢].

عملت الرفيقة فيروز ضمن مجموعة خاصة فيها أربعة رفاق ورفيقتان، هي والرفيقة باسمة شرير أخت الرفيق الشهيد إسحق شرير، وكانت مهمتها رصد حركة دوريات العدو، وسيارات ضباط المخابرات في شارع عمر المختار، وتوصيل المعلومات للقيادة من خلال المرجعيات، وذلك بناء على طلب وتوجيهات القيادة العسكرية للجبهة[٣].

وحول المهمات التي كُلفت بها من الرفيق محمد الأسود "جيفارا غزة" تقول الرفيقة فيروز: كلّفنا الرفيق جيفارا "أنا ورفيقة أخرى" بنقل السلاح لمواقع الهجوم، ورصد آليات العدو، ومعرفة نتائج كل عملية، وحصيلة خسائر العدو، وتقييم نجاح العملية أو فشلها، وتقديم هذه المعلومات في تقرير خاص لمسئول المجموعة لتقديمه للقيادة، وهي مهام غاية في التعقيد والخطورة، وتتطلب درجة عالية من الذكاء والحس الأمني والدقة والجرأة، وأضافت بأنها ورفيقات أخريات استطعن تنفيذ كل ما أوكل إليهن من مهام بدقة، حتى أن الرفيق جيفارا عبّر عن اعتزازه وافتخاره بهذا الأداء والدقة في التنفيذ، وتقول بأنها عندما قابلت الرفيق جورج حبش في بيروت عام ١٩٧٤ بعد استشهاد الرفيق محمد الأسود، وما أن عرف اسمها، حتى قال لها: "لقد عرفناكم عن طريق جيفارا، وعرفنا صمودكم وأداءكم البطولي[٤]".

لم يقتصر دَوْر المرأة عند هذا الحد، تقول الرفيقة فيروز بأن الرفيق جيفارا كان يقوم بتفقد أسر الشهداء والأسرى بنفسه، وكان يعتبر بأن ما يقوم به من واجب لا يقل أهمية

---

(١) ولد في مخيم البريج في عام ١٩٥٢، هجرت عائلته قسراً من قرية كوكبا في نكبة ١٩٤٨، استشهد بتاريخ ١٩٧٠/٠٤/١٨، خلال مواجهة عنيفة مع قوات الاحتلال في مخيم المغازي (سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٢) سامي الأخرس، فيروزيات نضالية، ص ٧٥.

(٣) في مقابلة مع الرفيقة فيروز عرفة.

(٤) سامي الأخرس، فيروزيات نضالية، ص ٧٥.

عن دوره العسكري والسياسي، وعندما تم تضييق الخناق على جيفارا ورفاقه المقاتلين، قام بتكليفها بالقيام بهذا الدور، فواظبت في تلك الفترة على زيارة أسر شهداء الجبهة وأسراها، وتفقد أحوالها ومحاولة تلبية احتياجاتها إلا أن هذه الأسر كانت تترفع عن طلب المساعدة أو قبولها[١].

وعن الأسماء الحركية التي لُقبت بها خلال مسيرتها النضالية، تقول الرفيقة فيروز بأن أفراد المجموعة الواحدة كانوا يُعرّفوا أنفسهم بأسماء حركية، لدرجة أنها لم تكتشف الأسماء الحقيقية لأفراد المجموعة الذين عملوا معها إلا بعد الاعتقال، وعن أسمائها الحركية قالت بأنها عُرفت بثلاثة أسماء، الأول كان "خولة"، والثاني "نادية"، والثالث لقّبها إياه جيفارا غزة، وهو "ليلى خالد غزة"، وكانت الأسماء الحركية تتغير بسبب حملات الاعتقال التي كانت تتعرض لها عناصر الجبهة الشعبية في ذلك الوقت[٢].

ومن النماذج النسوية الأخرى التي قدمتها الجبهة الشعبية للمرأة المقاتلة التي التحقت بالثورة وتحملت أوزارها، الرفيقة المناضلة فطّوم عبد الفتاح السردي[٣]، التي التحقت بصفوف الجبهة الشعبية منذ تأسيسها عام ١٩٦٧، لم يقتصر عملها على نقل السلاح والذخيرة من وإلى الفدائيين في الداخل، بل كلفت في عام ١٩٦٨ بنقل الأموال والرسائل للمقاتلين من الأردن إلى قطاع غزة.

ويروي أحد الرفاق عنها عندما كانت عضواً في مجلس إدارة جمعية أفاق جديدة[٤] عام ٢٠٠٠، كنت أرى حنو الرفيق منصور ثابت قابضاً على يديها المرتجفة وهي ترسم أمامنا بعضاً من الصور القديمة لتشرح جمال الزمن الذي عاشت فيه، كانت بمثابة حلقة وصل بين مجموعات الرفاق في غزة ورفاق آخرين في منطقة أريحا، ظل صوتها عالياً

---

(١) المصدر السابق، ص ٩١.

(٢) في مقابلة مع الرفيقة فيروز عرفة.

(٣) ولدت في قرية برقة في عام ١٩٤٠، وهُجرت مع عائلتها وقريتها الى قطاع غزة في نكبة ١٩٤٨، وسكنت مع عائلتها في مخيم النصيرات، التحقت في صفوف الجبهة الشعبية منذ تأسيسها، ولعبت دوراً مهماً في نقل السلاح والأموال والرسائل بين الداخل والخارج، اعتقلت أكثر من مرة وبقيت ملتصقة بجسم الجبهة وبرفاقها إلى أن وافتها المنية سنة ٢٠١٤.

(٤) جمعية خيرية تهتم بالطفل مقرها الحالي في مخيم النصيرات، أسسها مجموعة من الرفاق منهم الرفيق منصور ثابت، والرفيق محمد الهباش في عام ٢٠٠٠.

ثورياً، وواصلت نشاطها وجهدها وتحركاتها، إلى أن تم اعتقالها في عام ١٩٧١، وحكم عليها بالسجن ثلاث سنوات، لم يثنها مرّ الاعتقال عن مواصلة دورها النضالي، فخرجت وهي تحمل بين ضلوعها روح قتالية أكثر مما كانت عليه، واعتقلت مرة أخرى، لتخرج من المعتقل أكثر صلابة وجذرية، فواصلت مشوارها بلا هوادة، وصارت تتنقل متخفية ما بين الأردن والضفة والقطاع، لتنقل السلاح والذخيرة والرسائل والأموال إلى المقاتلين، كانت تمد خيوط الأمل والحياة بين المجموعات المقاتلة، إلى أن اعتقلت للمرة الثالثة وحكم عليها بالسجن لمدة سنة ونصف.

فطّوم المرأة الجميلة التي لم تنقطع يوماً عن مواصلة عملها الكفاحي، وامتلكت الكثير من الخبايا والأسرار بحكم تجربتها الرائدة، فحافظت عليها كما حافظت على تمسكها بالأمل ووعد الحرية، وشكلت نموذجاً رائعاً للمرأة التي تنتمي لشعب يستحق أن يحيا بلا قيود، ولا احتلال.

ومن الرفيقات اللاتي التحقن بالعمل الفدائي وكان لهن بصمة واضحة فيه، الرفيقة صفية أبو دباغ[١] التي كانت تقوم بتوزيع المنشورات والبيانات السياسية، وعلى إثر ذلك تم اعتقالها لأيام وأفرج عنها بكفالة مالية، بعد ذلك تلقت تدريباً شاملاً من الرفاق لمواجهة حيل ضباط المخابرات وألاعيبهم وكيفية الصمود أثناء التحقيق وعدم الإدلاء بأية معلومات عن طبيعة المهام الموكلة إليها أو الاعتراف على أفراد المجموعة التي تنتمي إليها، بعد ذلك أصبح بإمكانها القيام بأعمال أكثر خطورة مثل نقل السلاح والذخيرة والمعونات الغذائية وتوزيعها على المقاتلين في الميدان، تطلبت هذه الأعمال السرية العالية والحذر الشديد، وكانت الرفيقات تمارس هذا الدور بمعنويات عالية، رغم أنهن يدركن حجم الخطورة المترتبة عليه.

بعد انكشاف أمرها ومطاردتها تمكنت قوات العدو من اعتقالها مرة أخرى، وحكم عليها بالسجن لمدة ٣ سنوات بتهمة معاونة الفدائيين، تعرضت خلالها لأبشع أنواع التعذيب، وهناك التقت برفيقات أخريات، كان لكل واحدة منهن تجربتها وحكايتها مع

---

(١) ولدت بتاريخ ١٩٥٢/٠١/٢٤، نزحت عائلتها من مدينة بئر السبع إلى قطاع غزة في نكبة ١٩٤٨، التحقت بالثورة عام ١٩٧٠، واعتقلت أكثر من مرة، وأفرج عنها عام ١٩٧٥، وتوفيت بتاريخ ٢٠١٤/١١/٠٥ (سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

المعاناة والألم، جمعتهن روح التضحية والانتماء لقضية عادلة، وَهَبْن في سبيلها زهرة شبابهن وأجمل أيام حياتهن[١].

الكثير من الفتيات التحقن بالعمل الفدائي، ومارسن دوراً رائعاً يحسب لهن وللمرأة الفلسطينية المكافحة التي لم تتوان في كافة محطات نضال شعبنا الفلسطيني وقدمت نماذج من البطولة بجانب رفيق دربها الرجل، وفي تلك الفترة برز دور الرفيقة سميحة عمران[٢]، أخت الرفيق أحمد عمران، التي اعتقلت خمس مرات بسبب مرافقتها للفدائيين وتقديم المساعدات لهم، والرفيقة خضرة قاسم[٣] زوجة الرفيق محمد أبو عتيق، وهي من أوائل النساء اللاتي انخرطن في العمل العسكري، ويحسب لها أنها تمكنت من إخفاء الرفيق أحمد عمران، بعد هروبه من السجن، وإعادة اتصاله بالقيادة العسكرية، وتزويده بالسلاح لمواصلة نشاطه وعمله العسكري، والرفيقة رايقة أبو شحادة التي نفذت عملية عسكرية ثأرية في مخيم دير البلح، حيث ألقت قنبلة يدوية على مجموعة من ضباط الهندسة والجنود الصهاينة، وأصابت العديد منهم، على إثر استشهاد زوجها الرفيق محمد فايز زيادة في سبتمبر ١٩٧١[٤]، والرفيقة صبحة الصلحات[٥] التي كان لاستشهاد ابنها

---

(١) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، سجل الخالدين، محافظة الوسطى (الأرشيف).

(٢) ولدت في عام ١٩٤٦، هاجرت مع أسرتها من مدينة يافا في نكبة ١٩٤٨، التحقت بالعمل الفدائي وبصفوف الجبهة الشعبية وشكلت نموذجاً رائعاً للمرأة الفلسطينية المناضلة، اعتقلت عدة مرات، وواصلت دورها النضالي إلى أن توفيت عام ٢٠٠٢.

(٣) ولدت في عام ١٩٤٥ في قرية الزوايدة، تنتمي لعائلة مناضلة، فهي زوجة الرفيق شيبوب، وشقيقة الرفاق علي قاسم، وعبدالرحمن قاسم ، وسليمان قاسم ، التحقت بصفوف الجبهة الشعبية في عام ١٩٦٨، مع بداية عام ١٩٧٠ تمت مطاردتها بسبب نشاطها في تقديم المساعدة للفدائيين، وفي ١٩٧٣ تم اعتقالها لمدة عامين، هدم منزلها مرتين، الأولى بعد اعتقال زوجها شيبوب أواخر عام ١٩٧٠، والثانية بعد اعتقالها عام ١٩٧٣، توفيت بتاريخ ١٩٩٢/٠٨/١٣ جراء تعرضها لنوبة قلبية.

(٤) في مقابلة مع الرفيق يونس أبو قاسم.

(٥) ولدت في عام ١٩٣٢، في قرية المنصورة، قضاء الرملة، ونزحت مع أهلها إلى قطاع غزة إبان نكبة ١٩٤٨، التحقت بالعمل الفدائي عام ١٩٦٩، وبعد معركة الغازي الثانية التي دارت رحاها في بيتها اعتقلت لمدة ثلاث سنوات ونصف، مثلت نموذجاً للمرأة المقاتلة التي جعلت من بيتها قاعدة عسكرية للمقاتلين، استشهد اثنان من أولادها، ابنها عادل (١٣ عاماً)، الذي استشهد في حرب حزيران ١٩٦٧، وابنها محمد (٢١ عاماً)، الذي استشهد في عام ١٩٨١، من أثر التعذيب بعد خروجه من السجن، حرص الرفيق أبو علي مصطفى على الالتقاء بها أثناء زيارته لمخيم المغازي عام ١٩٩٩، توفيت بتاريخ ٢٠٠١/٠٣/٢٩.

عادل خلال حرب حزيران ١٩٦٧ أثر ودور كبير في التحاقها هي وابنها عدنان(١) بالعمل الكفاحي، فالتحقت بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وجعلت من بيتها مكاناً لإيواء الفدائيين، إلى أن أصبح بمثابة قاعدة عسكرية للجبهة الشعبية في مخيم المغازي، تجتمع بداخله القيادة العسكرية للجبهة، وجهّز فيه الفدائيون وكراً ليختبئوا بداخله بعد الانتهاء من مهامهم، أو كلما اشتدت حملات التفتيش والملاحقة، وفي هذا البيت الذي يقع وسط مخيم المغازي حدثت معركة حامية الوطيس في أواسط أبريل ١٩٧٠، أطلق عليها أهالي المخيم "معركة المغازى الكبرى الثانية"، التي استشهد فيها أربعة من خيرة مقاتلي الجبهة الشعبية، وبعد العملية مباشرة قامت قوات العدو الصهيوني بنسف بيتها واعتقالها، حيث أمضت في السجن ثلاث سنوات ونصف.

ومن النماذج البارزة التي قدمتها الجبهة الشعبية للمرأة الفدائية، والتي كان لها بصمة كبيرة في تلك الفترة، الرفيقة عايشة خلف(٢) التي تحدثت إلينا وهي مفعمة بالأمل والاعتزاز بانتمائها لحزب عظيم قدّم الآلاف من الشهداء والأسرى، ولا زال متمسكاً بنفس الأهداف والمبادئ التي خط طريقه الأولى بها، وعن بداية التحاقها بالعمل الفدائي، قالت لنا بأنها التحقت بالعمل الفدائي في وقت مبكر، لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها، حينما كانت طالبة في الصف الأول الثانوي بمدرسة "سكينة" بدير البلح، كان ذلك في بداية عام ١٩٦٩، عندما خرجت مع زميلاتها في مظاهرة حاشدة، تهتف بالروح بالدم نفديك يا فلسطين، فاصطدمت المظاهرة فور خروجها من المدرسة بقوات غفيرة من جنود الاحتلال، التي حضرت إلى المكان لفض المظاهرة بالقوة، وقمع الفتيات وإسكات حناجرهن الثائرة، هربت الفتيات إلى داخل المدرسة بعد أن انهال عليهن الجنود بالضرب المبرح في محاولة منهم لتفريق المظاهرة، كانت الفتاة الجميلة عايشة من بين الفتيات

(١) بعد معركة المغازي الأولى، التي استشهد فيها الرفاق القادة الأربعة: أبو النصر، والزريعي، وزيدان، والسميري، تسلم الرفيق عدنان الصلحات (مواليد عام ١٩٥٢) رسالة من قيادة الجبهة في الخارج بترك المنزل والسفر إلى الأردن، خوفاً عليه من الاعتقال، وبالفعل غادر الرفيق عدنان قطاع غزة متسللاً إلى الأردن.

(٢) زوجة الرفيق داوود خلف، وأم الشهيد أحمد خلف، ولدت في عام ١٩٥٣ في مخيم البريج، نزحت أسرتها من قرية زرنوقة في نكبة ١٩٤٨، التحقت بصفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام ١٩٦٩، وعلى إثر نشاطها مع الفدائيين اعتقلت أكثر من مرة، وشكلت تجربتها نموذجاً للمرأة المقاتلة.

اللاتي احتجزهن الجنود فور اقتحامه للمظاهرة، تدخل ناظر المدرسة بذكاء ونجح في إخلاء سبيل الفتيات المحتجزات وحال دون اعتقالهن.

وفي نفس اليوم وصل الخبر للرفيق محمد أبو النصر، فقرر الذهاب لبيوت الفتيات اللاتي كن في مقدمة المظاهرة وتعرضن للضرب والاحتجاز، في محاولة منه لتقديم الدعم المعنوي لهن ولعائلاتهن وتشجيعهن على الاستمرار في هذا الطريق، وبالفعل ذهب إلى منزل الفتاة عايشة والتقى بوالدها، حضر إلى البيت وبصحبته مجموعة من مطاردي الجبهة الشعبية، وأخبرها أمام والدها بأن ما قامت به هو عمل بطولي يستحق التشجيع والثناء، كان لحديثه معها بالغ الأثر في استمالتها للانضمام للفدائيين، وبالفعل تولّدت لديها رغبة جامحة للالتحاق بصفوف الجبهة الشعبية، والعمل ضمن مجموعات الرفيق محمد أبو النصر.

بعد عدة محاولات نجحت الرفيقة عايشة في الانضمام للثورة بعد التقائها بالرفيق محمد أبو النصر واقناعه برغبتها في الالتحاق بالثورة، وكانت أولى المهمات التي أوكلت إليها كتابة "المناشير" وتوزيعها على زميلاتها ومدرسيها في المدرسة، وكذلك في أزقة وشوارع مخيم البريج، وبعد أن أثبتت جدارتها وصلابة انتمائها، سمح الرفاق للمقاتلة الشجاعة بالقيام بمهام أخرى، وقام الرفيق أبو النصر بتدريبها على استخدام بعض الأسلحة الخفيفة، وكيفية استخدام القنابل وإلقائها، وبدأت تتحرك هي ورفيقات أخريات مع الفدائيين، وتذكر الرفيقة عايشة أن عدداً من الفتيات التحقن بصفوف الثورة في تلك الفترة، لكنهن كن يتحركن مع الفدائيين وهن ملثّمات، لذلك لم تتعرف إليهن إلا بعد اعتقالهن، ومن رفيقات الدرب اللاتي نشطن معها في ذلك الزمن الجميل، الرفيقة المقاتلة يسرى أبو طاحون التي مثلت نموذجاً رائعاً للمرأة الفلسطينية التي ناضلت مع الرجل جنباً إلى جنب، فكانت له رفيقة الدرب تقاسمه قسوة الحياة، وهمّ النضال، وفرحة الانتصار[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيقة عايشة خلف.

البيارات حضن دائم للفدائيين

رغم أن الطبيعة الجغرافية في قطاع غزة لا تناسب حرب العصابات، فلا توجد جبال أو غابات يمكن أن يعتمد عليها الفدائيون في المناورة أو التخفي أو الانطلاق منها لتنفيذ عملياتهم، إلا أن العمل الفدائي نجح في توفير بيئة خصبة لبدء حرب عصابات في قطاع غزة بعد أن اشتد ساعد الفدائيين.

وقد أدركت الجبهة الشعبية أن الفريق الذي يتمتع بالتفوق العسكري سينتصر إذا شن حرباً خاطفة، بينما سينتصر الفريق الأكثر عدداً إذا شن حرباً طويلة الأمد فإسرائيل مهيأة لتحقيق انتصارات عسكرية سريعة بحكم الضرورة الاقتصادية والنفسية، وبالتالي على المقاومة الاعتماد على مزايا التفوق البشري والعمق الجغرافي والبشري لتحييد تفوق إسرائيل ولاستنزاف مواردها في حرب طويلة، بناءً على ذلك فإن حرب العصابات هي الاستراتيجية الملائمة لأنها تسمح بتفادي ضربات العدو وتجهض مبدأ الحرب الخاطفة الذي تعتمده[١].

وقد بنى الفدائيون استراتيجيتهم على أساس كسب وتثوير الحاضنة الشعبية، فكل فلسطيني يجب أن يكون نصيراً للثورة وحامياً لها، وعلى أساس تنفيذ هجمات مباغتة، وفي أكثر من مكان، بهدف استنزاف قوات العدو وإضعافها، فالمفاجأة والسرعة هما العنصران الجوهريان في الهجوم، وعلى المقاتل أن يضرب باستمرار بحيث لا يترك جندي العدو يغمض له جفن في أرض المعركة، وإعطاء العدو الانطباع بأنه مطوّق في كل لحظة، فعمل المقاتل المحترف يتمحور في "عض واهرب" وليس في ذلك ذماً للمقاتل، ثم تريث وراقب، ثم عد ثانية عض واهرب مرة أخرى وهكذا دواليك دون أن تترك للعدو راحة[٢]، على أن يكون المقاتل دائماً في منأى من يد العدو.

---

(١) يزيد صايغ، الكفاح المسلح والدولة الفلسطينية، الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٤٩– ١٩٩٣)، ص ٣٠١.

(٢) تشي جيفارا، كتاب مبادئ حرب الغوار، ترجمة الدكتور فؤاد أيوب، والأستاذ علي الطود، ص ١٥.

وقد حددت الجبهة الشعبية المراحل الفعلية التي ستمر بها حرب التحرير الشعبية، والوسائل التي ستتقدم بواسطتها، ورأت أن النزاع المسلح يمر بثلاث مراحل تاريخية، الدفاع الاستراتيجي ضد العدو الصهيوني، الوصول إلى حالة من التكافؤ العام، وأخيراً، الهجوم الاستراتيجي العربي، وكان هذا التطور الواسع يتطلب فترة أولية من حرب العصابات تتجنب خلالها حركة التحرير أي مواجهات حاسمة مع العدو، ثم تتبعها فترة من الحرب التقليدية تخوض خلالها الجيوش النظامية معارك طاحنة مع العدو إلى أن يتحقق النصر[١].

وفي ضوء ذلك تبنى العمل الفدائي تكتيكاتٍ اعتمدت على الرصد والمراقبة، ونصب الكمائن، وزرع الألغام، وتوجيه ضربات سريعة لكنها متواصلة، وحمل العدو على القتال ضمن الشروط التي يفرضها الفدائيون، وهذه التراكمات الصغيرة والمتلاحقة من الفعل الثوري ستؤدي إلى رفع كلفة الاحتلال بشكل يجعله يعيد حساباته في استمرار احتلاله ، والتفكير الجدي في الخلاص من هذا الجحيم الذي يستنزف قواه.

ومن أهم عناصر نجاح العمل الفدائي في تلك الفترة، اعتماد الفدائيين على البيارات، التي كانت بمثابة تعويض عن عدم ملاءمة الطبيعة الجغرافية لحرب العصابات، كانت البساتين والكروم والبيارات، خصوصاً بيارات الحمضيات تشغل مساحات كبيرة جداً من قطاع غزة قياساً بالمساحة التي تشغلها التجمعات السكنية في المخيمات، وقد شكلت هذه البيارات مركزاً لانطلاق مجموعات الفدائيين لتنفيذ هجماتهم، وفيها مخابئ وأوكار ومخازن للسلاح[٢]، وتحت أشجارها الكثيفة كانوا يلتقون للتخطيط لعملياتهم الجديدة، وإليها كان يجر العملاء والمتآمرين على الثورة لاستجوابهم والتحقيق معهم، وقد استغلها الفدائيون في عمليات التدريب على السلاح، وكانت كثافة أشجارها تساعد في سرعة التخفي والاحتماء من دوريات وكمائن العدو، ومن خلالها كانوا ينقضون على العدو دون أن يشعر أحد بتنقلاتهم.

---

(١) يزيد صايغ، الكفاح المسلح والدولة الفلسطينية، الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٤٩– ١٩٩٣)، ص ٣٠١.

(٢) مخزن السلاح والذخيرة في البيارة عبارة عن برميل كبير تحت الأرض له غطاء، ويوضع فوقه عشب للتمويه.

كانت البيارات عصية على قوات العدو التي كانت تحسب ألف حساب عندما كانت تضطر لاقتحامها، وإن حدث ذلك فإن جنود العدو سيكونون فريسة سهلة للقضاء عليهم، ونظراً لأن البيارات كانت تحيط بالمخيمات من كل الاتجاهات، فقد كان الفدائيون يستخدمونها ممرات للتنقل من مخيم لآخر، أو من بلوك لآخر في أوقات فرض الطوق، أو في حالة نصب العدو لكمائن بداخلها، ومن المبادئ الأساسية التي يتوجب على المقاتل أن يتعلمها عند مواجهة دوريات العدو هي المعرفة الكاملة للأرض التي يقاتل فيها، فليس من المعقول أن يجهل المكان الذي سيهاجمه العدو منه، وعليه أن يعرف كل مسالك ودروب الانسحاب، وجميع مداخل الطرقات في المحيط، والمنازل الصديقة وغيرها، ولأن الغالبية العظمى من الفدائيين كانوا يقاتلون في مخيماتهم وفي الأماكن القريبة منها، فقد كانوا يعرفون كل شبر فيها، حتى البيارات المنتشرة هنا وهناك، كانوا يعرفون كل شجرة فيها، وهذا ما ضاعف من إمكانية اتخاذها سلاحاً قوياً لصالح الفدائيين.

كان كبار الملاك وأصحاب البيارات ينتمون لشريحة من الإقطاعيين كانت تتعارض مصالحهم في الغالب مع الثورة ومع العمل الفدائي، وقد بقيت هذه الفئة من أهل القطاع تلعب دور الصامت المترقب بحثاً عن مصالحها وانتصاراً لها، وعلى الرغم من ذلك، كان يحرص الفدائيون على نسج علاقات وطيدة معهم، أولاً لأنهم فلسطينيون ويقع على عاتقهم واجب التصدي لخطر الاحتلال الذي بات يهدد الجميع بلا استثناء، وحتى لا يتسبب أي وجود للفدائيين في البيارات وترددهم عليها أي إزعاج أو ردة فعل من ملاكها، وقد أبدى بعضهم تعاوناً مع الفدائيين، وقد أحجم آخرون.

ومن أبرز البيارات التي استخدمها فدائيو الجبهة في مخيم النصيرات بيارة المفتي التي تقع إلى الشرق مباشرة من البلوك الشمالي الغربي للمخيم، وتمثل هذه البيارة أهم قاعدة عسكرية للمقاتلين في النصيرات، وفيها مخزن للذخيرة والسلاح، وكانت تعتبر معقلاً لمجموعات الفدائيين العاملة هناك، وكثير من العمليات التي نفذها مقاتلو الجبهة في تلك الفترة، كانت هذه البيارة نقطة انطلاقهم لتنفيذها، مثل عملية النادي التي سيأتي ذكرُها فيما بعد، ومن البيارات الأخرى التي استغلها الفدائيون في قتالهم ضد العدو بيارة المسيحي في

منطقة الحساينة، وبيارة "أبو حمار" في منطقة الشلوط، في السوارحة، وبيارة "أبو قاسم" جنوب مدينة دير البلح.

وفي المخيمات الأخرى كان الأمر شبيهاً بمخيم النصيرات فقد استثمر الفدائيون هذه البيارات خير استثمار، وفي كل بلدة أو مخيم كان الفدائيون يختارون واحدة منها يتخذونها قاعدة عسكرية لهم، لم يقف الأمر عند هذا الحد فقد اهتم الفدائيون بتنظيم الأشخاص الذين كانوا يعملون "نواطير" للبيارات، ليحرسوا مخابئهم ومخازن السلاح فيها، وقد تعرض الكثير من هؤلاء الحراس لخطر الملاحقة والاعتقال، ومنهم البياري الرفيق "عقل نجم" الذي اعتقل بسبب انتمائه للجبهة الشعبية أكثر من مرة، والبياري الرفيق أبو فتحي الحزين "والد الرفيق الشهيد فتحي الحزين"، الذي اعتقل أيضاً على خلفية انتمائه للجبهة الشعبية وتقديم مساعدات للفدائيين.

تعود ملكية بيارة المفتي لعائلة الحسيني، وكان الرفيق عبد الحي الحسيني[١]، يوفر للمطاردين كل ما يحتاجونه من طعام وشراب وأشياء أخرى، يجهزها لهم ويضعها عند ناطور البيارة، فالمطارد لم يعد له وجبات طعام منتظمة كما السابق، فهو يأكل متى استطاع، وأحياناً يعاني من صيام يومين أو ثلاثة دون أن يتوفر له أي طعام، وكان يسهّل مهماتهم في تحديد نقاط ميتة بين أشجار الحمضيات لتكون مناسبة لتخبئة ذخيرتهم فيها، بعيدة عن عيون الناس، والأهم أن لا يتم كشفها عند مداهمة قوات الجيش للبيارة تحت أي ظرف من الظروف.

كان الحسيني مؤمناً بالدور البطولي الذي يقوم به الفدائيون، كغيره من أبناء الشعب الفلسطيني، ولديه قناعة راسخة بأن الحل الوحيد لمواجهة الخطر الصهيوني لن يكون سوى من فوهات البنادق، لذلك انتمى للجبهة الشعبية وحرص على تقديم ما باستطاعته لمساعدة الفدائيين[٢].

فطن المجرم شارون الذي كان يشغل منصب وزير الدفاع آنذاك لأهمية هذه البيارات ودورها في مساعدة الفدائيين في تنفيذ ضرباتهم ضد قواته، فلجأ إلى تدريب قواته

---

(١) كان يعمل طبيباً وعضواً في حركة القوميين العرب، وانضم لاحقاً للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
(٢) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

وتهيئتهم على اقتحامها، وأوصاهم بأن يكثفوا مهام سرايا الاستطلاع قبل أن يدخلوها، وعليهم أن يتفحصوا الأرض بانتباه، فيذكر في مذكراته أنه أخذ قادة الزمر إلى منطقة مرتفعة قبالة بساتين البرتقال الخصبة الخاصة برشاد الشوا(١)، مختار غزة وأحد أكبر الملاك العقاريين في القطاع، وسألهم:

- ماذا تشاهدون ؟
- ماذا تريد أن تقول ؟ إننا نشاهد بستان برتقال.
- حاولوا تمييز التفاصيل، ماذا ترون في هذا البستان ؟
- حسناً فيه أيضاً بعض أشجار البلح.
- جيد ، ولكن لاحظوا جيداً هذه الأشجار بالذات.
- حسناً ، لقد قطعت قمة شجرتين منها، قد تكون شجرتين عتيقتين.
- جيد جداً ، عندما سندخل بستان البرتقال، توجهوا أولاً إلى هاتين البلحتين.
- لماذا ؟
- نحن نعلم أنهم سيختبئون في البساتين، فعندما يخرجون من مخابئهم القديمة (البيوت داخل المخيمات) عليهم أن يتوجهوا إلى مكان ما، قد يقترح أحدهم: – نلتقي في بستان برتقال رشاد الشوا. – نعم ولكن أين بالضبط ؟، فهذا البستان كبير جداً. – حسناً تحت البلحات. – ولكن يوجد أكثر من واحدة . – تحت البلحتين المقطوعتين عند قمتهما(٢).

وبالفعل تجرأ العدو رويداً رويداً على دخول البيارات، وراحوا ينفذون ما حرص شارون على تدريبهم عليه، فأحياناً كانوا يجدون آثار موقد مغطاة بالتراب، وقد مشط حولها لإخفاء الأثر، كان ذلك يعطي مؤشراً عن وجود أشخاص تحلّقوا حولها للدفء أو

---

(١) ولد في مدينة غزة عام ١٩٠٩، تلقى تعليمه حتى الثانوية العامة في غزة ثم أكمل تعليمه العالي في السياسة والاقتصاد في الجامعة الأمريكية في القاهرة عام ١٩٣٤، شغل وظيفة قائم مقام في مدينة حيفا عام ١٩٣٥ في فترة الاحتلال البريطاني، وعمل كرئيس لبلدية غزة من العام ١٩٧٢-١٩٧٥، أسس أول نادي رياضي عام ١٩٣٤، عرف فيما بعد باسم "نادي غزة الرياضي"، وأنشأ أول سينما في غزة وهي سينما السامر في الأربعينات من القرن الماضي، وأنشأ مركز رشاد الشوا الثقافي في عام ١٩٨٨، وهو المركز الثقافي الأول في فلسطين، توفي في أغسطس عام ١٩٨٨.

(٢) مذكرات أرييل شارون، تحرير دافيد شانوف، ترجمة أنطوان عبيد، ص ٣٢٨.

لتناول وجبة غذاء أو لشرب الشاي، فكانوا يتفحصون أكثر لعلهم يصلون في نهاية الأمر إلى مخابئ الفدائيين وينجحون في تصفيتهم، ويرغم محاولات العدو للإجهاز على الثورة ومحاصرتها، بقيت البيارات الحضن الدائم للفدائيين.

الدوريات محطة نوعية لتصعيد المقاومة المسلحة

لعبت الدوريات المقاتلة التي كانت ترسلها القيادة إلى داخل الأرض المحتلة وتحديداً إلى قطاع غزة دوراً مهماً في تصعيد العمل الفدائي، وكانت القيادة في الخارج تركّز على رفد الداخل المحتل بالكفاءات العسكرية لتكون بمثابة بؤرٍ قيادية قادرة على تنفيذ هجمات عسكرية ضد قوات العدو الصهيوني، وتستطيع الاضطلاع بمهمة التعبئة والتجييش للعمل الفدائي وتجنيد الأعضاء الجدد وتدريبهم، وتشكيل خلايا عسكرية مجهزة وتوجيهها للعمل في المخيمات وفي القرى والمدن.

في بداية عام ١٩٦٨، أرسلت الجبهة باكورة دورياتها العسكرية إلى قطاع غزة[١]، ونجحت أول دورية[٢] من الفدائيين في الوصول إلى القطاع قادمة من جنوب الأردن مروراً بسيناء، ومنها إلى قطاع غزة، وكان على رأس هذه الدورية الرفيق القائد عبد الرحمن قاسم، وفور وصولها قام عناصر الدورية بتشكيل وتدريب عدة مجموعات قتالية وباشروا معها بتنفيذ العديد من العمليات العسكرية.

حاولت قيادة الجبهة في الأردن إرسال دوريات أخرى عن طريق وادي عربة إلا أنها لم تفلح في الوصول للقطاع، نظراً للخطورة الكبيرة والعقبات التي كانت تواجه الدوريات القادمة إلى القطاع عن طريق سيناء، بسبب انكشاف الطريق للعدو واتخاذه جملة من الاحتياطات وتكثيف دورياته ونقاط مراقبته عليها، إضافة لمساعدة بعض السكان البدو للاحتلال وتبليغهم عن أي تحركات لهذه الدوريات، وساهم تعاونهم مع الاحتلال في القضاء على عناصر الدوريات عند قدومها واجتيازها للحدود.

ونتيجة لذلك قامت الجبهة بتغيير خط سير هذه الدوريات، لتنطلق من الأردن مروراً بالأراضي السورية، ومنها إلى لبنان لتصل أخيراً إلى قطاع غزة عن طريق البحر، رغم أن الظروف لم تكن مواتية لإرسال هذه الدوريات بهذه الطريقة، وكانت هذه الرحلة الشاقة

---

(١) في مقابلة مع الرفيق إبراهيم شاهين.

(٢) مصطلح يطلق على الفدائيين الذين تسللوا إلى داخل فلسطين المحتلة إما للقيام بعمليات فدائية ضد مصالح العدو الصهيوني، أو لتنظيم مجموعات عسكرية في الداخل نظراً لقدراتهم العسكرية العالية.

محفوفة بالكثير من التعقيدات والمخاطر وتتطلب إجراءات وترتيبات غاية في السرية والكتمان، لكثرة المحطات التي تمر بها، إلا أن ضرورات النضال وحاجة العمل العسكري في القطاع تقتضي تذليل كل هذه الصعاب بهدف تزويد الأراضي المحتلة وخصوصاً قطاع غزة بكفاءات عسكرية باستمرار.

شهدت تلك الفترة خلافاً حاداً ما بين الجبهة الشعبية والنظام السوري، وكان الرفيق الراحل جورج حبش(١) معتقلاً هناك بتهمة التآمر على قلب النظام، لذلك كان خروج أفراد التنظيم إلى الأراضي السورية يتطلب الحذر دون أن تنكشف هويتهم التنظيمية، إضافة إلى موقف النظام اللبناني الرافض لتواجد أي قوات فدائية للفلسطينيين على أرض لبنان آنذاك، هذا عدا الصعاب التي ستواجه عناصر الدوريات في عرض البحر من سلاح البحرية الصهيوني.

وبرغم ذلك وبعد أكثر من محاولة نجحت أول دورية عسكرية عن طريق البحر في الوصول إلى شواطئ غزة في أواسط مايو ١٩٦٩، وكان على رأسها الرفيق عبد العزيز الميناوي الذي تسلم آنذاك قيادة الجهاز العسكري للجبهة الشعبية في القطاع(٢)، وقد كان من السهل على أفراد الدورية التواصل مع المجموعات العسكرية العاملة هناك لأنهم من أبناء القطاع، ولأن قيادة الجبهة في الخارج قد مهّدت الطريق وأعطت تعليماتها لتسهيل عمل القائد الجديد للقطاع.

يحدثنا الرفيق سلامة السعيدني عن هذه التجربة فيقول بأنه ورفاق آخرون، وهم الرفيق عبد العزيز الميناوي، والرفيق محمد الطيب عبد ربه، والرفيق عبد العظيم عودة

---

(١) في ١٩٦٨/٣/١٩، اعتقلت السلطات السورية د.جورج حبش وآخرين من أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في معتقل الشيخ حسن "سجن كراكون"، وذلك بذريعة معاقبة الجبهة على تدميرها خط الأنابيب الذي يحمل النفط السعودي إلى ميناء الزهراني في لبنان، في مكان يمر الخط فيه بهضبة الجولان، أما السبب الآخر فهو شكوك السلطات السورية بأن حركة القوميين العرب تآمرت للقيام بانقلاب بالتعاون مع جمال الأتاسي الموالي لعبد الناصر، وبتاريخ ١٩٦٨/١١/١٤ تمكنت مجموعة من الجبهة، بقيادة الرفيق أبو طلعت العجرمي، وشاركت فيها الرفيقة وداد قمري من اختطاف الرفيق حبش ونقله إلى بيروت ليتوجه بعدها إلى الأردن لينضم إلى قيادة الجبهة الشعبية هناك.

(٢) في مقابلة مع الرفيق محمد معالي أبو سمرة.

خضر، في بداية ١٩٦٩، تم ترشيحهم بواسطة الرفيق وديع حداد[١]، والرفيق جبريل نوفل[٢]، القيادة العسكرية للجبهة آنذاك، للقيام بعملية ما، دون أي تفاصيل حولها، وفي شهر مارس ١٩٦٩، تم الاجتماع بهم في قاعدة الكرامة[٣]، وهناك تم إخبارهم بأنهم سينفذون عملية في الداخل، وتم الحديث معهم بأن الجبهة تنوي تصعيد العمل العسكري داخل الأرض المحتلة، لذلك هم بحاجة إلى كوادر عسكرية للقيام بهذه المهمة هناك، وتم الالتقاء بهم مرة أخرى في منزل بالقرب من مكتب الحزب في مخيم الوحدات، وتم إخبارهم بأنهم سيتوجهون إلى سوريا.

كانت المهمة متقنة وميسرة في كامل محطاتها، ومدروسة على درجة عالية من الاتقان، فلم يعانِ الرفاق من أي تعطيل أو مضايقات أثناء انتقالهم من مكان لآخر، مكثوا في سوريا أسبوع فقط، لم يواجهوا أية صعوبات نظراً لأنهم يحملون أوراقاً مزورة لا تشير إلى أنهم فلسطينيون، أو أنهم ينتمون للجبهة الشعبية التنظيم المحظور في سوريا، وهناك التقوا برفاق كانوا في انتظارهم، واقتادوهم إلى مخيم اليرموك. ثم توجهوا إلى لبنان، بعد أن

---

(١) أحد مؤسسي "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"، وقبلها "حركة القوميين العرب"، هو ورفيق دربه الدكتور جورج حبش، ولد في مدينة صفد عام ١٩٢٧، ونتيجة للمأساة التي حلت بالشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨، اضطر للهجرة مع عائلته إلى بيروت، تولى موقعاً قيادياً في "جمعية العروة الوثقى" ولاحقاً في "حركة القوميين العرب" وختاماً في "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"، منذ التأسيس حيث تولى الدكتور وديع حداد مهمات قيادية أساسية في الجبهة، حيث أسندت إليه مهمتان رئيسيتان هما المالية والعمل العسكري الخارجي، وأثبت من خلالهما قدرات قيادية وعملية حيث جسد شعار (وراء العدو في كل مكان)، كان وديع في ذلك الوقت أذكى شخصية فلسطينية كما كان يجمع الفدائيين خلال عمله في التنظيم الخارجي، قاد خلايا تنشط في مختلف أنحاء العالم وكان وراء عمليات خطف الطائرات الشهيرة، في نهاية مارس عام ١٩٧٨ توفي في ألمانيا الشرقية، وأشيع أنه توفي بمرض سرطان الدم، وبعد ٣٨ عاماً اعترفت (إسرائيل) بأنها قامت باغتياله بدس مادة سامة بيولوجية تعمل ببطء في الشوكولاتة التي تناولها، وتؤدي إلى انهيار جهاز المناعة في الجسم.

(٢) أحد مناضلي الجبهة الشعبية، وقادتها العسكريين، ولد بتاريخ ١٩٣٥/٨/٢٧، في قرية حليقات التي تم الاستيلاء عليها في نكبة عام ١٩٤٨، التحق بالكفاح المسلح بعد هزيمة عام ١٩٦٧، وكان من أوائل ضباط جيش التحرير الذين التحقوا بحركة القوميين العرب، أصبح مقاتلاً في صفوف الجبهة، ومن ثم عضواً في قيادتها العسكرية، كان أحد أفراد المجموعة التي كلّفها القائد وديع حداد ونجحت بإطلاق سراح المؤسس الدكتور جورج حبش وتهريبه من السجون السورية، بعد أحداث أيلول المؤسفة غادر الأردن إلى لبنان، وفي عام ١٩٧٥ توجه إلى مصر، ثم عاد إلى قطاع غزة عام ٢٠٠٥، وتوفي بتاريخ ١٦ سبتمبر ٢٠١٥.

(٣) قاعدة عسكرية للجبهة الشعبية في الأردن.

تم تزويدهم ببطاقات هوية لبنانية مزورة، وشهادات للثانوية العامة وأوراق ثبوتية أخرى للتغطية على مهمتهم، قدّموها على الحدود اللبنانية السورية.

وفي بيروت سكنوا في منزل تبين لاحقاً بأنه يعود للرفيق غسان كنفاني، وقد كان فارغاً، لم يكن يتواجد فيه غسان أو أي من أفراد أسرته، وهو المنزل الذي استشهد فيه، مكثوا هناك أسبوع، ثم انتقلوا إلى مدينة صيدا، حيث التقوا مع أحد الرفاق في إحدى البيارات المطلة على البحر، وأخبرهم بأن مهمتهم اقتربت.

كانت العملية في طي الكتمان وتسير في غاية السرية، ولا يعرف بتفاصيلها إلا أفراد محددون، في كل محطة منها يقوم أفراد مُعيّنين بتسهيل عملية انتقال المجموعة من مكان إلى آخر دون معرفة أية تفاصيل أخرى، أخبروهم أخيراً بأن مهمتهم الذهاب إلى غزة، وبأن رحلتهم غداً ستنطلق إلى هناك.

وفي اليوم التالي وبعد الساعة الثامنة مساءً خرج الرفاق الأربعة باتجاه الشاطئ واعتلوا مركبهم المعد جيداً لهذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر، ومعهم ربّان المركب، وشخص آخر ميكانيكي مهمته الأساسية تصليح أعطال المركب، تم تزويدهم ببطاقات هويّة لبنانية مزورة، سيتم إبرازها فيما لو صادفتهم دورية صهيونية أو أي جهة أخرى يمكن أن تلاحقهم أو تقتفي أثرهم في المياه الإقليمية، وقتها سيعرّفون أنفسهم بأنهم لبنانيون ضلوا طريقهم في وسط البحر.

تسلّم قائد المجموعة الرفيق عبد العزيز الميناوي، ورقة هي "جزء من صورة"، كانت بمثابة كلمة السر بينه وبين القيادة العسكرية التي أشرفت بشكل مباشر وعن كثب على كامل تفاصيل عملية انتقال المقاتلين من الأردن وصولاً إلى قطاع غزة، كانت التعليمات بأن يتم تسليم "نصف الصورة" إلى ربان المركب فقط في حالة وصولهم إلى شاطئ غزة، وعند رجوع المركب إلى لبنان يقوم ربان المركب بتسليمها للقيادة العسكرية للجبهة[١]، وبذلك تضمن القيادة وصول الدورية بأمان إلى القطاع، كما تسلّم قائد المجموعة عدداً من

---

(١) كان الرفيق وديع حداد يشرف على العملية بشكل مباشر، وكان بحوزته النصف الثاني من الصورة، وهو الذي سيتسلم نصف الصورة من سائق المركب عند عودته إلى لبنان مرة أخرى، وعند التقائه بالسائق يطلب منه الأمانة التي أعطاه إياها قائد المجموعة ، فيقوم بمطابقة نصفي الصورة، وبذلك يتأكد من وصول أفراد الدورية إلى قطاع غزة.

الأسماء لشخصيات قيادية في القطاع مطلوب منه التواصل معها عند وصوله للقطاع، المهمة محاطة بسرية تامة لدرجة أن هذه الأسماء لا يعرفها أحد سواه، أما باقي أفراد المجموعة فلم يزوّدوا بمثل هذه المعلومات.

مع حلول المساء أقلع الرفاق في البحر، ومعهم بعض الصواريخ وقواعدها، وعدد من بنادق الكلاشنكوف وقنابل وذخيرة، موضوعة في حقائب خاصة، وأجهزة لاسلكي، وبوصلة ضخمة لتحديد الاتجاهات، محميّة من تأثيرات المعادن في الأسفل أو من أية تأثيرات بحرية أخرى أو محيط مغناطيسي . . إلخ ، ومعهم بعض الكتب.

كان أفراد الدورية جميعهم من الكوادر العسكرية التي تلقّت العديد من الدورات العسكرية المتخصصة، متحمسون يحملون في قلوبهم هدفاً سامياً يستحق التضحية، صادفهم في الطريق مركباً "مدنياً" يرفع علم "إسرائيل"، فوقف أحد الرفاق دون خوف أو ارتباك، وأعطى إشارات بيديه ترحاباً بالمركب، فبادلهم أصحاب المركب الصهيوني بنفس الحركات، وذهبوا.

حدد عناصر الدورية المدن التي مروا عنها أثناء سفرهم في الليل عن طريق الإنارة الصادرة من هذه المدن، رحلات البر شبيهة برحلات البحر، فالمركب كان يكمن في النهار، ويتم تغطيته بغطاء أزرق كلون مياه البحر، ويواصل مسيره في الليل، تلقى أفراد الدورية دروساً في علم الطوبوغرافية العسكرية(١).

بعد يومين في البحر وصلت الدورية قبالة شواطئ غزة، بدأت تقترب رويداً رويداً من الشاطئ، شاهدوا سيارة تتحرك باتجاههم، ثم أطفأت أنوارها وتوقفت عن الحركة، لم يعرف أفراد الدورية حقيقة السيارة المتوقفة، فلربما هي عربة عسكرية تنتظر قدومهم لتجْهز عليهم، وربما تكون غير ذلك، للمخاطرة ثمن باهض جداً، لم تكن هناك أي حركة على الشاطئ ففي مثل هذه الأوقات من الليل يسري منع التجول في القطاع، وتتوقف الحركة بالكامل.

---

(١) هي علم من علوم المساحة يختص برسم الخرائط والهيئات الارضية (الطبيعية والصناعية) وتسخيرها لصالح العلم العسكري.

وبعد نقاش طويل بين قائد المجموعة وربان المركب، اتفق الاثنان على عودة المركب إلى لبنان، حفاظاً على أرواح المقاتلين، وخوفاً من انكشاف أمرهم ومن فشل مهمتهم، خصوصاً وأنه لم يكن ينتظرهم أحد ليعطيهم الأمان، توقف هذه السيارة قبالتهم أربك حساباتهم، وبالفعل عادت الدورية أدراجها إلى مدينة صيدا مرة أخرى.

وفي ١٥ مايو ١٩٦٩، وبعد أسبوع تقريباً من فشل الرحلة الأولى، انطلق المركب من شواطئ صيدا مرة أخرى، وبعد يومين وصل المركب إلى نفس المكان في رحلته الأولى، وقبالة شاطئ دير البلح كمن أفراد المجموعة قليلاً، وفي ساعات متأخرة من الليل واصلوا مسيرهم نحو الشاطئ، نزلوا بكامل عتادهم بسلام، وحطت أقدامهم أخيراً فوق تراب الوطن، طلب الرفيق الميناوي من أحد الأشخاص أن يصعد إلى الأعلى ليستكشف الطريق المحاذية للشاطئ.

طلبت منهم القيادة العسكرية عند وصولهم بأمان إلى القطاع ألا يفشوا لأحد سر قدومهم من لبنان عن طريق البحر، حتى تظل هذه الطريق محميّة وبعيدة عن أنظار العدو، وحتى لا ينكشف أمر الدوريات القادمة من البحر فيما بعد، ومن يسألهم يخبرونه بأنهم جاءوا من الأردن عن طريق البر.

عاد ربان المركب ورفيقه الميكانيكي، فيما حمل الباقون عتادهم الثقيل وتوجهوا به لأعلى، وقطعوا الأسفلت المكسور آنذاك، وتحركوا بزيهم العسكري جهة الشرق قرابة ٥٠٠ متر بعيداً عن الشاطئ، إلى أن وصلوا إلى عريشة من جريد النخيل يجلس بداخلها رجل عجوز من سكان مخيم دير البلح، ألقوا عليه التحية ورحّب بهم، وأخبرهم بأنه عسكري مثلهم وبأنه خدم في الجيش المصري في عهد الملك فاروق، وعمل برتبة "شاويش".

اهتم الرجل بقدومهم وأطعمهم من الخيار البلدي المزروع في أرضه، وعندما تبادلوا الحديث معه اطمأنوا إليه وأخبروه بذلك، وبأنهم سيخبئون عنده حقائبهم المملوءة بالأسلحة والذخيرة، وسيتركونها عنده لثقتهم العالية فيه، أحس الرجل بخطورة احتفاظه بهذه الأسلحة، فطلب منهم أن لا يتأخروا عليه طويلاً، فوعدوه خيراً، وهمّ الرجل بعزم رغم كبر سنه ليخفى الحقائب تحت أكوام التبن والقش، وبعد أن استراحوا قليلاً من عناء السفر، وقبل بزوغ الفجر تحركوا للرحيل، كان واضحاً للرجل بأن من يقف أمامه فدائيين حضروا

بعتادهم مقبلين على مواجهة العدو، وعرف بخبرته العسكرية وبحسه الأمني بأن قدومهم سيشعل في القطاع لهيب ثورة، ستندلع على يدي هؤلاء الأبطال الذين يحملون في عيونهم بيارق الأمل، وبالفعل كانت هذه هي مهمتهم ألا يكون موتهم سهلاً، وأن يربكوا حسابات العدو، وأن يحرّكوا النار التي باتت تخبو من تحت رماد الهزيمة، فيلتحق بهم عشرات بل مئات من الشباب المتحمس للثورة.

تركوا الرجل بعد أن خبأوا حقائبهم عنده، وتوجهوا مشياً على الأقدام إلى الشمال، وفي ساعات الفجر الأولى وصلوا إلى مخيم النصيرات، وهناك استراحوا في أحد البيوت في بيارة "القطاوي" المحاذية لوادي غزة، وبعد استقبالهم بحفاوة وكرم، انتقلوا إلى مكان آخر، ومن هناك توجه مسئول المجموعة الرفيق عبد العزيز الميناوي إلى مدينة غزة، وهناك التقى بالمسئول التنظيمي للجبهة الشعبية في قطاع غزة، الذي كان مكلفاً بتسهيل مهامهم للالتقاء بمجموعات الفدائيين في القطاع، ومن خلاله سيباشرون عملهم في بناء خلايا عسكرية أو في التدريب أو في تنفيذ العمليات.

بدأت مرحلة جديدة من العمل العسكري المنظم، وبناء على تعليمات القيادة في الخارج، تسلم قيادة العمل العسكري في القطاع أحد أفراد الدورية وهو الرفيق عبد العزيز الميناوي، أما باقي أفراد الدورية تسلموا قيادة مناطق بعينها في القطاع، وبدأ كل في موقعه بتنفيذ مهامه في تدريب وتهيئة الفدائيين لخوض غمار معارك ضارية مع العدو.

بعد نجاح هذه الدورية في الوصول إلى القطاع، أرسلت الجبهة الشعبية دوريات أخرى من الكوادر العسكرية بنفس الطريقة، وعندما اصطدم سلاح البحرية الصهيوني بأحد المراكب القادمة إلى قطاع غزة والمحملة بالسلاح بالقرب من الشاطئ، وتمكن من اعتقال من كانوا على متنه وعلى رأسهم الرفيق داوود الباقة، أوقفت الجبهة الشعبية هذا النوع من الدوريات الذي أصبح مكشوفاً للعدو، ومنذ ذلك الوقت أصبح من الصعب المخاطرة باستقدام كوادر عسكرية أخرى إلى القطاع عن طريق البحر[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق سلامة السعيدني .

الأوكار والملاجئ محطات لانطلاق المقاتلين

كثيرة كانت مرات الملاحقة، وكثيرة كانت الملاجئ والأوكار في البيوت وفي البيارات التي كان يعدها الناس للمطاردين عن وعي وعن طيب خاطر، فهذا أقل القليل الذي يمكن أن يفعله أصحاب هذه البيوت أو البيارات لدعم الثورة وحماية أبطالها الشجعان، كانت قناعتهم عالية بالدور الذي يقوم به هؤلاء الأبطال، ويجب ألا يقتصر هذا الدور على من يحمل السلاح، فعلى الجميع أن يحمي الثورة وأن يحرس البندقية المقاتلة، وأن يقوم من موقعه بدوره للحفاظ على الثورة وعلى طليعتها المقاتلة.

(١)

في سبتمبر عام ١٩٧١، أرسلت الجبهة عن طريق البحر دورية عسكرية، وأرسلت معهم كمية كبيرة من الأسلحة والمتفجرات والكتب السياسية والنظرية، ونجحت في الوصول للساحل قبالة مخيم الشاطئ، قضوا ليلتهم الأولى هناك في منزل أحد الأصدقاء، وفي اليوم التالي تم توزيعهم على شمال ووسط وجنوب القطاع، لدعم وتعزيز العمل الفدائي في كافة أماكن القطاع، يبدو أن العدو علم بقدوم هذه المجموعة، فنصب حاجزاً في الطريق العام، وبدأ بتفتيش السيارات المتجهة إلى وسط وجنوب القطاع، ثلاث سيارات قادمة في الطريق، السيارة الأولى والثانية مهمتها استكشاف الطريق، أما الثالثة تقل عناصر الدورية، ومعهم الرفيقة عايشة خلف.

نصب الجنود حاجزهم بعد مرور السيارة الأولى والثانية، أما السيارة الثالثة أبطأت من سرعتها قبل وصولها للحاجز، كان بحوزة الرفيقة عايشة "دواير وقنع[١]"، فرمتها على الرفاق المطلوبين ليلبسوها بسرعة، وأخفت أسلحتهم تحت مقعد السيارة الخلفي، اعتقد الرفاق الذين اجتازوا الحاجز، أن العدو نجح في اعتقال عناصر الدورية، وأبلغوا القيادة

---

(١) الداير والقنعة : زي خاص بالنساء، وهو زي أسود طويل من قطعتين لا يظهر من المرأة سوى جزء من جبهتها وإحدى عينيها.

العسكرية بذلك، أفلتت السيارة الثالثة من قبضة العدو بأعجوبة، بعد أن نظر أحد الجنود إلى داخل السيارة، فوجد كل من فيها من النساء، ولم يخطر بباله أن من يبحث عنهم هم بداخل أول سيارة تتجه أمامه بعد نصبهم للحاجز، مرت السيارة بسلام، وتوجّهت إلى منطقة "المغراقة" وسط القطاع، لتلتقي بالقيادة العسكرية التي كانت في انتظارهم، قضوا تلك الليلة مع عدد من المطاردين في أحد البيوت الصديقة في منطقة الكمايلة في المغراقة، وكان في استقبالهم الرفيق داوود خلف الذي كان نائباً للرفيق جيفارا في ذلك الوقت، وفي تلك المنطقة تم تجهيز أكثر من وكر للفدائيين، وفور وصولهم استسلموا للنوم، بعد أن اقتادهم صاحب البيارة إلى وكر كان فيه فتحات للتهوية معدة لذلك.

يبدو أن المنطقة كانت تخضع لمراقبة أحد العملاء هناك، ففي منتصف الليل حضرت قوات من الجيش وداهمت المكان وفرضت منع التجول، رغم أن المنطقة لم تكن مأهولة بعدد كبير من السكان، واصلت قوات العدو عمليات التمشيط ومداهمات البيوت، كانت المعلومات تؤكد وجود عدد من المطلوبين في المكان، لذلك حرصت قوات الجيش على استمرار إحكامها وسيطرتها مع تمديد منع التجول لحين القبض أو القضاء على المطلوبين، قوات غفيرة حضرت إلى المكان، وتأهبت لمواجهة مرتقبة، إلا أنهم لم يجدوا أحداً وخاب مرامهم، وبعد يومين من التمشيط والدهم والتنغيص على الأهالي في منطقة المغراقة، رُفع منع التجول وانصرفت قوات الجيش وعادت الأمور إلى طبيعتها، وبعد أن دبت الحياة في المكان، جرى الاتصال بشخص صديق للفدائيين، فجاء بسيارته على الفور، وحمل الفدائيين خارج المنطقة في الشاحنة المحملة بأكياس للسماد العضوي، وبعض أكياس العلف الخاصة بالدواب، جاءت حمولة السيارة على هذا النحو لتأمين إخراج الفدائيين بسلام دون تعرضهم للانكشاف أو إلقاء القبض عليهم من الكمائن التي قد تصادفهم في الطريق، وبالفعل خرج المطاردون من وكرهم سالمين، وتم توزيع عناصر الدورية، وترتيب وتأمين مخابئ وأوكار لهم، منهم من ذهب إلى الجنوب، ومنهم من بقي في الوسطى، لينخرطوا في صفوف الثورة ويمارسون دورهم الطبيعي في مقارعة المحتلين[١].

---

(١) في تسجيل مع الرفيقة عايشة خلف (أم أحمد).

(٢)

في الفترة التي تولى فيها الرفيق المطارد داوود خلف مسئولية نائب القائد العسكري للجبهة الشعبية، بعد استشهاد الرفيق يوسف غبن في نوفمبر ١٩٧٠، أمضى عاماً كاملاً في غزة، وفي تلك الفترة توفرت له فرصة الاختباء في أكثر من مكان، أحدها ملجأ بداخل منزل أحد الرفاق[١]، مكث هناك مدة ثلاثة شهور، كان الوكر بمثابة غرفة عمليات مصغرة يجتمع فيه ببعض المطاردين، ليعطي تعليماته وتوجيهاته ويناقش معهم ما يقدمونه من مقترحات لعمليات جديدة، ومن هناك كان ينطلق الجميع لتنفيذ عملياتهم.

بعد فترة، تمكن أحد العملاء من رصد تحركات المطاردين، من وإلى البيت، فهاجمت قوات من الجيش المكان، وداهمت المنزل الذي كان يختبئ فيه داوود ورفاقه، وبدأت بعمليات التفتيش في المربع المحيط بالبيت، واكتشفت الملجأ الذي كان يحتمي بداخله المطاردون، لكنهم لم يستطيعوا اعتقال أي منهم، لأنهم نجحوا في الفرار من المكان قبل وصول قوات العدو.

بعد هذه الحادثة قام التنظيم ببناء شقة في الطابق الأول في بناية تقع في حي الزيتون جنوب مدينة غزة، خصصت للرفيقين جيفارا وداوود، وفي أسفل البناية تم تجهيز وكر بمواصفات عالية، التقى الرفيقان بعدد محدود من المطاردين في هذا المنزل، أما الرفاق الآخرون فقد كانوا يلتقون بهم في أماكن أخرى، تدابير واحتياطات أمنية عالية مكّنت الرفيقين من البقاء في هذا المكان مدة ستة شهور إلى أن تم اكتشاف أمرهم.

كانت طريقة مداهمة البيت مختلفة هذه المرة، فقد قامت طائرات الهيلوكوبتر وفي الساعات الأخيرة من الليل، بإنزال عدد كبير من جنود مظليين لسطح المنزل، وقاموا بمداهمة البناية وتفتيش الشقة بالكامل، إلا أنهم لم يجدوا أحداً سوى صاحب البناية الذي تم اعتقاله، حضرت قوات غفيرة من الجيش وحاصرت المكان وواصلت عمليات التفتيش.

جن جنون العدو فقد حصل على معلومات مؤكدة بوجود أخطر مطلوبين للجبهة الشعبية داخل البناية، ومع ذلك لم يجدوا أحداً، نادوا على الرفيقين جيفارا وداوود بمكبرات

---

(١) لقبه هاشم العاصي.

الصوت وطلبوا منهما الاستسلام، تخندق الرفاق في ملجئهم وتأهبوا للمواجهة، بعد ساعات حضر إلى المكان موشيه ديان وأشرف على عمليات التفتيش بنفسه، استمرت عملية البحث عن الرفيقين أكثر من ١٢ ساعة متواصلة، بعدها أعطى ديان أوامره بنسف البناية معلناً بذلك هزيمة جيش بأكمله أمام رفاق الجبهة الشعبية، وأخبر جنوده وهو يستشيط غضباً "أنا متأكد بأن جيفارا وداوود داخل البناية، لذلك انسفوا البناية بالكامل، لا أريد أن أعرف غير ذلك، فقط انسفوا البناية للقضاء عليهما"، وبالفعل تم نسف البناية بالكامل، بحث الجنود عن أشلاء في المكان، فلم يجدوا شيئاً من هذا القبيل.

غادرت قوات الجيش وهي تجر ذيول الخيبة والهزيمة، لم يحققوا انتصارهم حتى على حجارة البناية التي تناثرت في وجوههم أثناء نسفها لتعلن سخطها عليهم ورفضها لوجودهم فوق هذه الأرض الطاهرة، وتحت هذه السماء الحبيبة.

خرج أهالي الحي الطيبون، وتجمهروا أمام أطلال البناية التي تركها العدو خراباً لا ينذر إلا بالموت، وجوم وحزن شديدان في وجوه الحاضرين، وصمت مطبق في أرجاء المكان، الناس المتجمهرون حول ركام البناية تراودهم الأسئلة، لكنهم لا يرغبون في البحث عن إجابات لها، فلا أبلغ مما يرونه من دمار، لا أحد يستطيع أن يتجرع مرارة المشهد.

نجح العدو في نسف البناية وتدميرها بالكامل، إلا أن الملجأ المحصن استطاع أن يتحمل قوة التفجير، وأمام مرأى الجميع خرج كل من: جيفارا وزوجته، وداوود وزوجته، ومحمد موسى ياسين[١] الملقب "أبو النمر"، من تحت الركام يلبسون زيّهم العسكري ويحملون بنادقهم وعتادهم، لترتسم أخيراً ابتسامة النصر على وجوه الحاضرين[٢].

---

(١) ولد في عام ١٩٤٠، هاجر مع أسرته قسراً من قرية القسطينة في نكبة ١٩٤٨، وسكن في مخيم جباليا للاجئين، عمل ضمن الخلايا العسكرية العاملة في المنطقة الوسطى، ثم انتقل للعمل في شمال القطاع، كان من ضمن المقربين إلى الرفيق محمد الأسود، تم اعتقاله بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٧١، وحكم عليه بالسجن لمدة ٥٢٠ عاما، وأفرج عنه في صفقة تبادل الأسرى عام ١٩٨٥، وتوفى بتاريخ ١٩٩٢/٠٧/٠٢.

(٢) في تسجيل مع الرفيقة عايشة خلف .

(٣)

لم يعتمد المطاردون في اختبائهم على البقاء لفترة طويلة في مكان واحد، فقد حرصوا على تغيير أماكن اختبائهم وعدم المكوث فيها طويلاً، لتفويت فرصة النيل منهم، حتى أنهم في طريق عودتهم إلى أحد هذه المخابئ كانوا لا يتحركون إليها مباشرة، بل كانوا يسلكون مسالك مموهة ومضللة، فيدخلون بيوت أحد الأصدقاء ليقضوا فيها بعض الوقت، وهكذا كانوا يترددون على عدد من البيوت إلى أن يصلوا المكان الذي يختبئون فيه، كل ذلك بغرض التمويه على العملاء الذين كانوا يتعقبون طريقهم علهم يظفرون بمكافأة من مشغّليهم.

وفي أحد البيوت التي كان يتردد عليها الرفيقان جيفارا وداوود في مدينة غزة من حين لآخر، صادف أن داهمت قوات من جيش العدو للمربع السكني الذي يتواجدون فيه، بعد ساعات من انتهاء اجتماع ضم عدد من المطاردين وآخرين من قوات التحرير، لغرض التحضير لعملية مشتركة في ذلك الوقت، يبدو أن العملاء نجحوا في رصد حركة المقاتلين، مما أدى إلى مداهمة قوات من الجيش للمكان.

اختبأ الرفيق جيفارا ومعه كل من: الرفيق داوود خلف، وزوجته الرفيقة عايشة، والرفيق محمد موسى ياسين في الوكر، وهو عبارة عن غرفة أسفل المنزل مجهزة بفتحات للتهوية، وبالفعل تمت مداهمة المنزل الذي كانوا يختبئون فيه، وعاثوا فيه الفساد، وقاموا باحتجاز الرجل وزوجته واستجوابهم، ومع ذلك لم يفلحوا بانتزاع أية معلومة تدلهم على مكان المطاردين، وواصلوا عمليات التفتيش إلا أنهم لم يجدوا أحداً، وبعد أن خابت محاولاتهم، غادروا المكان.

من شدة ارتباك صاحب البيت وخوفه من أن يكتشف أفراد الدورية الوكر الذي يختبئ فيه المطاردون، كان قد نسي أن يرفع أغطية فتحات التهوية، فظلّت الفتحات مغلقة، ومرت ساعات وجنود الاحتلال يتناوبون على مداهمة المنازل من بيت لبيت، وصاحب المنزل وزوجته في حيرة من أمرهما، كانا ينتظران مغادرة الجيش على أحر من الجمر ليصبح المكان آمناً لخروج المطاردين.

خرجت قوات الجيش من المربع السكني، وبسبب خطورة ما يجري لم يستطع أحد الخروج، زوجة الرجل تسمع أصواتاً غريبة، يرافقها طلقات من الرصاص بين الفينة والأخرى، راحت تشجع زوجها لمعرفة ما الأمر، وأثناء تحركه سمع صوت استغاثة، وطلقات من الرصاص قريبة من البيت، تساءل في نفسه، "ترى من أين يأتي هذا الصوت، وقوات الاحتلال غادرت المكان !!"، وأصوات الاستغاثة مرة أخرى، بدأ يميز مصدر الصوت، وعلى الفور تذكر ضيوفه المطاردين المختبئين في الوكر، وتفاجأ عندما عرف أنه لم ينزع أغطية الفتحات، فذهب إليهم بسرعة وفتح عليهم باب الوكر فوجدهم في حالة اختناق وفقدان للوعي بسبب انتهاء كمية الأكسجين داخل الغرفة، نادى على زوجته، وأخرجهم بصعوبة، وحاول انقاذهم إلا أنهم كانوا في حالة يرثى لها.

مرت ساعة ولا زال الرفاق فاقدين للوعي، وفجأة خرج الرجل من البيت واستنجد بصديق له يسكن في البيارة المجاورة، وطلب منه أن يُحضر سيارته ليسعف ضيوفه، وفي الطريق أخبره بقصتهم، فتحمس الرجل لإنقاذهم، كيف لا وهم جيفارا ورفاقه، وقد سبق أن التقى بالرفيق جيفارا، وعرض عليه أن يختبئ في بيته، ركبا السيارة ووصلا إلى البيت بسرعة، فوجدا أن الرفاق قد استعادوا وعيهم وتجاوزوا محنتهم، بدأ جيفارا ورفاقه بمعاتبة الرجل وزوجته، وكيف نسي رفع أغطية التهوية، أخبروهما بأنهم عاشوا لحظات عصيبة داخل الوكر، وبأن الموت كان يدنو منهم رويداً رويداً، وبأنهم كانوا يصرخون بعلو صوتهم، وكانوا يطلقون النار على الأغطية لكن دون جدوى، ولو أن الرجل وزوجته غادرا المنزل ولم يرجعا إليه في تلك الليلة لمات الرفاق اختناقاً، لكنها الأقدار سارت على هذا النحو[١].

---

(١) في تسجيل مع الرفيقة عايشة خلف .

أسلوب التطعيم في العمل العسكري

استخدمت القيادة العسكرية للجبهة أسلوب "التطعيم العسكري" أثناء تهيئة مقاتليها الجدد، بحيث يقوم المقاتل المستجد بتنفيذ عمليات برفقة أحد المقاتلين المجرّبين، الذي سيكون له مرشداً وموجهاً أثناء تنفيذ العملية، وبذلك يتلقى المقاتل المستجد تدريبات عسكرية في الميدان، بهدف كسر حاجز الخوف والارتباك عنده، وتعزيز ثقته بنفسه.

ومن أجل توجيه ضربات موجعة للعدو الصهيوني، أعطت قيادة الجبهة في الخارج أوامرها وتعليماتها باستهداف ضباط ذوي رتب عسكرية عالية وتصفيتهم، وفي ١٥ يوليو ١٩٧٠، تجهّز الرفيق المستجد سليمان العر[١] لتنفيذ عملية عسكرية تنفيذاً لهذه الأوامر، وخرج معه أحد المقاتلين القدامى بهدف التطعيم والإسناد، وذهبا إلى منطقة الشجاعية وعند مفترق الطريق المؤدية إلى ساحة الشوا على الطريق العام "خط صلاح الدين" انتظرا قدوم سيارات ضباط المخابرات التي كانت تمر بالمكان كل يوم الساعة الواحدة ظهراً، كان المكان الأنسب لتنفيذ الهجوم عند المفترق بالضبط حتى يضطر سائق السيارة المستهدفة أن يبطئ من سرعته، فيكون استهدافه أسهل، وعندما اقتربت السيارة وأصبحت تحت مرمى الهدف، كان الرفيق سليمان في جهة قريبة من السيارة، فأعاق ذلك من ضرب الهدف، وكان تقدير الرفيق المتأهب لتنفيذ العملية بأن القنبلة لو ضربت آنذاك على السيارة، فسوف تصيب رفيقه وتقضي عليه.

فشلت العملية وانكشف أمر الرفيقين، وعلى الفور تحركت باتجاههما سيارة مجنزرة قريبة من المكان، فانسحبا باتجاه موقف سيارات الوسطى في عسقولة، وركبا في إحدى السيارات متجهين إلى مخيم النصيرات، وعلى مقربة من مفترق الشهداء نزل الاثنان وقررا استهداف أي سيارة تمر بالمكان وتحمل لوحة صفراء إسرائيلية، كلاهما لا يريد العودة دون تنفيذ العملية، وبالفعل وصل بعد فترة من الانتظار باص يحمل لوحة صفراء، تأهب كلاهما لضربه، كانت الخطة أن يبدأ المقاتل المستجد باستهداف الباص بإسناد ومساعدة

---

(١) ولد في مدينة بئر السبع في عام ١٩٤٧، هجرت عائلته قسراً إلى قطاع غزة في نكبة ١٩٤٨، استشهد مع رفيق دربه داوود خلف بتاريخ ١٩٧١/١٠/٢٢، بعد اصطدامهم بكمين نصبه العدو الصهيوني في مخيم البريج (سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

المقاتل الآخر، وبالفعل ألقى قنبلته الأولى باتجاه السائق فتوقف الباص، ولحسن حظهما كان الباص مكتظاً بالجنود، ثم ألقى قنبلته الثانية، وضرب الرفيق سليمان القنبلة الثالثة، وبدأت النيران تلتهم الباص بأكمله وتوالت الانفجارات بسبب انفجار الذخيرة التي كانت بحوزة الجنود.

- "الآن نعود إلى المخيم".

هكذا قال الرفيق سليمان وانسحب الاثنان غرباً متجهين إلى أحد المنازل في المغراقة، وهناك كان يتجمع عدد من الفدائيين[١]، أخبر الضيفان رفاقهم بما حدث، وعلى الفور غادر الجميع المكان لقربه من موقع تنفيذ العملية وتوجهوا جميعاً إلى المخيم الجديد بمعسكر النصيرات، وعند مشارف المخيم بالقرب من مدرسة الوكالة[٢] شاهدوا ألسنة الدخان لا تزال تتصاعد من الجهة التي استهدفوا فيها الباص[٣].

---

(١) الرفيق شيبوب وآخرين .

(٢) منطقة مرتفعة يمكن رؤية مكان العملية من هناك.

(٣) في مقابلة مع الرفيق محمد أبو فريح.

دليل سيناء، وتهمة الخيانة

في كثير من المحطات لجأت قيادة الجبهة الشعبية لسياسة إبعاد بعض كوادرها العسكرية عن المشهد الساخن عن طريق إخراجهم من القطاع بهدف تخفيف عبء الملاحقة والمطاردة من قوات العدو لعناصرها المطلوبين، ولحماية الجبهة الداخلية وتعزيز صمودها، خصوصاً أن انكشاف هذه العناصر للعدو يترتب عليه تشديد الإجراءات العقابية بحق جماهير شعبنا، إضافة إلى تضييق الخناق على تحركات الفدائيين الآخرين واستمرار حملات المداهمة والتفتيش على المطلوبين الخطرين بحسب العدو.

كانت طريق السفر إلى الأردن عن طريق العريش متاحة آنذاك، مروراً بصحراء سيناء، التي لم تكن مكشوفة للعدو، وفور وصولهم إلى الأردن كانت تتسلمهم قيادة التنظيم وتلحقهم بمعسكرات التدريب في قواعدها العسكرية للعودة مرة أخرى إلى القطاع لمواصلة دورهم النضالي في التصدي للعدو الصهيوني وضرب أهدافه.

لا شك أن رحلة السفر في دروب صحراء سيناء ومسالكها الوعرة تحتاج إلى شخص خبير ومرشد، على دراية تامة بجغرافيا الصحراء ومخاطرها يسمى الدليل، وكانت مهمة اختيار الدليل الأنسب لمثل هذه الرحلات تعتبر تحدياً كبيراً أمام قيادة التنظيم في الداخل، لأن بعض شيوخ العشائر ارتبطوا بعلاقات وثيقة مع العدو الصهيوني، إضافة إلى أن الدليل وعند قيامه بهذه المهمة لا يتولد لديه أي بواعث تضحوية أو وطنية أو إنسانية إنما يقوم بهذا الدور مقابل حصوله على أجر مادي، فرحلته في الصحراء قد تطول، وهي بلا شك مهمة محفوفة بالمخاطر ولا تخلو من المجازفة، وهذا ما وفر أمام الدليل فرصة الحصول على أموال طائلة مقابل قيامه بهذه المهمة.

إن فشل بعض هذه التجارب لا يعني بالطبع أن تجربة الدليل برمتها فاشلة، فقد نجحت قيادة الجبهة في إرسال العديد من الكوادر العسكرية من قطاع غزة إلى الخارج، منهم الرفيق محمد العرمي[١] وزوجته، والرفيق محمد فارس ياسين "أبو العز"، والرفيق

(١) ولد في مدينة بئر السبع في عام ١٩٤٢، هجرت أسرته قسراً إلى قطاع غزة في نكبة ١٩٤٨، التحق بجيش التحرير واجتاز العديد من الدورات العسكرية من خلاله، كان قائداً لإحدى المجموعات المقاتلة التابعة للجبهة الشعبية، توفي في عام ١٩٨٤(سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

محمد أبو عتيق "شيبوب"، الذي خرج من القطاع أكثر من مرة، والرفيق سليمان القطشان، والرفيق عبد الرحمن قاسم، ورفاق آخرين، جميعهم خرجوا بواسطة دليل قطع بهم الطريق بأمان وأوصلهم إلى الأردن.

لم تقتصر علاقة الجبهة الشعبية ببدو سيناء على الدليل فقط، ففي بداية عام ١٩٧٠، نجحت الجبهة في إحداث اختراق كبير ونشاط عسكري مميز في شمال سيناء، وشكّلت مجموعات قتالية من الفدائيين في تلك المنطقة، عن طريق الرفيق عودة أبو صوصين، وهو أحد عناصر الدوريات التي تلقّت تدريبات عسكرية في قواعد الجبهة في الأردن، وقام فور وصوله بتنظيم العشرات من العناصر الوطنية المتحمسة، وتدريبهم على استخدام الألغام والمتفجرات والقنابل وأعمال الهجوم ضد المواقع العسكرية التابعة للعدو الصهيوني، وقد نفّذت مجموعاته العديد من العمليات البطولية، وكبّدت العدو الصهيوني خسائر كبيرة في الجنود والمعدات، إلى أن استشهد في إحدى هذه العمليات، واستمرت مجموعاته في نشاطها العسكري إلى فترة غير معلومة[١].

يقول الرفيق أبو حافظ عزيزة بأن هذه المجموعات ارتبطت بعلاقة خيطية مباشرة معه منذ تشكيلها عن طريق الرفيق أبو صوصين، ولم تستطع الجبهة التواصل مع هذه المجموعات بعد اعتقاله واستشهاد الرفيق أبو صوصين، وقد نشطت في تلك الفترة منظمة سيناء العربية[٢] التي تشكلت بعد حرب ١٩٦٧ مباشرة، وتميزت بتنفيذ بالعديد من العمليات الفدائية ضد المواقع العسكرية أثناء حرب الاستنزاف، واستخدمت عناصرها الجمال في حمل الأسلحة، وساعدت في تنفيذ الكثير من المهام الناجحة خلال حرب الاستنزاف، وعن مجموعات سيناء العربية، ومجموعات الجبهة الشعبية التي يقودها الرفيق عودة أبو صوصين أطلق "موشيه ديان" وزير الحرب الصهيوني وصف "الأشباح"، بسبب كم العمليات والضربات التي قاموا بها بشكل خفي.

خلاصة القول، أن بدو سيناء قدموا نماذج متباينة في محطات نضال أمتنا العربية ضد الكيان الصهيوني، منها ما هو مشرف وبطولي أمثال الرفيق الشهيد عودة أبو

---

(١) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة.

(٢) تنظيم عسكري ضم جماعات من الفدائيين المصريين شاركوا مع القوات المسلحة المصرية في القتال ضد القوات الصهيونية التي احتلت سيناء عقب حرب ١٩٦٧.

صوصين، ورفاقه الذين التحقوا بمجموعاته، وعناصر منظمة سيناء العربية الذين قضّوا مضاجع العدو على مدار سنوات حرب الاستنزاف، في المقابل كانت هناك نماذج أخرى انسلخت عن عمقها القومي والعروبي وارتضت أن ترتمي في مستنقع الخيانة لتكون إحدى أدوات العدو وطابوره الخامس، منهم شيخ أحد القبائل الملقب "أبو ذراع"، الذي كان حارساً أميناً لأمن العدو في الصحراء، وكان ينشر مخبريه لتقتفي أثر الفدائيين وتسلمهم لقوات العدو الصهيوني.

الفصل الثاني

لا تمت قبل أن تكون نداً

الفصل الثانى

"إنـهم يصفون عمل المغاور[1] ذمَّاً بقولـهم: "عضّ واهرب"، وهو صحيح، عض واهرب، تريَّث، ارقب، عُدْ ثانية عضّ واهرب مرة أخرى، وهكذا دواليك، دون أن تترك للعدو راحة [2]"

---

(١) المستعد دوماً للموت مترجماً المثل الأعلى إلى حقيقة ساطعة، الفدائي الذي يقاتل ضد السلطة المستبدة وقوى الاستعمار.

(٢) تشي جيفارا، كتاب مبادئ حرب الغوار، ترجمة الدكتور فؤاد أيوب، الأستاذ علي الطود، ص ١٥.

تتشابه البدايات وإن اختلفت أسماء أصحابها

(١)

حاولنا أكثر من مرة الالتقاء بهذا الرجل السبعيني الصامت أو الاتصال به، إلا أن المرض حال دون ذلك، وفي كل مرة كنا نتصل به، كان يظهر عليه الإعياء والتعب الشديد، كثير من الرفاق أسدوا لنا نصيحة الجلوس معه لأهميته في التجربة التي نسعى إلى توثيقها، فهو يشكل بلا ريب أحد أبرز روادها، وخير شاهد على بطولاتها، وفي أول مرة اتصلنا به اتفقنا معه على أن نرسل إليه المسودة الأولى من الكتاب، والتي كانت تقتصر على سرد بسيط لبعض العمليات العسكرية التي حصلنا على معلومات منها من لقاءاتنا الأولية مع عدد من الرفاق القدامى الذين خاضوا التجربة أو عايشوها، وعندما سألناه عن رأيه في المسودة، أجابنا بأنها ضعيفة وغير مشجعة، وأظهر عدم رضاه عن المعلومات الواردة فيها، وبعد أشهر كنا قد قطعنا شوطاً في إعداد الكتاب، فأرسلنا إليه مسودة أخرى أكثر زخماً بالمعلومات وأكثر إحاطة بالتجربة، وسألناه مرة أخرى، فأبدى رضاه عن الكتاب، واستعد أن يكتب لنا ملاحظاته وإضافاته لإثراء الكتاب وتصحيح بعض المعلومات غير الدقيقة الواردة عن العمليات العسكرية وعن تواريخها وعن المقاتلين الذين شاركوا فيها.

جاءت جائحة كورونا لتزيد من التعقيدات التي تحول دون الالتقاء بهذا الرجل الذي يشكل ثروة ثورية بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة، فلا يمكن تجاوزه بأي حال من الأحوال عند كتابة التجربة، لم نيأس في الوصول إليه، وكنا نتحيّن أي فرصة للاتصال به للاطمئنان على صحته، والحصول على أي معلومة لإضافتها للكتاب.

إنه شيخ المقاتلين الرفيق جلال حافظ عزيزة "أبو حافظ"، الذي التحق بحركة القوميين العرب في أواخر عام ١٩٦٣، رغم وجود الشيوعيين والإخوان المسلمين[١] والقوميين العرب، إلا أنه اختار الالتحاق بصفوف القوميين لحبه الشديد للزعيم الراحل جمال عبد الناصر، الذي أحبته الملايين، ورأوا فيه الزعيم القومي المنقذ والمخلص للأمة العربية من براثن الاستعمار، نجح الرفيق عبد الحليم عاشور الغول في ضمه لحركة القوميين العرب، وفي الفترة الممتدة من عام ١٩٥٨، وحتى هزيمة حزيران ١٩٦٧، كانت الوجهة الحقيقية لحركة القوميين العرب توعية وتثقيف عناصرها، وتسليحهم بالوعي بقضيتهم وببعدها القومي، وكانت تنعقد جلسات تثقيفية ملزمة لكافة الأعضاء والأعضاء الجدد بانتظام.

وفي عام ١٩٦٦، حرصت الحركة على إلحاق أعضائها المتميزين بعد حصولهم على شهادة الثانوية العامة بكلية الضباط في مصر، وكان الرفيق جلال واحداً منهم، إلى ذلك الوقت لم يكن لحركة القوميين أي نشاط عسكري واقتصر نشاطها على الجانب السياسي التوعوي والتعبوي، وكانت أفكار وتطلعات جمال عبد الناصر هي رصيد الحركة الكبير في مواجهة خصومها من الإخوان والشيوعيين.

من أهم الشخصيات التي استحضرها الرفيق أبو حافظ وأثرت فيه تأثيراً بالغاً في الفترة التي سبقت هزيمة حزيران ١٩٦٧، الرفيق يونس الجرو[٢] الذي كان يمثل فكر

---

(١) جماعة إسلامية، أسسها الشيخ حسن البنا في مصر في مارس عام ١٩٢٨، ظلت الجماعة مجموعة هامشية في سياسة الوطن العربي حتى عام ١٩٦٧، تعتبر أكبر حركة معارضة سياسية في كثير من الدول العربية، وصلت لسدة الحكم أو شاركت فيه في عدد من الدول العربية مثل الأردن ومصر وفلسطين، يتم تصنيفها كجماعة إرهابية في عدد من دول العالم.

(٢) من مواليد مدينة غزة عام ١٩٤٠، التحق بكلية الحقوق في جامعة القاهرة، وتخرج منها سنة ١٩٦٢، عين مستشار قانوني في دائرة الشئون القانونية في فترة الإدارة المصرية، يعتبر من أبرز قيادات حركة القوميين العرب، تقلّد مواقع قيادية في الجبهة الشعبية فيما بعد، اعتقل أكثر من مرة، وتم فصله من الوظيفة الحكومية بسبب نشاطه السياسي، عمل محامياً منذ عام ١٩٧٥، وفي المؤتمر الوطني السابع للجبهة الشعبية في عام ٢٠١٣ تخلى طواعية عن موقعه القيادي في الجبهة لإفساح الفرصة أمام جيل الشباب، وضخ دماء جديدة في الحزب.

الحركة ودماغها المتيقظ، أما الشخصية الثانية التي تأثر بها فهي الرفيق سهيل الشنطي[١]، وهو من قياديي القوميين العرب، ومدرساً للغة الانجليزية، وفي المؤتمرات السنوية التي كانت تعقدها الحركة لخلاياها التنظيمية، برز دور الرفيق الشنطي في تقديم محاضرات سياسية وتنظيمية تتناول قضايا راهنة بهدف نشر ثقافة الحركة وتوعية الأعضاء بها، أما الشخصية الثالثة التي تأثر بها فهي مسئوله الأول في حركة القوميين العرب وهو الرفيق حسني ماضي، الشخص الجاد والعصامي والخلوق، الذي تعلم منه شباب الحركة الكثير من قيم الأخلاق الثورية وقواعد الانضباط والالتزام واحترام المواعيد وغيرها.

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ مباشرة، عاش الناس في قطاع غزة حالة من الصدمة بسبب الهزيمة، وفي شهادته أشار الرفيق أبو حافظ إلى أن أول من تحرك للرد على الهزيمة هم الشباب الثائر والمتحمس للقتال الذي شكّل الكادر الوسطي للحركة، ودفع قيادته للإعداد والتجهيز للعمل الكفاحي، وبدأ الشباب القومي بدخول المواقع التي تركها الجيش المصري بعد انتهاء الحرب، ومنها مدرسة الزيتون التي اتخذ منها الجيش المصري موقعاً لقواته، دخلها الرفيق جلال ومعه أحد رفاقه، وجمعا ما فيها من أسلحة وقنابل.

في تلك الفترة، وقعت تحت أيديهم كميات هائلة من الأسلحة والذخيرة، وعلى الفور بدأوا في استخدامها في تنفيذ بعض العمليات السريعة، وفجروا بعض الأمكنة، واستهدفوا عدداً من سيارات العدو وضربوها بالقنابل، شاركه الرفيق اسحق شرير في هذه العمليات،

---

(١) من مواليد عام ١٩٤٠، تخرج من كلية الآداب في جامعة القاهرة وعمل مدرساً، ثم حصل على درجة الماجستير بالتاريخ، وعمل محاضراً في جامعة الأزهر بغزة، من أوائل المنتميين لحركة القوميين العرب، انضم إلى طلائع المقاومة الشعبية التي تم تشكيلها بعد حرب ١٩٦٧، والتحق في صفوف الجبهة الشعبية منذ بداية تأسيسها، تم اعتقاله في يناير ١٩٦٨، وبعد خروجه من السجن طورد من قبل الاحتلال، مما دفعه للسفر إلى سوريا عام ١٩٧٠، ليعود إلى أرض الوطن مع قدوم السلطة الفلسطينية، توفي بعد صراع مع المرض بتاريخ ٢٠١٥/٠٥/٢٩.

كان الأمر مواتياً لتنفيذ عمليات عسكرية، خصوصاً وأن قوات جيش العدو الصهيوني لم تبسط نفوذها على الأرض بالكامل، ولم تحكم سيطرتها على القطاع بعد.

لم يتلق الرفيق أبو حافظ أية تدريبات على استخدام السلاح قبل عام ١٩٦٧، فقد كانت اهتماماته تنحصر في إكمال تعليمه، ولم يكن سنه يسمح بالتحاقه بجيش التحرير الذي كان يشترط الالتحاق به بعد سن الثامنة عشر، ناهيك عن أن الجيش الشعبي لا يقبل أن يلتحق في صفوفه شاب يتيم ووحيد أهله.

وحول مدى جاهزية الحركة لبدء القتال، يقول الرفيق أبو حافظ: "اتخذ الكادر الوسطي للحركة قرارهم ببدء العمل المسلح، وكانت أفعالهم حاضرة في ساحات القتال، وبدأوا تواصلهم مع قياداتهم، فاستجابت قيادة الحركة في القطاع، وبدأت تحركاتها إلى أن تمكنت من تشكيل طلائع المقاومة الشعبية بعد الهزيمة بشهر تقريباً"، وكان الرفيق أبو حافظ أحد أعضاء هذا التنظيم، وعندما أبلغوه بذلك أخبرهم بأنه يريد أن يعمل في الجهاز النضالي للحركة، فلم يكن متداولاً في ذلك الوقت مصطلح العمل العسكري.

يقول الرفيق أبو حافظ بأن الرفيق محمد الأسود الملقب في حينه "دوّاس بحر"، كان مسئوله العسكري، وقد شارك معه في تنفيذ أكثر من عملية عسكرية، وفي ٢٥ يناير ١٩٦٨، تعرض تنظيم الطلائع وقيادة القوميين العرب لحملة شرسة من الاعتقالات وكان من بينهم الرفيق محمد الأسود.

لم يعترف الرفيق محمد الأسود على أفراد مجموعته، ولحسن حظ الرفيق أبو حافظ أن اسمه لم ينقل للقيادة العليا للطلائع، وعلى ذلك لم يكن مدرجاً ضمن كشوف الأعضاء التي كانت بحوزة المسئول العسكري للطلائع، الرفيق عمر خليل عمر، لذلك لم يتم اعتقاله ضمن الضربة التي تعرض لها الجهاز النضالي.

انقطع الاتصال بالرفيق أبو حافظ بسبب الضربة التي تعرض لها القوميون العرب، في تلك الفترة بدأ الرفيق يتحرك في مخيمات المنطقة الوسطى وراح يستثمر علاقاته مع الشباب هناك، فقد عاش طفولته في مخيم البريج قبل وفاة والده سنة ١٩٦٣.

كان الأمر مماثلاً بالنسبة للرفيق محمد أبو النصر الذي انقطع الاتصال به أيضاً، إلا أنه بقي يتحرك في المحيط لتنظيم مقاتلين جدد للجبهة الشعبية وتكوين مجموعات مقاتلة في المنطقة الوسطى، وقد حرص أبو النصر على إقامة علاقات واسعة مع كافة الأذرع العسكرية الناشطة، ومنها المجموعات التابعة لحركة فتح التي كان يقودها المناضل فرحان الحاطي.

اهتم الرفيق أبو حافظ بتنظيم أصدقائه ومعارفه كبداية لتشكيل مجموعات عسكرية تابعة للجبهة الشعبية بعد أن أصبحت حركة القوميين العرب تعمل باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

وتغيرت الأوضاع بعد أن التقى بالرفيق عبد العزيز الميناوي الذي قدم على رأس دورية مقاتلة من لبنان عن طريق البحر في مايو ١٩٦٩، وكلّفه بمهمة نقل السلاح من غزة إلى بيت حانون، وكان الاتفاق أن يجلس أمام مستشفى الشفاء ومن ثم ستقابله سيارة هناك.

تفاجأ الرفيق أبو حافظ بشخص يقف أمامه ويسأله.

– بالله يا أخي، وين مستشفى السويدي ؟.

أحس لتوّه بأن هذا الذي وقف يسأله سيشغله عن السيارة التي ستأتي ليكمل مهمته، وكانت عيناه تنظر يميناً وشمالاً في انتظار السيارة، فأجابه على عجل:

– مِن هناك !.

أعاد عليه الرجل السؤال مرة أخرى.

– وين مستشفى السويدي يا أخي ؟.

- وبعدين معك، ماقلتلك هيّاته هناك !!

أدرك الرجل أن رسالته لم تصل بعد، فسأله مرة أخرى . .

- يا أخي الكريم بتعرف "قحطان الشعبي"(١) ؟.

وبمجرد أن نطق اسم "قحطان الشعبي"، كأن ماساً كهربائياً أخذ يسري بين تلافيف دماغه، فهذا اللقب لأحد الكوادر العسكرية للجبهة الشعبية الذين قدموا للقطاع قبل فترة وجيزة، ولا يستخدم هذا اللقب إلا شخص يعرفه أو التقى به، ودون أن يدري سأله:

- إنت مين ؟!

فأجابه بهدوء . .

- أبو النصر.

بعد لحظات جاءت السيارة التي كان في انتظارها، ومضيا في طريقهما وانهيا مهمتهما.

أخذه الرفيق محمد أبو النصر فيما بعد إلى مخيم المغازي، وهناك تبين له بأن أبو النصر قد شكل أكثر من مجموعة عسكرية، بعدها تكررت اللقاءات بينهما، ومن خلاله التقى أبو النصر بالرفيق عبد العزيز الميناوي، ومنذ ذلك الحين تولى ثلاثتهم القيادة الجماعية للجهاز العسكري(٢).

شكل حضورهم الفترة الذهبية للعمل الفدائي التي امتدت حتى اعتقال الرفيق أبو حافظ في ١٧ إبريل ١٩٧٠، والتي نفذت خلالها جحافل المقاتلين أبرز وأشرس العمليات الفدائية، وشهدت ذروة العمل الفدائي في القطاع.

---

(١) الرفيق سليمان القطشان الملقب بقحطان الشعبي، وهو من عناصر الدوريات، ومن الكوادر العسكرية للجبهة الشعبية التي حضرت إلى القطاع في أوائل عام ١٩٦٩.

(٢) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة.

(٢)

وفي تسجيل صوتي للرفيق علي القطاوي[١] "أبو صالح"، وهو أحد الكوادر التنظيمية والعسكرية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، قال فيه بأنه التحق بالثورة من خلال إحدى المجموعات العسكرية التابعة لحركة فتح، وذلك في يناير ١٩٦٨، ومن خلال هذه المجموعة نفذ العديد من العمليات العسكرية.

وخلال حرب الاستنزاف صدرت التعليمات بخلع قضبان السكة الحديد، ونزع الألواح الخشبية المزروعة أسفلها، بهدف قطع وإضعاف إمدادات الجيش الصهيوني من الجنود والآليات العسكرية والعتاد المتوجهة من الداخل إلى العريش ومنها إلى جبهة القتال في سيناء، وقام عناصر الفدائيين في تلك الفترة بضرب القطارات المارة من خلال قطاع غزة إلى هناك بالقنابل، وزرع الألغام في طريقها، يقول أبو صالح بأنه في هذه الفترة التي استهدفوا فيها خط السكة الحديد توطدت علاقته مع الرفيق محمد أبو النصر القائد العسكري للجبهة الشعبية آنذاك.

وفي يونيو ١٩٦٩، تقرر سفره إلى الأردن ليتلقى تدريبات عسكرية هناك ضمن قوات حركة فتح، ونتيجة لوشاية من أحد العملاء، ألقي القبض عليه قبل وصوله إلى الجانب الأردني، وتم تحويله إلى سجن أريحا.

كان بحوزته مجموعة من الرسائل مطلوب تسليمها للقيادة العسكرية في حركة فتح، فاستطاع اتلافها في السجن، نقل بعدها إلى سجن غزة المركزي، وبعد انتهاء التحقيق معه تم توقيفه إدارياً[٢] لعدم وجود أدلة لمدة ١٩ شهراً، في هذه الفترة التقى مع العديد من الرفاق منهم الرفيق محمد الأسود، والرفيق كامل العمصي، والرفيق محمد الطيب، والرفيق

---

(١) ولد عام ١٩٥٠، هجرت أسرته من قرية الجماسين، قضاء يافا في نكبة ١٩٤٨، إلى مخيم المغازي، التحق بصفوف الجبهة الشعبية في أواخر عام ١٩٧٠، أصبح مطلوباً للاحتلال بسبب نشاطه الفدائي، اعتقل أكثر من مرة، وأمضى في السجن أكثر من ٢٢ عاماً، انتخب عضواً في اللجنة المركزية العامة في المؤتمر الوطني الخامس للجبهة الشعبية، وتوفي بتاريخ ٢٠١٩/٠٤/٢٦.

(٢) الاعتقال الإداري هو اعتقال بدون تهمة أو محاكمة، يعتمد على ملف سري وأدلة سرية لا يمكن للمعتقل أو محاميه الاطلاع عليها، ويمكن حسب الأوامر العسكرية "الإسرائيلية" تجديد أمر الاعتقال الإداري مرات غير محدودة، حيث يتم استصدار أمر اعتقال إداري لفترة أقصاها ستة شهور قابلة للتجديد.

سلامة السعيدني، ورفاق آخرين، واستطاع الرفاق استمالته إليهم، ومع مرور الوقت أصبحت ميوله تتجه نحو الجبهة الشعبية، وأصبح أحد عناصرها قبل خروجه من السجن، وفي تلك الفترة شارك في الاضراب عن الطعام الذي استشهد فيه المناضل عبد القادر أبو الفحم(١).

بعد تحرره من الأسر في يناير ١٩٧١، طلب الرفيق جيفارا الالتقاء به، وفي بيارة في منطقة الخوالدة في معسكر النصيرات التقى الاثنان، تحدث معه الرفيق جيفارا عن حاجة التنظيم لتشكيل جهاز سياسي في مخيم المغازي، وكلفه بقيادة مجموعات المغازي، بعدها بفترة تم تكليفه بقيادة الجهاز العسكري في المنطقة الوسطى، ومرجعيته المباشرة الرفيق داوود خلف الذي كان نائباً للرفيق جيفارا.

في تلك الفترة قام بتشكيل العديد من المجموعات العسكرية في مخيمات الوسطى، وعندما تضاعف عدد الخلايا العسكرية في المخيمات تم تعيين مسئولاً عسكرياً لكل مخيم، وتكثف نشاط المجموعات في ملاحقة العملاء، ومن أجل خلق حالة لمقاطعة كل أشكال التعاون مع الاحتلال تم منع الناس من الذهاب إلى مراكز الشرطة أو المحاكم، وشكل الفدائيون محاكم بديلة لفض النزاعات بين الأهالي، بهدف تحصين الناس من مسالك الوقوع في مصائد ضباط المخابرات وابتزازهم وإيقاعهم في مستنقع العمالة والتعاون مع الاحتلال(٢).

---

(١) ولد في قرية برير في فلسطين سنة ١٩٢٩، وهاجر مع أسرته سنة ١٩٤٨، ليقيم في مخيم جباليا، حصل على عدة دورات عسكرية، شارك في حرب ١٩٥٦، وحرب ١٩٦٧، من مؤسسي "قوات التحرير الشعبية"، وشارك في تدريب المناضلين عسكرياً، أصيب في إحدى العمليات العسكرية في ١٩٦٩ بجروح بالغة في الصدر والبطن، وتم اعتقاله، وحكم عليه بالسجن المؤبد عدة مرات، وفي ٠٥/٠٥/ ١٩٧٠خاض مع رفاقه الأسرى إضرابًا عن الطعام في سجن عسقلان، بالرغم من إصابته، رفض إعفاءه من المشاركة في الإضراب، وبتاريخ ١٠ تموز ١٩٧٠ ساء وضعه الصحي، وتم نقله إلى عيادة السجن من أجل العلاج، وحاولوا كسر إضرابه عن الطعام بتغذيته إجباريًا بواسطة أنبوب عبر الفم والأنف، مما أدى إلى استشهاده وكان أول شهداء معارك الأمعاء الخاوية في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

(٢) في مقابلة مع الرفيق علي القطاوي.

(٣)

أما الرفيق حسين أبو نار "أبو أيمن"، فقد أخبرنا خلال حديثه المقتضب بأن حاجز الخوف لديه قد انكسر في أول يوم للاحتلال في قطاع غزة، وبرغم ما قام به العدو من عمليات قتل واعتقال وترهيب وإذلال للأهالي، إلا أن شرارة المقاومة بدأت تشتعل في أوساط الشباب، وأثبتت أن شعبنا يستطيع أن يمرغ أنف العدو في التراب.

زملاؤه في الدراسة وأصحابه المقربين، ومنهم الرفيقان هاشم أبو أمونة[(١)]، ومحمود أبو سبيكة، عاشوا معه نفس التجربة، وجال في خاطرهم جميعاً نفس التفكير، دوافع وطنية خالصة، ورغبة جامحة في حمل السلاح كانت دافعهم الأول والأخير للالتحاق بالثورة، استطاع الرفيق المطارد سميح أبو حسب الله أن يلبي لهم هذا الأمل، وهو أيضاً زميلهم في الدراسة، قبل أن تتم مطاردته من قبل العدو، وفي نوفمبر من عام ١٩٦٩، وبعد أكثر من محاولة، التقوا به فرحّب بطلبهم، ومن خلاله التحقوا بالجبهة الشعبية، وبالعمل العسكري، وكان تعاملهم المباشر واحتكاكهم اليومي مع الرفيق المطارد سميح أبو حسب الله.

التدريب على السلاح كان بدائياً، وأماكن التدريب إما داخل البيوت، أو في البيارات والأحراش، حيث يتدرب فيها المقاتلون على استخدام الأسلحة الخفيفة، وكيفية استخدام القنابل وإلقائها، ودروس عملية في تفكيك وتركيب بندقية الكلاشنكوف، وتنظيفها وكيفية استخدامها، وهي مفضلة لدى المقاتلين لسهولة استخدامها وفاعليتها الكبيرة أثناء

---

(١) ولد في مخيم النصيرات بتاريخ ١٩٥٢/٠٨/٠٦، وهجرت أسرته من بلدة يبنا في نكبة ١٩٤٨، التحق بصفوف الجبهة الشعبية، وعمل ضمن مجموعاتها المقاتلة في نهاية عام ١٩٦٩، نفذ العديد من العمليات العسكرية، وبسبب نشاطه العسكري تم اعتقاله بتاريخ ١٩٧٠/٠٩/٢٩، وأفرج عنه بتاريخ ١٩٧٧/٠٤/٢٤.

القتال وقلة أعطالها، أما التدريب الحقيقي للمقاتلين فكان يتم في الميدان، حيث يتلقون خبراتهم العسكرية من خلال تنفيذ العمليات الفدائية.

أضاف الرفيق أبو نار بأن المقاتلين الجدد كانوا يتدربون في منطقة مفتوحة في المخيم تقع شرق منطقة الحساينة، وهي أرض رملية خالية من البيوت، تنتشر فيها أشجار الجميز والعشب الطويل، لم تكن تصل إليها دوريات العدو.

وأشار بأنه كان ضمن مجموعات تخصصت بضرب القنابل على دوريات العدو، وكان أفراد هذه المجموعات ينتقون أهدافهم بعناية، وينفذون هجماتهم بعد دراسة وتخطيط وحرص شديد، وواصل الرفيق نضاله على هذا النحو إلى أن تم اعتقاله في يوليو ١٩٧٠[١].

(١) في مقابلة مع الرفيق حسين أبو نار.

(٤)

وعندما التقينا مع الرفيق سلامة السعيدني "أبو الحر"، وهو أحد الكوادر العسكرية التي قدمت إلى قطاع غزة في أول دورية بحرية في النصف الأول من عام ١٩٦٩، وعن بداية التحاقه بالجبهة الشعبية والعمل العسكري قال بأنه التحق بالجبهة الشعبية منذ بداية تأسيسها أواخر عام ١٩٦٧، في القاهرة، بعد أن التقى بمجموعة من الأصدقاء منهم الأستاذ محمد نشبت "أبو علاء"، والأستاذ محمد ناصر القاضي "أبو ناصر"، وهما من المدرسين المقربين جداً إليه، والذين تأثر بتوجهاتهم الوطنية الصادقة عندما كان طالباً في المرحلة الإعدادية، كانت توجهاتهم ناصرية، يتبنون الفكر القومي، الذي يعادي الإمبريالية، فكر ثوري يدعو لمقاتلة العدو الصهيوني، وبحمل السلاح من أجل استعادة أراضينا التي اغتصبت في نكبة ١٩٤٨، بفعل مؤامرة دولية وتواطؤ عربي من قبل أنظمة الرجعية العربية، فالتزم بهذا الفكر وانتمى للجبهة الشعبية التي تتبنى هذه الرؤية، والتي كان لها الفضل في بناء شخصيته السياسية والفكرية والعسكرية.

وفي الفترة التي سبقت تأسيس الجبهة الشعبية ورغم أنه لم يكن عضواً في حركة القوميين العرب، إلا أنه كان مؤيداً لأفكارها ونصيراً لها، وعندما كان طالباً في المرحلة الإعدادية تأثر بمدرسيه الذين كانوا قادة في حركة القوميين العرب ومنهم الأستاذ علي جبر[١] "أبو ناصر"، والأستاذ محمد نشبت، والأستاذ محمد القاضي، الذين شكّلوا بالنسبة له النموذج والقدوة للإنسان الوطني الملتزم، وعلى إثر ذلك كان يشارك في المظاهرات التي كان يقوم بها القوميين في مخيم البريج، والتي كانت تحمل شعارات مناهضة للإمبريالية وللاحتلال الصهيوني، وكان متحمساً لها برغم أنها كانت أكبر من وعيه، وكان يتولى مهمة حمل الميكروفون والهتاف بالشعارات التي كان يتسلمها من مدرسيه.

---

(١) ولد في عام ١٩٣٧ في بلدة المغار، هجرت عائلته قسراً في نكبة ١٩٤٨، واستقرت في مخيم البريج، انتمى لحركة القوميين العرب عام ١٩٦٢، يعتبر من مؤسسي للجبهة الشعبية ومن قيادتها الأولى في قطاع غزة ، اعتقل في ١١ مارس ١٩٦٩، وحكم عليه بالسجن لمدة ٧ سنوات، أفرج عنه في نوفمبر عام ١٩٧٤، تولى بعدها مسؤولية قيادة فرع غزة، اعتقل للمرة الثانية في عام ١٩٧٩، استمر في ممارسة دوره النضالي في مواقع نضالية حزبية وجماهيرية مختلفة، في عام ٢٠٠٦ ترشح لانتخابات المجلس التشريعي في قائمة الشهيد أبو علي مصطفى، توفي بتاريخ ٢٤ إبريل ٢٠١٥.

بعد هزيمة ١٩٦٧، وعندما حصل على شهادة الثانوية العامة سافر إلى القاهرة ليكمل دراسته في إحدى الجامعات هناك، حيث التقى بمجموعة من الشباب القوميين وتقرّب منهم بحكم معرفته السابقة بهم وتأثر بالأفكار التي كانوا يتناقشون فيها أمامه، وفي إحدى المرات استضافه صديقه الرفيق محمد نشبت في منزله في منطقة المهندسين مع أصدقاء آخرين، وهناك شاهدوا فيلماً عن حرب فيتنام يتحدث عن كفاح الشعب الفيتنامي في مواجهة الاستعمار الفرنسي، وبعد أن انتهوا من مشاهدة الفيلم، سألوا صديقهم سلامة عن رأيه في الفيلم فأجابهم، بأن الفيتناميين شعب مكافح وعظيم، وأن شعبنا يجب أن يحذوا حذوهم، ويجب أن يدافع عن أرضه، وأن يقاتل الصهاينة بكل ما أوتي من قوة، وعندما استمعوا إلى حديثه، واطمأنوا لتوجهاته، عرضوا عليه الالتحاق بتنظيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وأخبروه بأن الجبهة الشعبية تنظيم حديث الولادة يحمل توجهات قومية، فوافق على الفور . .

- "هذه أمنيتي أن ألتحق بالمقاومة".

وعلى إثر ذلك عرضوا عليه أن يلتحق بدورة عسكرية في معسكر أنشاص بالقرب من الإسكندرية، وبالفعل التحق بدورة متوسطة، استمرت لمدة ثلاثة شهور، تلقى فيها محاضرات في كيفية استخدام السلاح والمتفجرات وفي العلوم الأمنية، كما تلقى تدريبات عملية على استخدام المتفجرات وتفجير العبوات في منطقة الأهرامات، كان التدريب يتم بصورة سرية.

وفي بداية عام ١٩٦٨، انتقل الرفيق مع نخبة من المقاتلين (عددهم ٢٢ مقاتلاً) إلى العراق، وفي مطار القاهرة الدولي وقبل خروجهم من مصر، التقى بعضو قيادي في الجبهة ومسئول عسكري فيها ومنسق للعلاقات الرفيق جبريل نوفل الذي كان على رأس المسافرين، وكان في وداعهم وزير الداخلية المصري آنذاك شعراوي جمعة[١]، الذي سلم على جميع الرفاق المغادرين، وشدّ على أيديهم، وهناك تم تسليمهم أربعة جيبات صغيرة، وقاذفات أربي جي، وبنادق كلاشنكوف، ثم أقلعت بهم طائرة نقل سوفيتية (إليوشن) إلى

---

(١) وزير داخلية سابق، توفي في ٢٨ نوفمبر ١٩٨٨.

قاعدة الحبانية الجوية في العراق، وفي الحبانية أمضوا قرابة أسبوعين ثم غادروها إلى الأردن.

واصل الرفيق مسيرته النضالية في الأردن وتلقى العديد من الدورات العسكرية، ونفذ العديد من العمليات، إلى أن تقرر سفره إلى قطاع غزة مع عدد من الرفاق لتصعيد المقاومة العسكرية هناك[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق سلامة السعيدني.

(٥)

وعن بداية تجربته وانضمامه للثورة، يقول الرفيق نمر أبو جياب[١] "أبو بسام"، وهو في الصف الثاني الإعدادي ربطته علاقة متميزة مع مدرسيه، وتحديداً الرفيق محمد نشبت الذي يعمل مسئولاً لحركة القوميين العرب في المنطقة الوسطى، والرفيق عبد الرحمن عوض الله مسئول الحزب الشيوعي في المنطقة الوسطى، ونظراً لتفوقه ونباهته، حاول كلا الرفيقين استمالته إلى العمل التنظيمي، وسعيا لضمه كل إلى حزبه، اختار أن ينضم في نهاية الأمر إلى حركة القوميين العرب، كان عمره خمسة عشرة عاماً لذلك أصبح نصيراً للحركة وليس عضواً عاملاً فيها، فالعضوية العاملة في الحركة تمنح للعضو الذي يتجاوز عمره ستة عشرة عاماً.

اهتم الرفيق نشبت بتوعية تلاميذه النجباء، فكان يحضر معه بعض النشرات والجرائد والكراسات التي كانت تصدرها الحركة، ويناقشهم فيها، في تلك الفترة نشطت الكثير من الأحزاب والحركات في أوساط المثقفين والمعلمين وفي المدارس، ومن أبرزها حركة القوميين العرب، والبعثيون، والشيوعيون، والإخوان المسلمون، وكانت هذه التشكيلات تظهر أنشطتها بشكل لا يخلو من المنافسة والندية في المناسبات الوطنية.

شكلت تجربته في المرحلة الإعدادية بداية للعمل التنظيمي وساهمت في امتلاكه للوعي، وفي تشرب العديد من المفاهيم التي أرست قواعد متينة للانتماء للجبهة الشعبية فيما بعد.

بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧، بدأ يبحث عن أي تنظيم مقاتل يقارع الاحتلال، فاتجه آنذاك لقوات العاصفة التابعة لحركة فتح، وفي سبتمبر ١٩٦٧ أصبح مقاتلاً ضمن إحدى

---

(١) من مواليد عام ١٩٥١، هجرت أسرته من قرية يازور إلى مخيم المغازي في نكبة ١٩٤٨، عمل في تنظيم فتح لعدة أشهر ثم التحق بصفوف الجبهة الشعبية مع بداية عام ١٩٦٨ وكان أحد مقاتليها، شارك في العديد من العمليات العسكرية، واعتقل بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٧١، وأمضى في السجن ١٤ عاماً إلى أن أفرج عنه في عملية التبادل سنة ١٩٨٥.

مجموعاتها، وكان مسئوله المباشر المناضل محمود التلباني الذي استشهد فيما بعد في مخيم المغازي عام ١٩٦٩، ومن أبرز العمليات التي نفذها، وضع متفجرات على خط السكة الحديد الذي كان يصل منطقة سيناء بالداخل المحتل، واستهداف القطارات التي كانت تنقل مكتسبات إسرائيل خلال حرب حزيران من دبابات ومدرعات وجيبات وناقلات جنود وأسلحة إلى داخل الكيان، وفي أكثر من مرة نجح الفدائيون في نسف خط السكة الحديد، ونسف حمولة هذه القطارات، إضافة لملاحقة العديد من العملاء في ذلك الوقت.

وفي إحدى الليالي كان واقفاً بباب المنزل، وإذا بأحد المسلحين متوشحاً بكوفية حمراء يمر من أمامه، ويحمل في يده كلاشنكوف، وفي وسطه مسدسه ومجموعة من القنابل، توقف الملثم وسأله عن سبب وقوفه بالباب في هذا الوقت المتأخر في الليل، كان ذلك في الأول من يناير عام ١٩٦٨، دار حوار سريع بين الاثنين على أثره استأذن الملثم بأن يحتسي معه فنجاناً من القهوة داخل البيت، دخل المتوشح بالكوفية الحمراء إلى المنزل، وعرّف بنفسه وقال:

- "أنا محمد الجحّاحة الملقب بمحمد أبو النصر، عضو في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من مخيم النصيرات، وعضو سابق في حركة القوميين العرب، فمن تكون أنت ؟"

فأجابه وعرف بنفسه بالمثل:

- "وأنا نمر أبو جياب من سكان مخيم المغازي، طالب بمدرسة دير البلح الثانوية"، ثم سكت ولم يكمل . .

طلب منه الرفيق أبو النصر أن يكمل تعريفه بنفسه، فأضاف :

- "عضو في تنظيم فتح، قوات العاصفة ٢٢٤".

مرة أخرى طلب منه الرفيق أبو النصر أن يواصل حديثه، وكأنه ينتظر إجابة من نوع آخر، فأكمل . .

- "وعضو في حركة القوميين العرب".

وبسرعة سأله الرفيق أبو النصر عن اسم مسئوله، فأجاب بأن مسئوله هو الأستاذ محمد نشبت، وبمجرد أن سمع الرفيق أبو النصر إجابته، وقف واحتضنه، وأوضح له بأنه قومي عربي، ويفترض أن يعمل في صفوف الجبهة الشعبية وليس حركة فتح، وأكمل حديثه، وقال:

- "وأنا كمان مسئولي محمد نشبت !!" . .

وتمنى عليه بأن يكون من الآن فصاعداً عضواً في الجبهة الشعبية وليس في حركة فتح، وبالفعل عاهده بأن يترك قوات العاصفة، ويلتحق بصفوف الجبهة الشعبية، وكان انضمامه بمثابة البذرة الأولى للجبهة في مخيم المغازي، وطلب منه تشكيل مجموعات للجبهة الشعبية هناك.

وما هي إلا فترة بسيطة لا تتجاوز أسبوعين، وإذا بالرفيق المستجد نمر ينجح في استقطاب العديد من الشباب ممن يتصفون بالحس الوطني والكفاحي، الذين كانوا منضوين لصفوف تنظيم فتح في ذلك الوقت، وقام بترتيب لقاء يجمعهم مع الرفيق أبو النصر في نادي الخدمات، وفي ذلك اللقاء تأكد انضمامهم للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين(١).

---

(١) في مقابلة مع الرفيق نمر ابو جياب.

(٦)

يتحدث الرفيق علي الصلحات "أبو حسن"، عن بداية التحاقه بالجبهة الشعبية والعمل العسكري، فيقول برغم أن الظروف لم تكن مواتية لحرب العصابات في قطاع غزة، من حيث مجافاة الطبيعة الجغرافية، فلم يكن ضمن جغرافية قطاع غزة جبال أو مغارات وكهوف للكر والفر والاحتماء بها من هجمات العدو، إلا أن تنظيم الجبهة الشعبية اتخذ قراره ببدء العمل المسلح، وتم التوجيه لأعضاء حركة القوميين العرب بالانضمام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وطلب منهم تكوين مجموعات قتالية، وضم عناصر جديدة من الشباب الثائر والمتحمس للقتال.

التحق الرفيق بالجبهة في نهاية ١٩٦٩، وعمل في البداية في المجال السياسي، كان يقوم بتوزيع المنشورات والبيانات التي كان يصدرها الحزب، وكان يكلف باستقطاب عناصر جديدة من الشباب المتحمس للعمل العسكري، والتعبئة للثورة، إلى أن تمت مطاردته من قبل قوات العدو في إبريل ١٩٧٠، فالتحق بالعمل العسكري، وعمل ضمن مجموعات النصيرات التي كان فيها الرفيق محمد أبو اعتيق، والرفيق أحمد عمران، والرفيق سميح أبو حسب الله، والرفيق علي أبو سلطان والرفيق ضيف الله أبو عطيوي، والرفيق جمال الدحدوح، ونفذ العديد من العمليات من أبرزها عملية نادي النصيرات، إلى أن تم اعتقاله في أغسطس ١٩٧٠[١].

وبالرغم من أن تجربة الرفيق الصلحات كانت أكثر غزارة، وفيها الكثير من البطولات ما يستحق التوثيق، إلا أنه آثر الصمت، واكتفى بهذه المعلومات التي تحدثت عن التجربة ككل.

(١) في مقابلة مع الرفيق علي الصلحات.

(٧)

وعن التحاقه بصفوف الجبهة الشعبية يقول الرفيق خليل أبو زبيدة "أبو فادي"، أنه بعد انتهاء حرب ١٩٦٧ بأشهر قليلة، بدأت الخلايا العسكرية في التشكل، وبدأ المخيم يتزين بالفدائيين الذين كانوا يتحركون في الليل لتنفيذ مهماتهم النضالية، ومن أبرز الشخصيات التي يعرفها المخيم الفدائي المقاتل محمد مصلح أبو النصر.

وذات ليلة حضر إلى بيتهم الرفيق أبو النصر، وبرفقته مجموعة من الفدائيين الملثمين، كان والده قلقاً من مجيئهم، وازداد خوفه عندما طلبوا منه التحدث مع ابنه خليل، ايقظ ابنه الغارق في النوم وسأله:

– "ماذا فعلت ليأتي المسلحون للبيت ويطلبوا الحديث معك ؟".

في تلك الليلة، سأله الرفيق أبو النصر عن اسم الشرطي الذي أطلق النار في الهواء وقت إنزاله العلم الصهيوني في مركز الشرطة، وطلب منه أن يأخذهم إلى بيته، طمأنوا والده وأخبروه بأن الأمر لا يستدعي القلق وبأنهم سيعيدونه للبيت بعد قليل.

الشرطي المستهدف يسكن شرق منطقة الكلبوش، وفي تلك الليلة كان في المركز، العمل الليلي في مراكز الشرطة مقتصراً على عناصر الشرطة المدنية فقط، أما الجنود الصهاينة فكانوا يغادرون هذه الأماكن مع حلول الليل حفاظاً على حياتهم من بطش الفدائيين.

وصلت مجموعة أبو النصر إلى المركز، وقامت بتطويق المكان، لم يكن عناصر الشرطة قادرين على مواجهة الفدائيين، فأسلحتهم البلجيكية القديمة لا تسمح بذلك، كما أن الغالبية العظمى من عناصر الشرطة لا تقبل المواجهة مع الفدائيين أو التصدي لهم أثناء قيامهم بأعمالهم البطولية، وكان التحاقهم بهذا العمل ليس أكثر من طريقة للحصول على مبلغ من المال يستطيعون أن يعتاشوا منه لمواجهة الفقر وشظف العيش، وقد أشارت

التجربة إلى أن بعضهم عمل لصالح الفدائيين، وكان يحرص على تقديم معلومات عن تحركات قوات الجيش وعن كمائنهم، وعن تحركات العملاء والمخبرين الذين كانوا يترددون على مراكز الشرطة أو يلتقون بضباط المخابرات.

في المركز، تحدث الرفيق أبو النصر مع الشرطي الذي أطلق النار على المظاهرة أثناء إنزال العلم، وقام بتوبيخه مستنكراً فعلته، وطلب منه ألا يتصدى لجموع الشباب التي تشارك في المظاهرات، وألا ينصاع لأية أوامر تتسبب في إلحاق الأذى والضرر بالمواطنين.

أعجب الرفيق أبو النصر بشخصية أبو زبيدة وبجرأته، وأثناء عودته إلى البيت طلب منه الانضمام للفدائيين، يضيف الرفيق أبو زبيدة، بأن ذلك كان وساماً على صدره بأن يطلب منه الرفيق أبو النصر هذا الطلب، وهو الفدائي المطارد الذي يحسب له الجميع ألف حساب، ويخاف الصهاينة من مجرد سماع اسمه، أو أن تصطدم إحدى دورياتهم بمجموعاته المقاتلة، لا مجال للتفكير، – "غداً الساعة السادسة ليلاً تأتي إلينا".

ووصف له المكان في بيارة أبو مطر، وهي إحدى بيارات النصيرات، كان الطوق يفرض يومياً من الساعة السادسة مساء، ويستمر حتى الساعة السادسة صباحاً، والحركة تقتصر على دوريات العدو، وحركة الفدائيين، ومن يضطر للخروج من الأهالي يحمل في يده سراجاً بمستوى الوجه أو يحمل راية بيضاء حتى يسلم من بطش الاحتلال الذي يتعامل بقسوة مع كل من يتجاوز التعليمات، وأحياناً يطلق النار مباشرة فيعرض الأهالي إلى خطر الموت، وبالفعل ذهب إلى هناك والتقى بالفدائي القائد أبو النصر، الذي يتجمع حوله عدد من الملثمين المسلحين، من بينهم الفدائي المطارد أحمد عمران.

أخبره أبو النصر بأنهم قد سألوا عنه، ومن اليوم فصاعداً أصبح عضواً "منظماً" في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وأمر الرفيق أحمد عمران بتسليحه(١).

---

(١) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

(٨)

في لقائنا مع الرفيق جمال الدحدوح "أبو خالد"، وهو أحد المقاتلين الذين قدموا من حي الزيتون وعملوا ضمن المجموعات المقاتلة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في النصيرات، يقول بأنه عندما كان طالباً في الثانوية العامة، كان من أنصار حركة القوميين العرب، وبمجرد أن أتيحت له فرصة الانضمام للثورة، التحق بإحدى المجموعات المقاتلة للجبهة الشعبية في النصيرات، كان ذلك بعد استشهاد الرفيق محمد أبو النصر مباشرة.

في حي الزيتون تشكلت مجموعة مقاتلة للجبهة الشعبية من الرفيق موسى عاشور، والرفيق ماهر ارحيم، والرفيق محمد قنديل، والرفيق فاروق المصري، والرفيق هشام النديم، واتخذت هذه المجموعة من منطقة "الحدبة" قاعدة عسكرية لها، وهي منطقة أحراش وكثبان رملية عالية، ونتيجة وشاية من أحد العملاء انكشفت القاعدة للعدو، فنصب كميناً للمقاتلين هناك، وبالفعل اصطدم الرفيق موسى عاشور بالكمين، وبعد اشتباك مسلح مع قوات العدو المتأهبة استشهد الرفيق عاشور.

على إثر ذلك قامت قوات العدو بمداهمات لبعض البيوت في منطقة الزيتون، واقتحموا منزل الرفيق جمال الدحدوح، كان الرفيق ماهر ارحيم معه في المنزل فآثر الاشتباك مع القوات المداهمة واستشهد خلال الاشتباك، أما الرفيق جمال الدحدوح فتمكن من الانسحاب، وأصبح مطارداً لقوات الاحتلال.

توجه بعدها إلى مخيم النصيرات، والتحق بالمجموعات المقاتلة هناك، بعد أن التقى بالرفيق جلال عزيزة الذي تسلم مسئولية الجهاز العسكري للجبهة الشعبية في قطاع غزة بعد استشهاد الرفيق محمد أبو النصر.

يقول الرفيق الدحدوح بأن العمل العسكري في بدايته كان عفوياً وغير منظّماً، وبالتدريج تم ترتيب وتنظيم المجموعات والخلايا العسكرية العاملة في القطاع، وقد ساهمت

الدوريات المقاتلة التي قدمت إلى القطاع في تلك الفترة في تدريب المقاتلين وتقسيم المجموعات وتنظيم العمل بينها، وقد ترتب على ذلك تنفيذ العديد من العمليات العسكرية النوعية وتصعيد العمل العسكري، وفي مخيم النصيرات تم تشكيل لجنة عسكرية يقودها الرفيق محمد أبو اعتيق الملقب شيبوب.

وعن العلاقة مع الجماهير يقول الرفيق الدحدوح بأن الجماهير شكلت الحاضنة الأمينة للمقاتلين وكانت توفر لهم المسكن والمأكل والمشرب، وكان المقاتلون يبنون جسوراً من الثقة مع الأهالي بحيث يقوم بعضهم بعمليات رصد واستطلاع للمقاتلين قبل تنفيذ العمليات أو أثناء تحركهم من مكان لآخر.

وعن العمليات العسكرية التي شارك فيها الرفيق الدحدوح يقول: قمنا بنصب كمائن لقوات العدو في النصيرات، وزرعنا ألغام لدورياته في منطقة وادي "قشاش"(١)، وكانت عمليات المقاتلين في البداية ترتكز على ضرب القنابل وزرع الألغام، وبعد أن تطور العمل العسكري أصبح بالإمكان تنفيذ اشتباكات مسلحة وجهاً لوجه مع قوات العدو(٢).

---

(١) وادي صغير يمر بمخيم النصيرات ويصب في وادي غزة.

(٢) في مقابلة مع الرفيق جمال الدحدوح.

(٩)

يقول الرفيق إبراهيم الشاعر "أبو علي"، عن انضمامه للجبهة الشعبية، بأنه كان مهتماً بالرياضة ويلتقي يومياً بمجموعة من الأصدقاء في نادي المخيم، لم يكن لديهم أيه اهتمامات أخرى سوى قضاء معظم أوقات النهار في اللعب في النادي[١]، الذي يقع وسط مخيم المغازي، والذي كان بمثابة ملتقى ومتنفساً للشباب محبي الرياضة ومنهم : حلمي البلتاجي[٢]، وغازي أبو جياب، وعاصم حسونة، وأكرم أبو معيلق[٣]، وسلامة العروقي، وآخرين.

وفي أواسط عام ١٩٦٨، تغير كل شيء، وما عادت اهتمامات الشباب تتحصر في الرياضة فقط، فقد تغيرت حياتهم رأساً على عقب، وإليكم الحكاية:

واظبت دورية للاحتلال على الذهاب للنادي بشكل يومي، وكان الجنود ينزلون من الدورية ويتركون أسلحتهم جانباً وينضمون للاعبين هناك في محاولة لتحسين صورة الاحتلال في أذهان أهالي المخيم وتحديداً الشباب.

استمرت هذه العلاقة على هذا النحو مدة غير بسيطة، تعوّد خلالها الجنود على دخول النادي للعب مع من يتواجد بداخله، وفجأة تغيرت الأمور، بعد أن حاول عدد من الجنود التحرش بفتاة تمرّ في الطريق، توقف اللعب في النادي، وتبدلت قواعده، النادي

(١) نادي خدمات المغازي الذي شيدته الأونروا في بداية الخمسينات من القرن الماضي.

(٢) ولد في القنيطرة بمصر في عام ١٩٤٩، هاجرت عائلته من مدينة يافا في نكبة ١٩٤٨، قاد الخلايا العسكرية في مخيم المغازي، تقرر سفره مع الرفيقين "أكرم أبو معيلق، وعبد اللطيف أبو معيلق" عن طريق سيناء، وبتاريخ ١٩٦٩/١٠/٢٧ وصلت المجموعة منطقة الماسورة في رفح المصرية، فداهمتهم قوات الاحتلال ودار هناك اشتباك شاركت فيه طائرة هيلوكوبتر، فقصفت المجموعة مما أدى إلى استشهادهم جميعاً (سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٣) ولد في مدينة بئر السبع بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١٤، نزحت أسرته إلى قطاع غزة في نكبة ١٩٤٨، التحق بصفوف الجبهة الشعبية عام ١٩٦٩، وعمل ضمن خلاياها العسكرية في مخيم المغازي، استشهد بتاريخ ١٩٦٩/١٠/٢٧، خلال اشتباك عنيف مع العدو الصهيوني استمر لساعات (المصدر السابق).

الذي يكتظ باللاعبين والمشجعين، أصبح يكتظ بجنود ومحتلين، هجم عليهم الشاب حلمي البلتاجي، ذو البنية الجسمية القوية، وانهال عليهم بالضرب المبرح، ومن كانوا قبل قليل يتبادلون الكرة وكأنهم في فريق واحد، انقسموا إلى ندّين، شباب المخيم في جهة، والجنود في جهة أخرى، الأول تسلح بإرادة الحق، والآخر تسلح بالبنادق، وانتهى التوتر بعد مغادرة الجنود للمكان، حملوا سلاحهم ورحلوا.

تبدلت الأحوال فلم يعد الجنود يدخلون النادي كما السابق، ولم يعد الشباب ينتظرون قدومهم، الشباب الغافل عن قضيته، ما عادت اهتماماتهم تنحصر في الرياضة فحسب، بعد أن أصبحوا يفكرون في حمل البندقية والانضمام للثورة، فهذا الجندي الذي كان يأتي بالأمس للعب في النادي، ليس إلا جندي احتلال، ولا تنتظم معه أي علاقة إلا من خلال فوهات البنادق.

بعد فترة التقى بهم الرفيق أبو النصر الذي احتضنهم جميعاً، وقد لفت أنظار الجميع بدماثة خلقه وطيب الالتقاء به، وبطريقة تنظيره للثورة وللجبهة الشعبية، عرض عليهم الرفيق أبو النصر الانضمام للجبهة الشعبية، وقام بتسليحهم وتدريبهم وضمّهم للمجموعات المسلحة التابعة للجبهة الشعبية، ليشكلوا النواة الأولى للمقاتلين في المخيم[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق إبراهيم الشاعر.

(١٠)

وعندما التقينا مع الرفيق تيسير أبو فنونة[١] "أبو رمزي"، بدأ حديثه معنا عن والده الرفيق عبد العزيز أبو فنونة[٢] "أبو تيسير"، الذي كان يعمل شرطياً قبل هزيمة حزيران عام ١٩٦٧، وبعد الهزيمة التحق مباشرة بالعمل النضالي، واتخذ قراره برفض العمل في جهاز شرطة تحت إمرة الاحتلال، وانخرط في صفوف حركة القوميين العرب، وعمل في جناحها العسكري "طلائع المقاومة الشعبية"، وكان من أوائل الذين عملوا في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في القطاع.

وكيف أنه ورفاقه انشغلوا بعد الهزيمة بجمع قطع السلاح والذخيرة التي تركها الجيش المصري بعد الهزيمة، والدور المهم الذين قاموا به في توعية الجماهير وتحريضها، وتوزيع المنشورات التحريضية لتثوير الشارع ضد الاحتلال، وأهمية تشكيل الخلايا العسكرية للدفاع عن المخيمات.

في هذه البيئة المناضلة نشأ رفيقنا أبو رمزي وتفتحت عيناه على المنشورات التي كان يحضرها والده إلى البيت، وكان يشارك في توزيعها ليلاً في أزقة وشوارع مخيمات المنطقة الوسطى، فتأثر كثيراً بوالده وبالأعمال التي كان يقوم بها.

اعتمد عليه والده في نقل الرسائل لرفاقه في الحركة، وذات مرة حمل ماكينة الطباعة التي استخدمتها الحركة في طباعة منشوراتها السياسية ونقلها إلى مسئول المجموعة، صديق والده الرفيق إسماعيل مسلم أبو بطيحان[٣]، وبقي يقوم بهذا الدور إلى

---

(١) ولد في ١٩٥٢، نزحت أسرته من بلدة قطرة بعد نكبة ١٩٤٨، إلى مخيم النصيرات، التحق بصفوف الجبهة الشعبية سنة ١٩٦٩، وعمل ضمن مجموعاتها المقاتلة وتخصص في ضرب القنابل، اعتقل في ١٩٧٠/٠٧/٠٦، وحكم عليه بالمؤبد مدى الحياة إلى أن أفرج عنه في عملية التبادل في ١٩٨٥/٠٥/٢٠.

(٢) ولد في قرية قطرة عام ١٩٣٠، وهجر منها مع أسرته في نكبة ١٩٤٨، ليسكن في مخيم النصيرات، التحق بالعمل النضالي بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧، ويعتبر من مؤسسي "طلائع المقاومة الشعبية"، اعتقل في يناير ١٩٦٨، وأمضى في المعتقل سنة ونصف، وأفرج عنه في منتصف عام ١٩٦٩، توفي بتاريخ ٢٢ /٢٠١٥/٠٤.

(٣) ولد عام ١٩٤٥، يعد أحد قيادات حركة القوميين العرب في المنطقة الوسطى، تخرج في جامعة القاهرة بدرجة الليسانس في اللغة العربية، تم تعيينه مدرساً في مدرسة خالد بن الوليد الثانوية، اعتقل في يناير ١٩٦٨، وبعد خروجه من السجن شارك في تأسيس الخلايا العسكرية الأولى للجبهة الشعبية،

أن اعتقل والده في أواخر يناير ١٩٦٨، على إثر ضربة قاصمة تلقتها حركة القوميين العرب، اعتقل فيها غالبية أعضاء وقادة الجهاز العسكري للحركة في القطاع.

في تلك الفترة بدأت عناصر حركة القوميين العرب التي لم تطالها ضربات الاعتقال تعمل تحت اسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ويذكر الرفيق أبو رمزي كيف أن هذه المجموعات كانت تقوم بدور مهم في إعالة البيوت التي تعرض أصحابها للاعتقال، صحيح أن تلك المساعدات لم تكن كافية، إلا أنها كانت تشكل لفتة عظيمة وإحساس عالٍ بالمسئولية، تحمل الرفيق أبو رمزي مسئولية إعالة البيت في فترة اعتقال والده، رغم أنه لم يكن يتجاوز سن السادسة عشرة، وبقي الأمر على هذا الحال إلى أن أفرج عن والده في منتصف عام ١٩٦٩، تسبب اعتقال والده في زيادة حماسه وإقباله على الالتحاق بالعمل الفدائي الذي بدأ يتشكل في تلك الفترة، خصوصاً أن والده تعرض لأبشع أنواع التعذيب في السجن، وظل موقوفاً لأكثر من سنة ونصف دون أن ينتزعوا منه أي اعتراف، فاندفع متحمساً للانخراط بالثورة والانتقام لوالده ولكل المعتقلين الآخرين، وحسم أمره مبكراً رغم صغر سنه والتحق بصفوف الجبهة الشعبية التي يعرف عنها الكثير.

كانت الجبهة الشعبية شعلة العمل الكفاحي، وهي التنظيم الذي يمثل آمال وآلام الآلاف من الفقراء والكادحين الحالمين بالحرية والانعتاق من نير الاحتلال، وكان سهلاً على الرفيق شيبوب الذي يعمل شرطياً مع والده، وتربطه علاقة قوية معه، أن ينظم الشاب تيسير الذي تربى في أسرة مناضلة، ووالده أحد قادة القوميين العرب وأحد معتقليها.

واصل الرفيق أبو رمزي عمله في توزيع المنشورات وفي جمع المعلومات، وفي ضرب القنابل على دوريات العدو، إلى أن تم اعتقاله في ٦ يوليو ١٩٧٠ في مركز التدريب المهني "مدرسة الصناعة" التابع للأونروا [(١)]، وعن التجربة ذاتها، يذكر الرفيق محمد جروان[(٢)] "أبو فؤاد"، الذي اعتقل مع الرفيق تيسير أبو فنونة، بأن قوة من الجيش

وبسبب نشاطه العسكري قام الاحتلال بفصله من مهنة التدريس، وفي عام ١٩٨٩ تعرض لمحاولة اغتيال من قبل الاحتلال، استشهد خلال العدوان الصهيوني على قطاع غزة في ٢٢ /٢٠١٤/٠٨.

(١) في مقابلة مع الرفيق تيسير أبو فنونة.

(٢) ولد بتاريخ ١٩٥٠/٠٨/٢٠، هجرت أسرته من مدينة اللد أثناء نكبة ١٩٤٨، التحق بالعمل الفدائي من خلال الجبهة الشعبية في أواخر عام ١٩٦٩، اعتقل بتاريخ ١٩٧٠/٠٧/٠٦، وحكم عليه بالسجن المؤبد، وأفرج عنه في عملية التبادل بتاريخ ١٩٨٥/٠٥/٢٠.

داهمت منزلهم ليلاً وقامت بتفتيشه، وانهالت بالضرب المبرح على أهل بيته، ثم توجهت الآليات العسكرية إلى مدرسة الصناعة بعد أن وصلتهم معلومات بأن الرفيق المطلوب هناك، وفور وصولهم حاصروا المبنى، واقتحموا أقسام المدرسة، وقاموا بتجميع الطلبة المقيمين في ساحتها، وأخرجوهم في طوابير من أمام جيب عسكري بداخله أحد العملاء، انتهت عمليات التفتيش بإلقاء القبض عليه، وعلى عدد من طلبة المدرسة من بينهم الرفيق تيسير فنونة، وبعد أن أحكموا قيدهم ألقوا بهم على أرضية مجنزرة، وانهالوا عليهم بالضرب بأحذيتهم وبأعقاب البنادق إلى أن أوصلوهم إلى سجن غزة المركزي[١].

وقد ساهمت حالة تلاحم الجماهير والتفافها حول ظاهرة الفدائيين، وانحيازها لخيار المقاومة وحماية الثورة في تأمين التحاق أعداد كبيرة من الشباب بالعمل الفدائي، بعضهم تلقى تدريبات عسكرية، فيما تولى آخرون عمليات رصد دوريات العدو، وضباط مخابراته، ومراقبة عملائه، وتأمين حركة الفدائيين، وتزويدهم بالمعلومات، وتسهيل عمليات تنقلهم من مكان لآخر، وتشكلت من هؤلاء الشباب مجموعات رصد في كل مخيم، ولعب هؤلاء الصناديد دوراً مهماً في التجربة وكانوا جنوداً وفدائيين في الظل، وكانوا بمثابة العين التي تحمي وتحرس وتوجّه خطى الفدائيين أينما حلّت خطاهم، ومنهم الرفيق عبد الرحمن القطشان[٢]، والرفيق يونس أبو قاسم[٣]، والرفيق محمد سلامة عودة "العودات"[٤]، وآخرين كُثر تركوا بصمات مهمة في هذا الجانب.

---

(١) في مقابلة مع الرفيق محمد جروان.

(٢) ولد في مخيم البريج للاجئين بتاريخ ١٩٥٠/٠١/١٩، هجرت أسرته من مدينة بئر السبع في نكبة ١٩٤٨، التحق بالجبهة الشعبية عام ١٩٦٩، كانت مهمته رصد دوريات العدو وعملائه وتقديم معلومات للفدائيين، واستمر في عمله إلى أن تم اعتقاله بتاريخ ١٩٦٩/١١/١١، وصدر بحقه حكماً بالسجن لمدة ١٢عاماً، وأفرج عنه بتاريخ ١٩٨٠/٠٨/١٠، واصل مسيرته النضالية إلى أن توفي بتاريخ ٢٠٢٠/٠١/٢٧.

(٣) ولد في مدينة دير البلح بتاريخ ١٩٥٣/٠٩/١٤، التحق بالعمل العسكري من خلال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مطلع عام ١٩٧٠، اعتقل في ١٩٧/٠٨/١١، بعد اشتباك عسكري استشهد فيه الرفيقان فتحي وطلال الحزين، في بيارة أبو قاسم، حكم عليه بالسجن لمدة ١٥ عاماً، أفرج عنه بتاريخ ١٩٨٥/٠٨/١٠.

(٤) ولد في مخيم البريج للاجئين بتاريخ ١٩٥٠/١٢/١٢، هجرت أسرته من مدينة بئر السبع في نكبة ١٩٤٨ ، التحق بالجبهة الشعبية في أواسط عام ١٩٦٩، ضمن مجموعة الرفيق محمود عليان، تم اعتقاله بتاريخ ١٩٧٠/٠٢/١٠، وأفرج عنه بتاريخ ١٩٨٠/٠٨/١١، ليواصل مسيرته النضالية.

" دغيش" معلماً ومحرضاً

قبل النكسة بسنوات كانت الأفكار السائدة بين الناس أفكاراً قومية ناصرية، وفي تلك البيئة بدأت تتبلور الشخصية الوطنية للعديد من الشباب والفتيان، برز خلال التجربة العديد من الأسماء لمعلمين وطنيين، كان لهم الباع الطويل في تحويل مدارس الوكالة التي كانت تدرس المنهاج المصري إلى مدارس ثورية تزرع بذور الوطنية وقيم التضحية والفداء في نفوس الفتيان والطلائع، وفي مقدمة هؤلاء المعلمين، المربي الفاضل والخطيب المفوّه المناضل محمود دغيش "أبو حسام"[١] الذي تلقى مئات الشباب دروسهم الأولى في حب الوطن على يديه.

وفي المناسبات الوطنية كان هذا المعلم يقف غير آبهٍ بسياسة الأونروا وبإجراءاتها المجافية لأي عمل تعتبره تحريضياً، أمام طابور الصباح في المدرسة الإعدادية للاجئين في مخيم النصيرات، ليلقي دروسه الحماسية فيُلهب المشاعر الوطنية الجياشة لطلابه، ويبث فيهم روح الانتماء ويعزز وجهتهم لطريق الثأر والتضحية.

"دغيش" معلم المواد الاجتماعية الذي واظب على رسم خريطة فلسطين على السبورة، ليحفظها طلابه عن ظهر قلب، فيزيّنوا بها كراساتهم، وينحتوا بعض الأحجار ليرسموا الخريطة عليها، وكثيراً ما كان يسأل طلابه عن قراهم الأصلية، ويحدد مواقعها على الخريطة، ويحكي لهم قصصاً وحكايات لبطولات قدمها أهالي هذه القرى وشهداؤها الذين سقطوا أثناء الدفاع عنها، فأحب الطلاب وطنهم دون أن يشاهدوه.

ساهمت هذه الدروس التي واظب على تقديمها المعلمون للفتيان والطلائع في تسليحهم بالوعي، وصارت الخطب التي كانت تصدح بها حناجرهم في المدارس ترسم لهم

---

(١) ولد في قرية برير في عام ١٩٤٠، عمل مدرساً في مدارس الأونروا، من أبرز رجال الإصلاح في المنطقة الوسطى بقطاع غزة، توفي بتاريخ ٢٠٢٠/٠٣/٠٣.

طريق الثورة، ليصبحوا فيما بعد مقاتلين أشداء يحملون السلاح ويقضّون مضاجع العدو ويحولون نهاراته إلى جحيم لا يطاق.

وقبل حرب حزيران ١٩٦٧ بوقت قصير، فرض جيش التحرير الفلسطيني[١] التجنيد الشعبي الإجباري، وكانت قواته تنتقي الشباب والفتيان من أزقة وشوارع المخيمات وتأخذهم لتدريبهم على حمل السلاح، والمشاركة في أعمال حفر الأنفاق والملاجئ أو مرابض المدفعية على الأطراف الشرقية لقطاع غزة.

بعض الشباب المتحمس كان يذهب إلى هناك بشكل تلقائي لرغبتهم في التعرف على أنواع السلاح التي يستخدمها عناصر جيش التحرير، وينتظرون أي فرصة للقيام بأي مهمة تعبر عن وطنيتهم الخالصة، فهناك يمكن رؤية جنود العدو عن قرب، وهناك بين مقاتلي جيش التحرير يمكن للشباب المشاركة في أعمال الحفر والتدرب على السلاح.

وفي مخيم النصيرات أقامت قوات جيش التحرير معسكراً للتدريب شرق منطقة الكلبوش[٢]، في ساحة معمل كبير لصناعة القرميد، وكانت مهمات التدريب موكلة لضابط سوري، يقوم بتدريب الشباب على فنون القتال واستخدام السلاح الخفيف[٣]، وكيفية صناعة المولوتوف، واستخدام القنابل اليدوية، في حين كان المعلم دغيش يقوم بالتوجيه المعنوي والسياسي في المعسكر استكمالاً لدوره في تربية النشء في المدارس.

أثمرت اللغة الحماسية التي كان يتحدث بها المعلمون أمام الطلاب في مدارسهم في إقبال العديد من الشباب للانضمام لمعسكرات التدريب، بعد أن توفرت لديهم رغبة جامحة في الالتحاق بالدورات العسكرية هناك، حتى أن بعضهم قام بتزوير تاريخ ميلاده

---

(١) يمثل جيش التحرير الفلسطيني الجناح العسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي تم تشكيله في قمة الاسكندرية لجامعة الدول العربية عام ١٩٦٤، ومهمته محاربة العدو الصهيوني.

(٢) تعود التسمية إلى سجن أنشأه الانتداب البريطاني في قلب مخيم النصيرات شرق المقبرة مباشرة.

(٣) البنادق التي كان يستخدمها المقاتلون في التدريب: بندقية السيمانوف والكلاشنكوف وهي أسلحة روسية الصنع.

للحصول على بطاقة هوية[١] تمكنه من الالتحاق بالتجنيد الإجباري الذي يبدأ من سن الثامنة عشر.

وفي ١٣ نوفمبر ١٩٦٦، عندما حدثت مجزرة السموع[٢]، شارك هؤلاء الشباب في حماية المخيمات، بعد أن تم رفع جاهزية المقاتلين تخوفاً من ارتكاب جنود الاحتلال الصهيوني مجازر مشابهة في مخيمات القطاع، وقامت قوات جيش التحرير بتكثيف دورياتها لحماية المناطق "الحدودية"، وفي المنطقة الوسطى واظب الشباب المتحمس على الخروج في دوريات حماية على أطراف وادي غزة[٣].

(١) هوية حمراء تصدرها الإدارة المصرية لسكان القطاع.

(٢) بعد مقتل ثلاثة جنود صهاينة بلغم أرضي، شنّ الجنود الصهاينة غارة على بلدة السموع في منطقة الخليل في الضفة الغربية التابعة للأردن في حينه، دمر خلالها أكثر من مائة منزلاً في القرية، وأسفرت المجزرة عن استشهاد أكثر من عشرين شخصاً من أهل البلدة.

(٣) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

يا بنت غزة . . كُلِّك شرف، كُلِّك عزة

بعد سنة على الهزيمة بدأ ينشط اتحاد الطلبة في المدارس وخارجها، وفي أبريل ١٩٦٩، حدثت عملية بطولية في شارع عمر المختار بمدينة غزة، نفذتها فتاة تنتمي لحركة فتح عمرها لا يتجاوز السابعة عشر، وهي "عايدة سعد"، الفتاة اليتيمة التي فقدت ثلاثة من إخوتها شهداء في أحداث العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، بعد أن تلقت إشارة تنفيذ العملية من إذاعة صوت فلسطين في القاهرة.

تلوّن العالم الذي تعيش فيه عايدة بلون دماء إخوتها الشهداء، وبهدير خطابات الزعيم جمال عبد الناصر، وبصخب أغنيات عبد الحليم حافظ التي كانت تبث فيها الحماسة والوطنية والانتماء، وتدفعها لمواصلة طريق النضال فإما الموت أو النصر، لم تكن عايدة سوى نسخة مكررة من آلاف الفلسطينيين الذين عاشوا حياة التشرد واللجوء واكتوت قلوبهم من مرارة الهزيمة، خبأت في ملابسها قنبلتين وسارت بهما وهي تحمل جراح شعبها النازفة، ومضت تحمل روحها على كفها، وفي ظهر ذلك اليوم تسللت الفتاة إلى معسكر للجيش، واختبأت وراء إحدى المجنزرات، وعندما اقترب منها أفراد من الجيش الصهيوني القت عليهم قنبلتها الأولى، ثم اتبعتها الثانية، وتناثرت من أمامها أشلاء الجنود، فأطلقت نحوها زخات من الرصاص فسقطت مصابة، حاولت عايدة الهرب إلا أنها لم تستطع، تكاثر حولها الجنود واقتادوها إلى السجن وهي غارقة في الدماء.

ذاع خبر العملية في كافة المخيمات، وبدأ الجميع يردد اسم الفتاة البطلة، وكيف تمكنت من تنفيذ عمليتها الجريئة التي أوقعت الكثير من الخسائر بين جنود العدو، خرجت مدارس النصيرات في مظاهرة يهتف فيها الشباب والفتيان بأعلى أصواتهم "يا عايدة يا بنت غزة، كلك شرف، كلك عزة"، شعور طبيعي تنامى في صدور الشباب المتحمس لفعل أي شيء بعد أن استطاعت عايدة أن تنفذ عملية بطولية.

في ذلك اليوم دخل أحد الفتيان إلى مركز شرطة النصيرات، وأنزل العلم الصهيوني الذي يرفرف أعلى السارية، كانت خطة المتظاهرين أن تتوجه المظاهرة أولاً إلى مدرسة البنات الإعدادية القريبة من مركز الشرطة، فيهرع الجنود وعناصر الشرطة باتجاه

المدرسة لمنع المظاهرة من إخراج طالبات المدرسة، وبمجرد أن يخرج الجنود يدخل أحدهم إلى المركز ويصعد أعلى السارية لإنزال العلم ويقوم بتمزيقه، وبالفعل نجح المتظاهرون في تنفيذ خطتهم، وصعد أحد الفتيان إلى أعلى السارية وأنزل العلم الصهيوني الذي يلوح بوجهه القبيح في سماء المخيم، ومزّقه أمام المتظاهرين، وربط ما تبقى منه في قدمه ونزل من أعلى السارية، وسط تهليل وتصفيق المتظاهرين، كانوا يهتفون "يا عايدة يا بنت غزة، كلك شرف، كلك عزة"، أمام هذا المشهد البطولي كان لأحد أفراد الشرطة رأي آخر، فأطلق النار في الهواء ليمنع الفتى الذي اعتلى السارية من إنزال العلم، ربما ليثبت ولاءه للعدو !!، إلا أن الفتى لم يكترث لصنيعه ومزّق العلم القذر أمام ناظريه.

خرجت المظاهرة من مخيم النصيرات وتوجهت إلى مدينة غزة مشياً على الأقدام، وجميع المتظاهرين يهتفون للفتاة هتافات حماسية بملء حناجرهم، فخورين بما قامت به، التحق بالمظاهرة المئات من الشباب والطلاب والطالبات الذين خرجوا من مدارسهم ليواصلوا مسيرهم نحو المدرسة التي تدرس فيها الطالبة عايدة منفذة العملية البطولية.

وصلت المظاهرة الضخمة إلى مدرسة الزهراء قبل انتهاء اليوم المدرسي، وهناك تصدت لهم مديرة المدرسة ومنعتهم من دخول المدرسة، إلا أنها سمحت لهم بالدخول بعد أن تقدم أحد الشباب وأخبرها بأن المظاهرة قادمة من النصيرات للتضامن مع ابنة المدرسة الطالبة عايدة سعد منفذة العملية بالأمس، دخل جميع المتظاهرين ساحة المدرسة، وأخرجوا الطالبات من فصولهن ليبدأن بالهتاف كما كان يهتف أقرانهن بكل حماسة "يا عايدة يا بنت غزة، كُلّك شرف، كُلّك عزة"[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة، وهو الفتى الذي أنزل العلم الاسرائيلي من سارية مركز الشرطة، وكان يرافقه زميله في المدرسة الرفيق إبراهيم الشطلي.

حتى عظام الموتى في المقابر أضْحَت تُقاتل

باشر العدو الصهيوني بعد أن حطت حرب ١٩٦٧ أوزارها بفرض الطوق بين الفينة والأخرى، وكان يداهم البيوت ويقوم بعمليات التفتيش والاعتقال، ويجمع المواطنين في المدارس لإرهابهم وتخويفهم وتكريس الهزيمة في نفوسهم.

انشغل الاحتلال بجمع الأسلحة من البيوت، وكان الناس يعتقدون بأن عناصر الجيش يمتلكون مجسّات تدلهم على أماكن الذخيرة والسلاح والألغام التي كانت بحوزة مقاتلي جيش التحرير، سارع الناس في التخلص من هذه الأسلحة خوفاً من بطش الاحتلال، فمنهم من رمى بدلته العسكرية وسلاحه في الشارع، ومنهم من دفن سلاحه في إحدى البيارات المجاورة، ومنهم من رماه في البحر، "فما عاد لهذه الأسلحة أي نفع بعد الهزيمة".

وعن هذه الأيام حدثنا أحد المقاتلين القدامى بأنه ذهب مع صديق له في أول يوم من أيام الحرب إلى مركز شرطة النصيرات المجاور لنادي الخدمات، بعد أن هرب أفراد الشرطة المدنية[١] منه بسبب الحرب، ودخل مع صديقه للمركز، وحملوا كل ما استطاعوا حمله من الذخيرة والسلاح "بنادق كلاشنكوف جديدة"، كانت موجودة داخل المركز، وذهبوا بها إلى مقبرة المخيم.

لم يكن أحد يجرؤ على الخروج من بيته في تلك الأيام، وفي جهة من المقبرة حفروا قبراً ووضعوا فيه الأسلحة، وبعد أن امتلأ القبر بقطع السلاح، حفروا قبراً آخراً بجواره، وأصبح في المقبرة قبران ممتلئان بالسلاح.

بعد انتهاء الحرب بدأت عمليات البحث عن السلاح الذي رماه الناس في وقت الحرب، كانت مقبرة المخيم هي المكان الآمن الذي يحتضن السلاح، أكوام من البنادق بين عظام الموتى، تنام ليلها وفي حضنها البنادق، لتصحو من نومها يوماً وتقاتل[٢].

(١) كان عناصر الشرطة المدنية من أهالي النصيرات.

(٢) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

"أبو عطية" الضابط المتقاعد والفلسطيني المحب للثورة

في أواسط مايو ١٩٦٩، وصلت أول دورية من الكوادر العسكرية التابعة للجبهة الشعبية عن طريق البحر إلى قطاع غزة، كانت مهمتها الأساسية التدريب وإنشاء الخلايا العسكرية وتنشيطها لتصعيد المقاومة المسلحة في القطاع.

حطّت أقدام المقاتلين ليلاً قبالة شاطئ معسكر دير البلح، وبعد خروجهم بسلام حملوا حقائبهم الفيتنامية الكبيرة الممتلئة بالأسلحة[١]، كل حقيبة منها تزن أكثر من ثمانين كيلوجرام، وخرجوا بها إلى أعلى الجرف، واتجهوا بزيهم العسكري إلى الشرق، إلى أن التقوا برجل عجوز يدعى "أبو عطية"[٢]، يجلس في "عريشة" من جريد النخيل، فألقوا عليه التحية، كان يبدو عليهم التعب والإرهاق، وعيونهم تستجير بهذا الرجل الذي شعر لحظتها بأنه يلتقي بأولاده.

عرف أبو عطية بحكم تجربته أنهم فدائيون، ففتح لهم قلبه وأخبرهم بأنه عسكري مثلهم، وبأنه ضابط متقاعد كان يخدم في الجيش المصري في عهد الملك فاروق، بادلهم أطراف الحديث، فاطمأنوا له، وأخبروه بأنهم سيخبئون عنده حقائبهم المملوءة بالأسلحة والذخيرة، وبأنهم سيعودون بعد أيام قليلة ليأخذوها من عنده، فأبدى موافقته على الفور، وطلب منهم أن يعاهدوه بأن لا يذكروا اسمه لأحد وأمسك بِيد أحد المقاتلين وقال له:

- "عاهدني بما عاهد موسى ربه، بألا تذكروا اسمي لأحد".

فعاهده الرفيق أبو الحر بألا يذكروا اسمه بسوء عند خصوم، أو أصدقاء.

وبعد أسبوع من قدوم عناصر الدورية، جاء دور إحضار الحقائب الفيتنامية المملوءة بالأسلحة، وبالفعل بعد غروب الشمس رجع الرفيق أبو الحر[٣] إلى "أبو عطية"، وبصحبته رفيق آخر، جاءوا بسيارة "فيات" يقودها رفيق ثالث، انطلقوا من مخيم الشاطئ

---

(١) صواريخ روكت لاند، وبليند سيت، وقواعدها، وبنادق، ومسدسات، وقنابل يدوية ، وأجهزة اتصال.

(٢) المزارع محمد حمدان أبو عطية من سكان مخيم دير البلح.

(٣) وهو أحد عناصر الدورية الذين التقوا بالرجل بعد خروجهم من البحر.

واتجهوا إلى معسكر دير البلح، كانت ترتيبات التحرك، وتوقيت الحركة، ومن أين، ومع من، يرتبها الرفيق الذي حضر معه.

عندما وصلوا إلى المكان بحثوا عن عريشة "أبو عطية"، كانت المنطقة تمتلئ بعرائش مشابهة، استطاع الرفيق أبو الحر تمييزها، فهي الأقرب إلى الشاطئ، ويحيط بها أرض مزروعة بالخيار، وبجوارها نخلة فارعة الطول.

ذهب أبو الحر إلى العريشة ليلتقي بالرجل، بينما بقي رفيقه على مسافة في انتظاره.

- "السلام عليكم"

في العريشة بجلس "أبو عطية" مع شخص آخر، وبمجرد أن دخل الرفيق أبو الحر إليه، فاجأه أبو عطية:

- "يا زلمة ، هوة اللي بيعزي ، بيجي يعزي هلقيت !!"

لم يفهم الرفيق أبو الحر ما يقصده الرجل، لكنه تدارك الأمر بسرعة، إذ يبدو أن "أبو عطية" كان يتلقى العزاء بأحد أقاربه، وفي نفس الوقت يريد أن يموّه على قدوم ضيفه أمام الرجل الغريب، فأجابه أبو الحر:

-"معلش يا "أبو عطية"، إحنا جيناك متأخرين، وعظم الله أجركم، وبنعتذر عن التأخير"

انتظر أبو عطية قدومهم بفارغ الصبر، إحساسه بالمسئولية جعله يتردد على عريشته من وقت لآخر، ويبيت فيها، وعندما تأخر أصحاب الأمانة بدأ يشعر بالقلق من خطر احتفاظه بها، فأرضه يدخلها الكثير من التجار والمزارعين والعمال، ومن السهل أن يكتشف أحدهم أمر الحقائب المخبأة تحت القش.

- "ليش طوّلتو عليّ يا ابني ؟"

- "معلش يا حج، في ظروف حكمتنا، لغاية ما رتبنا أمورنا، وصدقني في كل لحظة كنت في بالنا، بس إحنا عارفين إنه اغراضنا في أيدي أمينة".

- "الحقائب عملتلي قلق وبهدلة، وأنا مش قادر أتحرك من العريشة عشانكو".

- "خلص هي اللي صار يا حج".

- "طيب إرجع وغيب عني ساعة".
- "ليش ! .. كل شي جاهز، بنحملها وبنمشي، شو مالك يا أبو عطية !!".
- "بقولك خليها كمان ساعة".
- "طيب".
- "بتقعد ع قبالي غرْبا، ولما أضويلك بالقداحة بتيجي، اتفقنا ؟".
- "ماشي".

عاد أبو الحر إلى رفيقه وأخبره بما قاله أبو عطية، وبما يشعر به من ريبة وقلق من تصرفه، فربما سيذهب أبو عطية ليبلغ مخابرات العدو بأمرهم، ويسلّمهم ويخلص من شرهم . .

-"شو رأيك نعطي أبو عطية مهلة يومين أو ثلاثة، وبنرجع بعد أسبوع أو عشرة أيام بدون ما يعرف بوقت رجعتنا وبنرجع نوخذ أمانتنا، وبهيك لو كان في حدا براقبنا راح يمل ويزهق ، وبنكون إحنا في أمان".

رفض رفيقه ذلك، وأصر على أن يعودوا مثلما أشار أبو عطية عليه . .

- "الليلة بدنا نجيبهن !!"

انتظر الاثنان إشارة من أبو عطية ولا زال الخوف يساورهما، وأوصى أبو الحر رفيقه بأنه عندما يتأكد له خيانة أبو عطية، ينتظر قليلاً إلى أن يتحلّق الجنود حوله من كل جانب، بعدها يمطرهم بنيران رشاشه وأن يضربهم بالقنابل ويجهز عليهم جميعهم هو وأبو عطية وجنود العدو، وألا يترك منهم أحداً، فوعده بأن يلبي له رغبته، وإن كان لا يتمنى حدوث ذلك، وليدفع أبو عطية ثمن خيانته.

وبالفعل جاء الموعد وأعطى أبو عطية إشارته، فذهب إليه الرفيق أبو الحر، وتأهب رفيقه لمباغتتهم وانبطح أرضاً ورشاشه ينتظر إشارة من إصبعه، بدأت الهواجس تغزو رأس أبو الحر الذي ذهب إلى أبو عطية، ولم يشاهد أحداً غيره في المكان . .

- ربما هناك كمين، هل سينادي عليه أحدهم بأن يرفع يديه، هل سيطلق أحدهم النار ويرديه قتيلاً، ماذا تخبئ لك هذه اللحظات يا "أبو الحر" ؟.

ما زالت الهواجس تتزاحم في رأسه، مسألة الموت والاستشهاد لم يكن يحسب لها أي حساب، لكن الهاجس الذي راوده لحظتها، أن يموت هكذا بدون قتال، ودون أن ينال من عدوه.

أخيراً وصل إلى أبو عطية، المسافة لم تكن أكثر من مئة متر، إلا أنها مزدحمة بالحسابات والخوف والقلق، وبعد أن دخل إلى العريشة، أخذه أبو عطية إلى مخبأ الحقائب المدفونة تحت التبن والقش، لم يكن يتركها لحظة واحدة، أشار لرفيقه فجاءه على الفور، وأحضر السيارة لنقل الحقائب، وقضوا ليلتهم في مخيم دير البلح، وفي الصباح حملوا حقائبهم وغادروا[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق سلامة السعيدني.

في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٩، وعلى مقربة من إيلات تمكن العدو من إلقاء القبض على مجموعة من الرفاق، على رأسهم الرفيق عبد العزيز الميناوي، والرفيق سلامة السعيدني، وهم متوجهون إلى الأردن بعد أن أصبح استمرار وجودهم في القطاع يشكل خطراً على انكشاف باقي التشكيلات العسكرية في حال اعتقالهم، خصوصاً في ظل تكثيف عمليات البحث والملاحقة، وبسبب ما يفرضه العدو من إجراءات قمعية بحق الأهالي للتخلص من أفراد المجموعة.

تم اقتيادهم في طائرة هيلوكوبتر إلى منطقة قريبة من البحر الميت، وعرضوهم معصوبي الأعين ومكبلين بالأصفاد في أيديهم وأرجلهم في ساحة مدرسة في إحدى المستوطنات، وتركوا الطلبة يبصقون في وجوههم ليتشربوا التربية العنصرية التي حرصوا على تعليمها لأولادهم في مناهجهم المدرسية، ثم اقتادوهم مرة أخرى إلى سجن صرفند ليبدأوا التحقيق معهم هناك.

" في تلك الفترة لجأ العدو إلى سياسة العزل الانفرادي، على مدى أشهر طويلة، بغية استمرار التحقيق مع المعتقلين، واستخدمت مراكز متعددة منها أقسام الشرطة داخل الخط الأخضر، أو أقسام المخابرات فيما تسمى بالمقاطعات والمراكز العسكرية الأردنية أو المصرية التي تم احتلالها، إضافة إلى استخدام بعض السجون العسكرية للتحقيق مع من اعتبرتهم حالات خطرة بين أفراد المقاومة، وخصوصاً أسرى الدوريات الذين اجتازوا الحدود الأردنية أو المصرية، فقد استخدم كلاً من معتقل صرفند، وعتليت، والنبي صالح، وفي هذه المراكز كان يتم عزل المعتقلين في ظل ظروف غاية في الصعوبة، وممارسة أشكال متنوعة من التعذيب، تتمثل في تعليق المعتقل من يديه في السقف، واستخدام الصعقات الكهربائية، والماء البارد والساخن، والكلاب البوليسية، والحرمان من الطعام والنوم، والشبح وغيرها الكثير من الأساليب التي أبدع رجال التحقيق في استحضارها[١]".

(١) أحمد سعدات، صدى القيد، ص ٢٧.

كان الأسير يواجه أشد أنواع التعذيب فور استقباله، ويوضع في زنازين العزل الانفرادي، لفترات متفاوتة، لكسر شوكته وإذلاله منذ الأيام الأولى لاعتقاله، ويبدأ معها الأسير مشوار الصمود والمعاناة والتحدي.

- "شو اسمك ؟"
- "محمد عليان أبو الحر"
- "وين ساكن ؟"
- "عند وادي غزة ، شرق الجسر"

أخفى الرفيق اسمه الحقيقي ومكان سكنه وأعطى المحقق اسماً وهمياً لا يعرفه أحد، وعلى الفور باشرت قوات العدو وطابورها الخامس عملية البحث والتحري عن صاحب الاسم، كانوا خلال جولات التحقيق المتعاقبة التي رافقتها جولات من الضرب المبرح والتعذيب، يعرضون على أحدهم اعترافات وهمية لرفاقه الآخرين، ويلقون في وجوههم سيلاً من الأسئلة، علهم يحصلون على خيط يكملون به مسارات التحقيق.

وفي إحدى جولات التحقيق تيقن الرفيق أبو الحر أن المحقق بالفعل أصبح يمتلك معلومات صحيحة عن طريقة قدوم المجموعة وطبيعة الأعمال التي قامت بها، فاضطر أن يتعامل مع المحقق بطريقة أخرى، علها تخرجه من مأزق التحقيق بأقل الأضرار، ويحافظ قدر الإمكان على أسرار الحزب، ويوجه المحقق لنقاط ميتة لا يستطيع الاستفادة منها.

- "شو اللي ودّاك على طريق إيلات ؟"
- "أنا جيت مع الجبهة الشعبية عشان أشوف أهلي ، أنا ما إلي علاقة بالجبهة الشعبية، ومش عضو فيها"

لا يمكن لأحد أن يتصور حجم العذابات والمعاناة التي يتحملها الأسير أثناء التحقيق معه، فأدوات وأساليب التحقيق غير إنسانية بالمطلق، تتجاهل كل ما هو متعارف عليه من حقوق للأسير في العرف الدولي.

بدأت دائرة المعلومات تتسع، وأصبح الموقف يحتاج لمزيد من الصمود أمام المحقق، والتركيز في المعلومات التي يمكن إعطاؤها له.

- "مين اللي جاب الصواريخ، وين الصواريخ اللي جبتوهن معاكم ؟"
- "أنا ما بعرف وين الصواريخ، اللي بعرف (فلان)"

ذكر الرفيق اسم شخص غير موجود في القطاع، ولن يعود إلى القطاع مرة أخرى .

- "وين ساكن (فلان) ؟"
- "ساكن في منطقة الشاطئ"

مرت أسابيع ورفاقنا رهن التحقيق، ولا زال المحققون يمارسون بحقهم أبشع أشكال التعذيب لينتزعوا منهم اعترافات ترضي غرورهم وتضيف نجاحات جديدة في سجلهم بصفتهم محققين لا ينفد من تحت سياطهم أحد دون اعتراف، وليضيفوا إلى أساليبهم في كل مرة أسلوباً جديداً يجردهم من إنسانيتهم ويجعلهم يشبهون كلابهم التي كانت حاضرة مثلهم في بعض جولات التحقيق، وفي هذه المرة حضر المحقق ساخطاً، ويبدو على وجهه مظاهر التجهّم والصرامة، وفمه يطفح بكل الكلمات البذيئة التي توحي بنفاذ صبره، وأمسك ببعض الأوراق ومزّقها بطريقة هستيرية، ورماها في وجه فريسته، المعصوبة العينين، وقال ساخطاً، وهو ينتفض بعصبية:

- "يا (...)[١] ، (فلان) مش هون، طالع على مصر"
- "والله ما بعرف إلا منك هلقيت"
- "طيب مين اللي جاب الصواريخ من دير البلح بعد ما خبّتوهن ع الشاطئ ؟"

كان العدو خلال تحقيقه مع عناصر المجموعة يجمع المعلومات كمنْ يجمع الكلمات المتقاطعة، ويركّبها في سياق ما، فيضع افتراضات وسيناريوهات وألاعيب علها تفضي إلى اعترافات تثلج صدورهم وتكسر حاجز الصمت وتفتح الباب على مصراعيه أمام المعتقلين لإدلائهم بكافة المعلومات التي ما زالوا يحتفظون بها أسراراً خلدت في بئر سحيق.

كان الأمر يتطلب توجيه المحققين في مسار مختلف يحرفهم عن الحقيقة، الأمر بحاجة لمزيد من التضليل والقصص الساترة، أما المحققون فكانوا يستخدمون كل أدوات

---

(١) كلمات بذيئة.

القمع وأساليبها لانتزاع اعتراف سريع منهم، لكن الأمر ليس كذلك، أخبره المحقق بأن أصحابه اعترفوا عليه.

-"أبداً ، ولا إلي أي علاقة فيهن، ولا بعرفهن"

كان الرفيق أبو الحر بالفعل هو الذي أحضر الصواريخ من دير البلح، وهو الذي عاهد الرجل العجوز الذي استقبلهم بغبطة وسخاء في عريشته الصغيرة، بألا يذكره بسوء أمام أحد، خوفاً من اعتقاله، لأنه سيخسر أرضه التي يزرعها ويقتات من خيرها، فكيف يعترف عليه أمام المحققين، ويتسبب في اعتقاله وجرجرته في السجون بعد هذا العمر الطويل، وهو لا يقوى على ما يلاقونه من تعذيب مفرط في قسوته ووحشيته.

بعد جولة من الضرب المبرح، حاولوا كسر حاجز الصمت بوضع كل رفيقين في زنزانة واحدة، ليتلصصوا على أحاديثهم، ويتابعون عن كثب فيم سيتحدثون، ولكنهم جعلوا لقاءهما في زنزانة واحدة فرصة لكسر إرادة الاثنين معاً، وعندما التقيا معاً في زنزانة واحدة، تكالب اثنان من المحققين على "أبو الحر"، أحدهما كان ثملاً من شرب الخمر، فتلقى منهما تعذيباً وحشياً وضرباً قاسياً قبل مجيئ رفيقه الذي تعرض أيضاً لشوط مماثل من الضرب والتعذيب، وعندما دخل الزنزانة كانت ملابسه ممزقة[١]، ووجهه متورماً من كثرة الضرب، شاهد كل منهما حجم التعذيب الذي تعرض له زميله أثناء التحقيق، وواصلوا ضربهما إلا أن أحداً منهما لم يدل بمعلومات تدينه أو تدين الآخر.

وفي إحدى جولات التحقيق حضر إلى الزنزانة اثنان من ضباط المخابرات يلبسان نظارات سوداء، وتحدثا معهما، وأخبروهما بضرورة تناولهما تطعيماً ضد مرض الكوليرا، لأن الجيش كان قد ألقى القبض عليهما في منطقة موبوءة بمرض الكوليرا.

وبالفعل أجبر الاثنان على تناول حبة دواء لتطعيم الكوليرا، بعد ذلك خرج المحققان من الزنزانة، وبعد ساعة من شرب القرص وإذ بصديقه بدأ يهذي . .

– "أنا وين، بدي أقابل جورج حبش"

– "يا رفيقي إحنا في السجن، إحنا عند المخابرات الصهيونية، اسكت !"

---

(١) من ضمن أساليب التعذيب كانوا يدخلون الكلاب إلى الزنازين لتنهش في جسد المعتقل، وكانوا يخرجون بعض المعتقلين من زنازين التحقيق إلى ساحة السجن ويتركون الكلاب تنهش في أجسادهم.

– "إيش أسكت، أنا بدي أقابل جورج حبش"

كان أبو الحر شرِه في التدخين، وهذا الذي أرجأ مفعول حبة الهلوسة، بدأ يسمع رفيقه وهو يهلوس، وعرف أن قرص الدواء ليس له أي علاقة بالكوليرا، ولم يكن سوى حبوب للهلوسة، لينتزع العدو منهم معلومات يستند إليها في جولات لاحقة من التحقيق.

– "بدي أعرف إنتو ليش معتقليني هان، أنا بدي أقابل جورج حبش"

– "إحنا مش في سجن للجبهة، إحنا عند الصهاينة، إهدا يا رجل !"

لحظات ويبدأ الرفيق أبو الحر في الهلوسة أيضاً، وأخذ الاثنان كل منهما يصرخ من جهته، ويهلوس بطريقته الخاصة، خارج الزنزانة هناك من يترقب هذه اللحظة بفارغ الصبر، الزنزانة تحت عيونهم، وضع الرفيق أبو الحر يديه على فمه، ليتحقق بالفعل إن كان يهذي ويتكلم أم لا، وهل لا زال في وعيه ويسيطر على انفعالاته أم لا.

بعد لحظات صوت صفير بدأ يعلو في رأسه، وضجيج الطائرات التي كانت تهبط أو تنطلق من المطار المجاور للسجن كانت تضغط على أذنيه، صفير في الرأس وهدير الطائرات وحبة الهلوسة كلها تجمعت في دماغه، حبة الهلوسة أفقدتهم القدرة على التحكم في أي شيء، حتى أن أرضية الزنزانة تحولت إلى مرحاض كبير، وملابسهم الرطبة تفوح منها رائحة البول.

وقف أبو الحر وهو مكبل اليدين والقدمين، كان يسمع هلوسات زميله، لكنه لا يعرف بما كان يهذي، وهل زميله كان يسمع هلوساته مثلما هو يسمع هلوسات زميله، ترى بم تحدث أثناء هلوسته، استجمع قواه ووقف وتحسس ملابسه الغارقة في البول، عرف أنه فقد السيطرة على نفسه بالكامل، كان في الزنزانة فرشة اسفنجية بالية ووسادة مكتوب عليهما "الجيش العربي الأردني[١]"، فاستند إلى حائط الزنزانة إلى أن وصل بابها، وبدأ يطرق على باب الزنزانة ويصرخ بعلو صوته:

– "افتحوا يا كلاب، تسقط إسرائيل، تسقط الصهيونية".

هل كان بالفعل يصرخ بهذه الكلمات، أم هو إحساس كان يغزو رأسه، وكان يهذي بكلام آخر، لا أحد يدري.

---

(١) كان المعتقل قبل قدوم الاحتلال معسكراً للجيش الأردني.

وفي صباح اليوم التالي، بدأ الاثنان في التقيؤ، وامتلأت الزنزانة بالقيء والبول وأصبحت جحيماً لا يطاق، عاد الرفيقان إلى طبيعتهما وانتهى مفعول حبوب الهلوسة، وبدأ كل منهما يستوعب كل ما يحدث حولهما، بعدها حضر الرجلان اللذان أحضرا معهما حبوب الهلوسة بالأمس. .

- "شو صاير معكو ؟"
- "ولا حاجة، بس شوية برد"

كان الرفاق يدركون بأن أية إجابة أخرى قد يترتب عليها ردّات فعل من ضباط المخابرات، تجعلهم يواصلون أساليبهم القذرة ضدهم، ثم بدأوا جولة جديدة من جولات التحقيق . .

- "إنت وين ساكن ؟"
- "في غزة"
- "وين في غزة ؟"
- "في وادي غزة"
- "وين في وادي غزة ؟"
- "شرق وادي غزة ، ساكنين في بيت شعر هناك"
- "إنتو بدو ؟"
- "آه بدو"
- "إنت بتقرا وتكتب ؟"
- "لا أنا شبه أمي، لا بقرا ولا بكتب"

وبعد أن تحروا مرة أخرى عن صحة المعلومات التي أدلى بها الرفيق في التحقيق، ووصلتهم الإجابات من قطاع غزة عن اسم "أبو الحر"، توصلوا إلى الاسم الحقيقي للرفيق وامتلكوا معلومات دقيقة عنه، عاد ضابط المخابرات ليواصل تحقيقه من جديد . .

- "يا كلب، يا (...)[١]" ولكمه في وجهه، "إنت ساكن في وادي غزة ؟"
- "أيوة أنا ساكن في وادي غزة"

---

(١) كلمات بذيئة.

- "إنت شو اسمك ؟"
- "أنا محمد عليان أبو الحر"
- "إنت السعيدني يا (...)"
- "لا ، أنا أبو الحر"

بقي الرفيق مصراً على انكاره إلى أن أحضروا له والده الذي كان قد وصله خبر استشهاد ابنه، ولم يكن يعرف أن ابنه على قيد الحياة، فاقتادوه إلى سجن غزة المركزي وأدخلوا أباه وجدّه إلى السجن، فتعرف إليه والده بمجرد أن رآه، وقال : "هذا ابني"، وكذلك الحال عندما رآه جدّه.

تعرفوا إلى اسمه، وتعرفوا على تنظيمه، وعرفوا أنه أحد عناصر المجموعة الخطرة التي حضرت إلى القطاع عن طريق البحر لتنفيذ عمليات "تخريبية" في القطاع، الآن أصبحوا يمتلكون معلومات ومعلومات صحيحة، هذا يعني أنه دخل مرحلة صعبة من مراحل التحقيق التي يصعب فيها استمرار الانكار، وإلا سيواجه أشكال أعنف وأشد وأكثر قسوة وهمجية أثناء التحقيق، لو استمر على حالته الأولى، هكذا كان يفكر الرفيق أبو الحر الذي كانت تجربته تلك هي الأولى في مواجهة المحققين وفي الصمود أمام أساليب التحقيق، حاول الرفيق الخروج من مأزقه بأقل الأضرار.

-"أنا شعبية صحيح، بس أنا جيت مع الشعبية بس عشان أشوف أهلي"
- "يا (...)، واحد زيّك بقدر يكذب ع الشعبية ويقولهم بس جاي عشان تشوف أهلك"
- "أنا قلتلهم هيك ووافقوا، أنا مليش علاقة بالشعبية"

وعادت موجات الضرب والشبح من جديد لانتزاع اعتراف من الرفيق، لكن دون جدوى، وبقيت الأمور على هذا النحو، وفي تلك الفترة زاره محاميه وشجعه بأن يستمر على هذا النحو، وقال له بأنه لو اجتاز التحقيق بهذا الحجم من الاعتراف فإما أن يتم إبعاده للخارج، أو أن يتم محاكمته لمدة ستة شهور أو سنة بتهمة اختراق الحدود فقط، وأثناء المحاكمة عندما تم تلاوة لائحة الاتهام أشارت اللائحة بأن الرفيق ينتمي لمجموعة

من الجبهة الشعبية قاصداً التخريب وقتل الأبرياء، وتهديد أمن "إسرائيل"، ويحمل أفكاراً تدعو لتدمير دولة "إسرائيل" .

وفي إحدى جولات التحقيق، اقتادوه ليلاً إلى مركز المخابرات قبالة مركز الشرطة وسط مدينة دير البلح وتركوه في المجنزرة معصوب العينين، ويداه مكبلتان خلف ظهره، راودته فكرة الهرب إلا أنه أحس بأن تركه في المجنزرة لوحده ربما يكون بمثابة فخ نصب له لقتله، والادعاء بأنه حاول الفرار من السجن، فرفض الفكرة وعدل عنها، ثم حملوه إلى شاطئ البحر، وعلى منطقة مرتفعة هناك، سألوه بعد أن رفعوا العصبة عن عينيه ..

– أين نزلتم ؟، وأين خبأتم سلاحكم ؟

لم يكن يعرف أنهم يقتادونه إلى هناك، وتفاجأ عندما وجدهم يقتادونه إلى الشاطئ

– "ما بعرف"

– "اتذكر، واطلّع شرقا وغربا يمكن تلاقي شيء يذكرك"

أصر الرفيق على إنكاره، مدّعياً أنه لا يعرف المكان فأنزلوه إلى الشاطئ، وسألوه مرة أخرى من أين أتيتم؟، كان الشاطئ مظلماً، وفكرة الإنكار حاضرة دائماً إلا أنه بالفعل لم يستطع تحديد المكان الذي أتوا منه، أخذوه شمالاً وجنوباً وأضواؤهم تملأ الشاطئ، إلا أنه لم يدلّهم إلى المكان الذي خرجوا منه، ولا المكان الذي خبأوا فيه حقائبهم، وبعد أن فشلوا في الحصول على معلومات جديدة، أعادوه ثانية إلى سجن صرفند[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق سلامة السعيدني.

إن شعباً قادراً على إنجاب أمثالكم حتماً سينتصر

إن التلاحم العضوي بين جماهير شعبنا في قطاع غزة والفدائيين، لا يمكن أن يصفه أحد بشيء سوى أنهم جميعاً عائلة واحدة، ينتمون لأسرة واحدة، أسرة الثورة، وليس أبلغ دليل على ذلك إلا المظاهرات الجماهيرية العارمة التي كان تخرج في وداع الشهداء الذين سقطوا في ميدان الشرف والبطولة والفداء، فلا تزال أزقة وشوارع المخيمات تختزن في ذاكرتها الحية مشاهد صاخبة يوم أن ودعت جماهير المعسكرات الوسطى ابنها البار وأحد قادتها العسكريين الكبار، الشهيد محمد أبو النصر، رغم أن العدو فرض طوق شامل ومنع التجول في كافة المعسكرات، وسمح بدفنه ليلاً وبأضيق مشاركة من أهله، إلا أن جماهير المعسكرات الوسطى قد خرجت في مظاهرات عارمة لتشييع قائدها البطل في جنازة رمزية شارك فيها الآلاف من المواطنين، وكانت حناجرهم تنادي بالثأر وتهتف: "بالروح والدم نفديك يا شهيد".

شكّل وجود الرفيق محمد أبو النصر على رأس قيادة العمل العسكري في قطاع غزة بعد اعتقال الرفيق عبد العزيز الميناوي في سبتمبر ١٩٦٩، عاملاً مؤثراً في تصعيد وتيرة العمل العسكري واتساعه، وما تميز به هذا الفدائي الفذ من حنكة وإقدام ومبادرة وإخلاص ونقاء وتواضع، قد شكل خير قدوة لرفاقه بين الجماهير، مما دفع الكثير من الشباب الوطني التوجه وبأعداد كبيرة للانتماء للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وفي هذه الحادثة خير دليل على ما حظيت به الجبهة الشعبية من رفعة ومكانة وشعبية لدى جماهيرنا بشكل عام وشبابنا المتحمس بشكل خاص، والتي حدثت في شهر رمضان نهاية عام ١٩٦٩ [١]، حيث اكتشف الرفاق في مخيم البريج منشورات تحمل توقيع الجبهة الشعبية، تتحدث بلغة تعبوية وتحريضية، وتحمل تهديداً للعملاء وتحذرهم من مغبة الاستمرار بتعاونهم مع سلطات الاحتلال، وبعد أن عرضت المنشورات على الرفيق "أبو النصر"، استفسر من جميع الرفاق العاملين في المخيم إذا ما كان لديهم أية معرفة عن مصدر هذه المنشورات، وتفاجأ عندما أنكر الجميع صلتهم بها، وازدادت حيرته أكثر لأن جميع

(١) حسب التوقيت الميلادي، بدأ شهر رمضان في ذلك العام، بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٦٩.

المنشورات كانت ملتزمة بالخط الوطني وتعكس مستوى عالٍ من الوعي السياسي والنضالي، وتوزع بكميات كبيرة وعلى فترات متقاربة، ومن أجل استيضاح الأمر طلب الرفيق أبو النصر من رفاقه في مخيم البريج متابعة الأمر، والبدء بعمليات الرصد والتحري، وبعد أيام تم إيقاف بعض الأشخاص وتفتيشهم، فوجدوا معهم كمية من المنشورات الموقعة باسم الجبهة الشعبية، وعلى الفور اقتادوهم إلى الرفيق أبو النصر، وبعد استجوابهم تبين لهم أن توزيع المنشورات ما هو إلا مبادرة شخصية منهم، وأنهم منذ وقت طويل يبحثون عن طريقة تمكّنهم من الوصول للجبهة الشعبية، وعندما فشلت محاولاتهم لجأوا لهذه الطريقة، ليس هذا فحسب بل قاموا بتوزيع المنشورات في الأوقات المتوقع أن يتواجد فيها فدائيو الجبهة.

وبعد أن تأكد الرفيق أبو النصر من صدق نوايا الشباب وتحمسهم للالتحاق في صفوف الجبهة، قال لهم أن شعباً قادراً على إنجاب أمثالكم حتماً سينتصر، ورحب بهم وأثنى على تصرفهم، ووعدهم بالاتصال بهم، كان المتحدث باسم الشباب الرفيق أحمد عبد الهادي، الذي ألح على الرفيق أبو النصر بالبقاء معهم، فلبى الرفيق أبو النصر طلبه على أن يغادرهم في الصباح، وأوصاه أن يستمر في دراسته، وبعد تخرجه من المعهد سيوافق على انضمامه معهم، وعندما نفذ صبر الرفيق أحمد وفشلت كل محاولاته في إقناع الرفيق أبو النصر في انضمامه للقتال في صفوف الجبهة، أرسل مع أحد أقربائه رسالة للحكيم وأطلعه فيها على ما حصل معه، وتعهد في رسالته بأنه سينفذ كل يوم عملية إذا ما وافق الرفاق على انضمامه للجهاز العسكري.

ولم يطل رد الحكيم على الرسالة، وطلب من الرفيق أبو النصر أن يلبي رغبة الرفيق أحمد وأن يهتم به، وقد أثبتت الأيام بأن الرفيق أحمد عبد الهادي بمستوى وعده، وحقق حلمه وأصبح مقاتلاً شرساً إلى أن استشهد في معركة بطولية في مخيم المغازي، بتاريخ ١٨ إبريل ١٩٧٠ [١].

(١) سجل الخالدين، محافظة الوسطى، ص ٧١.

انت لازم يظل سلاحك في ايدك وع كتافك

أكاد أجزم بأن الحجة أم إبراهيم[١] لم تسمع باسم "غسان كنفاني" قط، ولم تكن تجيد القراءة لتقرأ إحدى رواياته، لكنها على بساطتها وبخبرة الأم الفلسطينية المجبولة طينتها بحب الأرض، كانت بمثابة "أم سعد[٢]" للمقاتلين مثلما كانت لغسان كنفاني، "خُلقت أكتاف الرجال لحملِ البنادق، فإمَّا عُظماء فوق الأرضِ أو عظاماً في جوفها" هذا الدرس الذي علمته لابنها المطارد يوم أن احتاج هذا الدرس من "أم سعد" مخيم النصيرات.

في أواخر عام ١٩٦٩، وفي إحدى المرات التي فرض فيها العدو الطوق على مخيم النصيرات، بدأ بعمليات تفتيش ومداهمة للبيوت في المخيم، هرع بعض الفتية الصغار إلى الحجة أم إبراهيم ليخبروها بأن الجيش بدأ بحملة مداهمات للبيوت، لم يكن الفتية كباراً ليحملوا السلاح، لكنهم عرفوا بأنهم يستطيعون أن يحموا هذا السلاح وأن يكونوا العين التي تحرس أصحابه، احتارت الحجة أم إبراهيم كيف تخبئ بندقية ابنها إبراهيم، لم تكن البندقية وحدها في البيت، بل كانت معها بعض القنابل، وقطعة أخرى طويلة سمعت إبراهيم يقول أنها قاذف آر بي جي، نظرت إليها وهي تضرب أخماساً بأسداس، وكيف سينتهي الأمر لو دخل الصهاينة ووجدوا كل هذا السلاح في البيت.

– لن أتركهم يأخذون سلاح ابني ، فرش العجين هو الحل !!.

انفرجت أساريرها ، ثم ذهبت إلى غرفة إبراهيم، وجمعت كل ما بداخلها من أسلحة ورتبتها في الفرش، ووضعت غطاء العجين فوقها، وحملته فوق رأسها وخرجت به.

ينتشر الجنود في أزقة المخيم ويداهمون البيوت، بيتاً تلو آخر، وصلوا الزقاق الضيق المؤدي إلى البيت، خرجت الحجة أم إبراهيم من بينهم بسلام، إذا دخل الجنود أحد البيوت يقلبون عاليه واطيه، يبحثون عن قشة في بحر، ويعيثون في البيت الخراب،

---

(١) والدة الرفيق إبراهيم الشطلي، كان البيت في مخيم خمسة غرب المقبرة.

(٢) اسم إحدى روايات غسان كنفاني التي يبرز فيها شخصية أم سعد الأم الفلسطينية المناضلة، والتي أصبحت فيما بعد أيقونة للثورة.

الطحين والسيرج والسمن تختلط بعضها ببعض، زير الماء المدلوق وفراش البيت وخزانة الملابس والسرير، كلها تتجمع في حوش الدار لترسم لوحة بتوقيع أقدامهم الهمجية حالما يتركون البيت، إلى أين أذهب بهذه المصيبة !!، لم يوقفها الجنود ولم يشكّوا فيما تحمله فوق رأسها، حامت بفرش العجين قليلاً، إلى أن ذهبت به إلى أبو العبد الفران[١]، كانت نساء الحارة تصطف هناك على الدور، كل واحدة أمام فرشها، وبمجرد أن دخلت الحجة أم إبراهيم، بدأ الجميع يتسابق في إدخالها في طابور "الخبيز".

- "قَدمي يا أم إبراهيم، قَدمي يا حجة"، كيف لا وهي الحجة أم إبراهيم، أم الفدائي المطارد إبراهيم الشطلي، بطل المخيم الذي تتسابق النساء لتسمّي أولادها باسمه.
- "أبداً ولا يمكن، لسة عَجيني ما خِمر، خليه كمان شوي".

ظلت الصبايا تقدّم فرش الحجة أم إبراهيم، وهي تجرّه للخلف، وتتحجج وتتمنّع، واستمر بها الحال على هذا النحو إلى أن وصل الخبر إلى الفرن "الجيش طلع من المخيم"، حملت أم إبراهيم عجينها وعادت أدراجها إلى البيت . .

- "خلّي عَجيني يخمر في الدار !".

وفي البيت كان الأمر محزناً بعد أن دخل الجنود وعاثوا فيه الخراب، لم يتركوا شبراً في البيت على حاله، كل شيء تكوّم في حوش الدار، "كله يهون إلا سلاح ابني"، وبدأت الحجة أم إبراهيم تعيد ترتيب بيتها، ويعلو وجهها ابتسامة المنتصر، تارة تتذكر نساء الحارة وهُن يسحبن فرش القنابل ليدخل الفرن، وتارة أخرى تتذكر عندما مرت من بين الجنود، وهي تحمل فوق رأسها ما يبحثون عنه، أحضرت المعزقة[٢]، وحفرت بها حفرة في وسط الحوش، وألقت بالسلاح فيها بعد أن وضعته في كيس من النايلون، وصبّت عليها الماء لتخفي مكان الحفر، أرادت أن تلقّن ابنها وأصحابه درساً لن ينسوه، وعندما حضر ابنها إبراهيم سألها عن السلاح . .

- "وين السلاح يمّا ؟"

---

(١) الفرن كان على أطراف مخيم خمسة بمحاذاة بيارة المفتي، وعلى مسافة قريبة من بيت الحجة أم إبراهيم.
(٢) الفأس الكبيرة (الطّورية).

- "زي ما انت شايف يما، أجو اليهود وأخذوه، وقلبوا الدار عاليها واطيها، وبدك بعد هيك يظل سلاح !!"، وراحت توبخه لتعلمه درساً: "إنت لازم يظل سلاحك في إيدك وع كتافك، كيف بدك تدافع عن حالك بدون سلاحك ؟، لو أنا مطرح اصحابك ما بخليهم يسلحوك بعد ما فرّطت في سلاحك !!".

لم يكن الدرس الذي أرادته الحجة الحكيمة لإبراهيم وحده، بل كان لجميع رفاقه المطاردين، فعندما يخرج أحدهم، كان يأخذ سلاحه معه[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

الزوجة المطاردة

نظراً لجرأتها العالية، أنيط إليها مهمة إحضار شحنات وصناديق من الأسلحة والمتفجرات من منطقة رفح، ويرجع ذلك في الأساس إلى أن المرأة أقل لفتاً للأنظار، مما يمكنها من القيام بهذه المهمات الصعبة والمعقدة أحياناً، رغم أنها لا تخلو من الخطورة، وبطريقة أفضل من الرجال.

في نهاية ديسمبر ١٩٦٩، بعد عام من الالتحاق بالعمل الفدائي، اعتقلت الرفيقة "عايشة"، الفدائية الملثمة بعد أن داهم بيتها عدد من الجنود واقتادوها إلى السجن قبل أن تكمل امتحانات نصف العام، كل من يسلك هذا الطريق يحسم خياراته في الحياة، هما فقط خياران لا ثالث لهما "الاستشهاد أو الاعتقال.

كانت تجهز في المنشورات التي تكدست في البيت لتوزعها في صباح اليوم التالي، وفي زاوية من البيت خبأت خمسة ألغام، حرصت على ألا يجدها الجنود عندما جاءوا لاعتقالها.

- "لأي منظمة تخريبية تنتمي، أكيد جبهة شعبية ؟"، هذا السؤال الذي واجهها به المحققون بعد اعتقالها.

وبرغم قلة تجربتها إلا أنها تسلّحت بضعف المرأة كوسيلة لتضليل المحققين، وبالفعل نفدت من بين أنيابهم، وتم توقيفها إدارياً لمدة ١٣ شهراً إلى أن أفرج عنها في فبراير ١٩٧١.

خلال فترة اعتقالها، التحق بالثورة عشرات الشبان والفتيات، فيما اعتقل الكثير من الرفاق واستشهد آخرين، ومن بين الراحلين، الرفيق محمد أبو النصر الذي استشهد في بداية يناير ١٩٧٠.

بعد شهر من الافراج عنها، تمت خطبتها للرفيق داوود خلف، ولسوء حظها تمت مطاردتهما للعدو بعد يوم من خطبتها، وازداد الأمر تعقيداً عندما رفض والدها أن تتزوج من شخص مطارد يلاحقه العدو في كل مكان، ويحمل روحه على كفه، وفي أي لحظة

يمكن أن ينال منه العدو ويقضي شهيداً، وحاول جاهداً أن يمنع هذا الزواج إلا أنه رضخ مرغماً لرغبة الزوجين المطاردين، وتم زواجهما في بداية مارس ١٩٧١.

داهم العدو منزل العريس واعتقلوا والديه، ثم واصلوا البحث عن العروسين فداهموا عدة منازل واعتقلوا معظم أفراد عائلته للضغط عليهم للإدلاء بأية معلومات عن المكان الذي يختبئ فيه مع رفيقته المطاردة، كان المخطط أن تتزوج في منزل أخته، فداهم العدو المنزل واعتقلوا أخته وزوجها، وواصلوا بحثهما عن العروسين، اللذين نجحا أخيراً في أن يقضيا ليلة زفافهما في منزل أحد الأقارب في مدينة غزة.

وعن طريق أحد الأصدقاء، استأجر العروسان بيتاً لهما في مدينة غزة، وأثناء توجههما للسكن فيه، جاءهما خبر مداهمة قوات من العدو للبيت المستأجر، فتوجها إلى بيت آخر مكثا فيه شهرين ثم انتقلا بعد ذلك لبيت ثالث، ومعهما الرفيق جيفارا غزة وزوجته، وأمضوا هناك تسعة شهور.

واجهت الزوجة المطاردة الكثير من الصعاب في طريق معبدة بالعذابات تلاحقها رائحة الموت والبارود في كل مكان، اختارت هذا الطريق بوعي ولم تتراجع عنه، ودفعت في سبيله زوجها وابنها شهداء على مذبح الحرية والفداء(١).

---

(١) في مقابلة مع الرفيقة عايشة خلف .

انتهت العملية للتو، كان مساءً شتوياً دامياً، ليلة من ليالي كانون شديدة الظلمة، مقاتلو الجبهة الشعبية على موعد مع الشهادة، صوت القنابل وأزيز الرصاص يملأ الفضاء، صيحات المقاتلين وصراخ الجنود والقنابل المضيئة التي أضاءت سماء النصيرات، وصوت صفارات الإسعاف وهدير مدرعات التعزيزات التي جاءت من أكثر من مكان، تعطي إجابات لأسئلة كثيرة ولدت على شفاه كل من عاش تلك اللحظات من أهالي المربعات السكنية القريبة، "ترى ما الذي يحدث هناك !!".

المعركة كانت شرسة للغاية، لا يعرف أحد حجم خسائر العدو في تلك الليلة، التي استشهد فيها الرفيق علي قاسم، وألقي القبض على الرفيق عبد القادر الغصين المصاب بإصابة حرجة، وباءت محاولات إسعافه بالفشل.

نجح المصابون الآخرون في الانسحاب وتوجهوا إلى منزل أحد الأصدقاء في المغراقة، بعيداً عن المكان الذي حدث فيه الاشتباك، ارتابت المرأة العجوز من الفتاة المضرجة بالدماء التي حضرت معهم، ولم تفهم ما يجري، اختلط عليها الأمر، وانفلتت بالسباب والشتائم، وزجرت ضيوفها وطردتهم من البيت، لكنها عندما علمت بأنهم فدائيون كانوا للتو في اشتباك مع العدو، لحقت بهم واعتذرت لهم، واحتضنت الفتاة المصابة، وآوتهم في تلك الليلة، وقدمت ما تستطيع من مساعدة، أخبروها فيما بعد عن الطريق الذي سلكوه إلى البيت، فأرسلت أحد أولادها ليخفي آثار الدماء التي سالت أثناء قدومهم، وأمضى ابنها الثاني ليلته على سطح المنزل يستطلع الأمر، ويتابع أي تحركات مريبة نحو البيت.

أخبرنا الرفيق خليل أبو زبيدة بأنه كان مع أفراد المجموعة في تلك الليلة، قبل اصطدامهم بالكمين، وبعدما وصلت المجموعة إلى الطريق العام، عاد ومعه الرفيق إبراهيم الشطلي، إلا أنهم على مسافة من المكان سمعوا صوت إطلاق نار كثيف، فتوجهوا مباشرة إلى هناك، كانت المعركة حامية الوطيس، الرفيق عبد القادر غطى انسحاب المصابين، لكنه أصيب في بطنه إصابة بليغة، تمكن الرفيقان أبو زبيدة والشطلي فور

وصولهما من إخلاء المصابين، وأوصلوا الرفيق عبد القادر إلى بيته، بينما توجهوا بالمصابين الباقين إلى المغراقة.

وعن إصابة الرفيق أحمد عمران وطريقة علاجها، أخبرنا الرفيق أبو زبيدة بأن عمران كان يذهب متنكراً إلى عيادة الوكالة في مخيم النصيرات، كانوا ينتظرون انتهاء طابور طويل من المرضى الذين حضروا إلى غرفة الغيار لينفردوا بالطبيب المعالج ويغلقوا الباب.

أخبروا الطبيب بأن سلكاً شائكاً دخل في قدم الرفيق عمران، وخرج من الجهة الأخرى، وبمجرد أن رأى الطبيب "بدّار" الجرح الغائر نظر إلى المصاب وقال . .

– دي طلقة، متخافش يا ابني، بَداويها.

الطبيب بَدّار، مصري الهوية، فلسطيني الهوى، يسكن بين جموع اللاجئين في مخيم النصيرات، لا يتوانى في خدمتهم، ويقاسمهم همّ اللجوء وعبء التصدي لهمجية الاحتلال وبطشه، قصف العدو الصهيوني منزله في حرب ١٩٦٧، فاستشهد جميع أفراد أسرته، وكان الناجي الوحيد في القصف.

تعامل بدّار مع الجرح الغائر وقطّبه ببعض الغرز، وأسدى لصاحبه ببعض النصائح . .

– مَتِجينيش يا ابني بالشكل دة، ابعتلي أي حد من طرفكم، وأنا بجيلكم وبقوم بالواجب، أنا رهن إشارتكم، إحنا بنحبكم، وربنا ينصركم.

كان بدّار مرآة صادقة لجيل عاش زمن عبد الناصر، اكتوى من مرارة الهزيمة، التي خلّفت جرحاً غائراً في رأسه، وألماً يعتصر قلبه بفقدان زوجته وأطفاله، كان طبيباً يعالج طوابير اللاجئين المتزاحمة في عيادة المخيم دون ضجر، وكان قومياً ووطنياً لا يتردد في تقديم المساعدة لرفاقه الفدائيين، إن احتاجوها(١).

---

(١) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

حقاً إن للقنبلة القول الفصل

في ظهيرة أحد أيام شهر يناير ١٩٧٠، بعد أيام من استشهاد الرفيق محمد أبو النصر، دخل جيب مطاردة للعدو لمخيم النصيرات، قادماً من جهة الغرب، يتحرك ببطء، ويقترب رويداً رويداً من دوار النصيرات، صادف ذلك مرور الرفيق جلال حافظ عزيزة[١] في نفس الشارع ومعه رفيق آخر[٢]، التفت الرفيق أبو حافظ إلى الخلف فشاهد الجيب يقترب منهما، فأخبر رفيقه بأن يستمرا في مشيهما بشكل طبيعي، وألا يلفتا نظر من في الجيب لأي حركة غريبة، لا مجال للهرب فهروبهما سيلفت نظر الجنود، إلى جانب أنه سوف يضعهما في وضع محرج في السوق المكتظ بالناس، وكيف يهرب الفدائي البطل من ميدان المواجهة !!.

في جهة من الدوار يوجد عربات لبيع الدجاج، فتوجه الاثنان إلى العربات لتضليل الجنود، لحق بهما الجيب إلى أن أصبح بجوارهما، ونزل منه أحدهم، ونادى عليهما بلكنة مكسرة:

– تعال هون إنت، وإنت.

أصبح المشهد في غاية التعقيد، بعد أن توقف الجيب قبالة الشارع الضيق المكتظ بالمارة والمتسوقين، الفرصة غير متاحة للمواجهة، فأي رصاصة يطلقها أحدهما نحو الجيب أو الجندي الذي اقترب منهما سيقابلها زخات من الرصاص التي ستقتل العشرات من الناس المتواجدين داخل السوق.

تحفز باقي أفراد الدورية وتحركوا باتجاههما، دب الرعب في شارع السوق وبدأ الناس يتسربون من جانبيه، ووقف آخرون يتابعون المشهد عن كثب، حقاً الأمر جلل، ومعركة ضارية ستنفجر في أي لحظة، هكذا كان يفكر كل من قادته الصدفة ليعيش تلك اللحظة الحاسمة.

---

(١) المسئول العسكري لقوات الجبهة الشعبية في القطاع، والمطلوب الأول لقوات الاحتلال.

(٢) محمد فارس ياسين " أبو العز".

اقترب الجندي الأرعن منهما، ورفع عليهما السلاح، وطلب منهما الاستسلام والإذعان لأوامره، ثم طلب من الرفيق جلال هويته، ما عساه الأدرينالين أن يفعل في تلك اللحظة المفرطة في قسوتها، التفكير الآن يشبه شرارة الكهرباء التي يمكنها أن تضيء العقل بحلٍ سحري عساه أن يأتي سريعاً، ويمكنها أن تصعق صاحبها وترديه قتيلاً، لا مجال للاستسلام هذا ما انتجته ثُوَينات تلك اللحظة العصيبة، وعلى الفور فتح الفدائي قنبلته في وجه الجندي، حتى القنبلة في حالة تأهب!، كيف لا وهي الهوية، "القنبلة هوية الفدائي، وليست شيئاً آخر"، إرادة الحق الذي تسلح به الفدائي غيّرت المعادلة، انقلبت الدفّة بسرعة، فالجنود المتحمسون لإلقاء القبض على عدوهم أو تصفيته، ليس أمامهم سوى التراجع، وإلا ستنفجر القنبلة لتقتل الجميع، وبمجرد أن رأى الجندي القنبلة، أصاب الشلل دماغه، رفع سلاحه لأعلى، وبدأ في التراجع، لم يبرم الطرفان اتفاق سلام، فلا سلام مع الغزاة، كانت القنبلة تحمل بداخلها أبجدية محمومة بلغة لا تعرف المهادنة أو المساومة، المسافة كانت صفر، تمدد الصفر المطلق واتّسع، فأصبح متراً ثم مترين، وكلا الطرفين يتراجع إلى الخلف، ما زال الفدائي شاهراً قنبلته، والجندي بخطوات متثاقلة يتراجع إلى الخلف، الجيب الصغير حسم أمره وبدأ بالرجوع للخلف وعاد من حيث جاء ، وركض الجندي نحوه هارباً !.

عيون الفدائي كالنسر المتأهب، ما زالت القنبلة سيدة الموقف، الآن أتيحت الفرصة للانسحاب بعد أن هرب الجنود، ومن ممر فرعي انسحب الرفيقان، انتهى المشهد بطلقات في الهواء أطلقها الجنود بعد أن فشلوا في اعتقال أي من الرفيقين.

شاهد أهل المخيم الفدائي الشاب الذي لا يتجاوز عمره العشرين عاماً، كيف هرب من أمامه جنود العدو بعد أن أشهر قنبلته في وجوههم، وراحوا ينقلون مشهد البطولة إلى حاراتهم ومعارفهم ليصبح الفدائي الشاب أيقونة للبطولة، ومارداً يهرب من أمامه الجنود، كيف لا . . وهو الذي حاور جنود الاحتلال بالقنبلة التي كان لها القول الفصل ![١].

---

(١) في اتصال مع الرفيق أبو حافظ عزيزة .

وعادت الدورية أدراجها

في أوائل يناير ١٩٧٠، تحركت في منتصف الليل دورية راجلة من ٣٠ ملثماً من مقاتلي الجبهة وعدد من المطاردين، اعتاد الفدائيون على هذا النوع من المسير في وقت متأخر من الليل في إحدى الجولات التفقدية التي يجريها الفدائيون بشكل متكرر لحراسة المخيم وتنفيذ بعض المهمات، مثل ردع وتخويف اللصوص الذين تورطوا بعمليات سطو على بعض المحلات أو البيوت، أو مراجعة بعض الشباب الطائش الذي يقف في طريق المدارس لمضايقة الفتيات أثناء عودتهن لبيوتهن، كان الفدائيون يذهبون إلى بيوت هؤلاء الشبان في الليل ويقومون بمراجعتهم، وفي حال عدم انصياعهم للأوامر كانوا يحلقون لهم رؤوسهم بطريقة مهينة حتى لا يتجرأ أحدهم أن يفعلها مرة أخرى.

بدأت الدورية تحركها من أطراف مخيم النصيرات من جهة الجنوب، قادمة إلى قلب المخيم، لتنتهي مسيرها في المخيم الجديد، وبعد أن تجاوزت مخيم (٢)، دخلت إلى مخيم (١)، وتجاوزت الشارع الصغير المحاذي لنادي الخدمات[1]، ومنه قطعت شارع المخيم الرئيسي متجهة شمالاً إلى بلوك سي[2].

دخلت مجنزرة للعدو يتحرك خلفها جيب صغير إلى المخيم قادمين من الطريق العام، في تلك اللحظة وصلت الدورية الراجلة نهاية أحد الشوارع الواسعة المقابلة لمدرسة الإعدادية للبنات.

شاهد الفدائيون الأضواء المنبعثة من المجنزرة أثناء دخولها للمخيم بعد أن مرت من أمام المدرسة ووجهت كشافها باتجاه الشارع الذي يتحركون فيه، كشفت الأضواء الشارع بالكامل، فتأهب المقاتلون واستنفروا، فالأمر يوحي بأن معركة ضارية ستبدأ للتو، وأن الرشاش الذي يعتلي المجنزرة سيصوّب طلقاته الحاقدة باتجاههم.

---

(١) نادي خدمات النصيرات، أنشأته وكالة الغوث سنة ١٩٥١، متنفساً رياضياً في المخيم.

(٢) يتكون مخيم النصيرات من مجموعة من البلوكات المكتظة باللاجئين، وهي : مخيم (٢)، ومخيم (١)، وبلوك سي، والكلبوش، ومخيم (٥)، والمخيم الغربي (مخيم جديد).

وعلى الفور أخذ المقاتلون مواقعهم وتأهبوا لبدء المعركة، لكن الذي جرى أنهى حالة الاستنفار وبسرعة، فقد حسمت دورية العدو أمرها وعادت أدراجها والجيب الصغير الذي يسير خلفها، وغادرت المخيم بلا تردد، وعلى الرغم من أن دخول مثل هذه الدوريات في هذا الوقت المتأخر من الليل، ليس إلا لفرض الهيمنة على المخيم، والقضاء على الفدائيين في حال الاصطدام معهم، ولن تتوفر لهم فرصة أفضل من هذه الفرصة، فقد كان جميع الفدائيين في مرمى من يطلق الرصاص، إلا أنهم انسحبوا وغادروا المخيم من حيث أتوا، واختاروا الانسحاب والنجاة بأرواحهم خوفاً من أن تتخطفهم رصاصات الفدائيين.

تملّك الفدائيون احساس البطولة والندّية العالية وتعاظمت إرادتهم واعتزازهم ببندقية الثائر التي يحملونها، والتي وضعت حداً لهذا العدو الذي يتسلح بكل شيء إلا إرادة الحق، انتصرت بندقية المخيم ورصاصاتها التي لم تكن تملأ مخازنها، على جبروت الاحتلال الغادر الذي كان خياره الفرار من المواجهة، واختصر ما يمكن أن يصنعه من معادلة لن ترفع موازينها كل قوى الشر في العالم، ولن تعطي حقاً لباطل مهما ساندته القوى الغاشمة، عاد أدراجه لأنه يوماً سيخرج من حيث أتى، وستظل بندقية الثائر تحاصره وتلاحقه، هذه هي ترجمات تلك اللحظة في قلوب من عاشوها، فقد جسّدوا ما قاله الرفيق غسان كنفاني في أدبياته "لا تمت قبل أن تكون نداً"، وأكمل الملثمون مسيرهم حتى نهايته[١].

(١) في مقابلة مع الرفيق حسين أبو نار، أضاف (بأن الملثمين كانوا يتحركون بسرية تامة، إذ لم يكن يعرف أحدنا الآخر، كنا نعرف فقط المطاردين لأنهم كانوا يتحركون معنا بدون لثام، وكان معنا في تلك الليلة كل من الرفيقين علي أبو سلطان، وسميح أبو حسب الله).

والله ما بتطلعوا إلا بعد ما تتعشوا

في شهر يناير عام ١٩٧٠، وفي نفس اليوم الذي اصطدم فيه الفدائيون بدورية للعدو وهي في طريق دخولها للمخيم، وعادت أدراجها وآثرت الانسحاب، كانت الدورية الراجلة قد قطعت شوطاً إلى أن وصلت إلى أحد شوارع بلوك سي، أحس أحد الرفاق الملثمين بالعطش فقال بصوت مسموع "أنا عطشان بدي أشرب"، وإذ بالرفيق علي أبو سلطان يوقف المسير، ويتقدم ليدق على باب أحد البيوت، كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، ولم يخطر ببال أحد أن يفتح باب بيته في هذا الوقت المتأخر من الليل، فالمخيم بأكمله كان يغط في نوم عميق، المفاجأة أن الباب فتح بسرعة وخرج صاحبه ليشاهد أكثر من ثلاثين ملثماً بسلاحهم يقفون بالباب، قبل أن يملأ الخوف جوف الرجل، سلم عليه الرفيق علي وطمأنه وطلب منه بعض الماء، وعلى الفور تماسك الرجل ووقف مرحباً بضيوفه . .

– "أبداً إلا تدخلوا . .".

وأصر أن يدخلوا بيته، وأن يقدم لهم واجب الضيافة، أخبره الرفيق علي بأنهم لا يريدون أن يثقلوا عليه، وأنهم سعداء من استقباله لهم، إلا أنه بقي على إصراره، ودخلوا البيت وشربوا الماء، وصاحب البيت يستقبلهم بحفاوة، لم ينزعج من قدومهم، بل على العكس كان محتاراً في الطريقة التي يرحب بها بهؤلاء الفدائيين، خرجت زوجته العجوز ورمقت الحاضرين بابتسامة وقالت لهم:

–"أهلاً وسهلاً بأولادي الأبطال"

وبعد أن رووا ظمأهم واستراحوا، همّ الفدائيون بمغادرة البيت، فوقف الرجل مرة أخرى، وأغلق بذراعيه الباب وقال:

– "حد الله، والله ما بتطلْعوا إلا بعد ما تِتْعشوا".

تبادل الفدائيون نظرات الاستغراب الممزوجة بالشفقة على صاحب البيت الذي غمرهم بكرم ضيافته، في هذا الوقت المتأخر من الليل، وعلى زوجته التي دخلت تجهّز طعام العشاء لأكثر من ثلاثين شخصاً، البيت كان ميسور الحال وهم لا يريدون أن يثقلوا

على صاحب البيت، فشربة الماء تحولت إلى وجبة عشاء، والأم العجوز تتحرك في أرجاء البيت ذهاباً وإياباً من فرط سعادتها بقدوم الفدائيين إلى بيتها، وكأنها حملت وساماً من أوسمة البطولة الذي سيكون محور حديثها مع جاراتها في نهار الغد، بهذه الحفاوة كان يلاقي أهالي المخيم أبناءهم الفدائيين، تناول الفدائيون طعام العشاء، ثم غادروا البيت، والأم العجوز تقف بالباب وهي ترفع يديها للسماء وتدعو لهم بأن يحميهم الله من كل شر، وأن ينصرهم على أعدائهم[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق حسين أبو نار، أحد الملثمين الذين تناولوا العشاء ولاقوا من دفء العلاقة والحفاوة ما لاقوه في بيت الأم العجوز.

إنتوا ضيوفي . . وأنا بستناكو

في إحدى ليالي شهر مارس ١٩٧٠، بينما الشوارع تخلو من المارة، والحركة في المخيم تقتصر على الفدائيين أو دوريات العدو وكمائنه، ومنع التجول قد بدأ قبل ساعات، بدأت دورية راجلة للفدائيين تحركها مع دخول الليل على أطراف مخيم النصيرات الجنوبية، سياج من الأشجار الكثيفة المنسدلة على جانبي الطريق تزيده ظلمته وحشة، كانت تحركات الفدائيين وتواجدهم في المكان يمنح الناس شعوراً بالأمان والحماية، وبمجرد أن اجتاز الفدائيون الشارع، شاهدوا سيدة تقف بباب منزلها، فاتجه أحدهم نحوها ليسألها عن سبب وقوفها أمام منزلها في هذا الوقت من الليل، ففردت ذراعيها وابتسامتها العريضة تسبق كلامها . .

-"أنا بستناكو، إنتو ضيوفي".

أصرت السيدة الأرملة على دخولهم للبيت، تبادل الجميع النظرات واتخذوا قرارهم، وآثروا عدم الدخول لبيتها لأن هذا السلوك سيترتب عليه تقولات قد تسيء لها ولهم، فشكروها على حفاوتها بهم واهتمامها باستضافتهم، وتبادلوا معها الحديث وقبل أن يتركونها طلبوا منها أن تدخل إلى بيتها حماية لها وحماية للثورة من إشاعات وأكاذيب كان يرددها عناصر الطابور الخامس للنيل من ظاهرة العمل الفدائي ولتشويه سمعة الفدائيين.

السيدة الأرملة تريد أن تحس بالحماية من الفدائيين، لم يكن لديها أي مشكلة سوى أنها تريد من جيرانها أن يعرفوا باستضافتها للفدائيين، وأنها في حمايتهم، وفي الصباح تبادلت مع جاراتها الحديث الذي جرى معها بالأمس، والحفاوة التي لاقتها من الفدائيين، وأعادت عليهن كل كلمة قيلت ولم تقال في ذلك اللقاء !.

كان ذلك الموقف العفوي واحداً من عشرات بل مئات المواقف العفوية التي تصادف الفدائيين أثناء حركتهم ومرورهم في شوارع وأزقة المخيمات، والتي كانت تحمل رسالة لهؤلاء الأبطال الذين يحملون أرواحهم على أكفهم لحراسة المخيم وحماية أهله، بأن المخيم يبادلهم نفس الحب والاهتمام(١).

---

(١) في مقابلة مع الرفيق حسين أبو نار.

ديفيد ميمون تحت مقصلة الفدائيين

في ظهيرة اليوم الأول من شهر يوليو ١٩٧٠، كان أحد المقاتلين في طريقه إلى بيارة المفتي الواقعة شرق البلوك الغربي من مخيم النصيرات، لينهي آخر التحضيرات لعملية سيشارك فيها عدد كبير من المقاتلين، تستهدف العملية دورية عسكرية تدخل بشكل اعتيادي إلى مخيم النصيرات قادمة من الشرق، سيتم استهدافها أمام نادي النصيرات، هناك سينصب المقاتلون كمائنهم لضربها.

حرصت القيادة العسكرية على تأمين السلاح وتخبئته وترك هذه المهمة لشخص بعينه يتحمل المسئولية الكاملة عنه، وهي واحدة من القواعد الأمنية التي يحرصون عليها، خوفاً من تلقي ضربة مفاجئة باعتقال أحد المقاتلين واعترافه على مكان تخزين السلاح، في تلك الفترة اختارت القيادة الرفيق محمد أبو فريح[١] لتولي هذه المهمة، مهمة تحديد أماكن تخزين السلاح والذخيرة، والاشراف على نقلها وتخبئتها وتزويد المقاتلين بها عقب كل عملية.

في ذلك النهار مرّ ديفيد ميمون[٢] الحاكم العسكري لقطاع غزة بجيبه الصغير، ويجلس في المقعد الخلفي كلبه المدلّل، الذي اعتاد أن يشاركه جولاته التفقدية في المخيمات، ويلعق رقبته ويغدقها بلعابه، تحركت سيارة ميمون المغامر لدرجة التهور، ببطء شديد في الشارع المتفرع من الطريق المحاذي للبيارة، كان لوحده ومن السهل

---

(١) ولد في مدينة بئر السبع بتاريخ ١٩٤٨/٠٨/٠٦، هاجر مع أسرته سنة ١٩٤٨، ليقيم في مخيم النصيرات، أحد مقاتلي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وشارك في تنفيذ عدد من العمليات أبرزها عملية نادي النصيرات، اعتقل في أغسطس ١٩٧٠، وأفرج عنه في أغسطس ١٩٧٧، واعتقل بعد ذلك عدة مرات، وظل متمسكاً بالخط السياسي والكفاحي للجبهة الشعبية.

(٢) جنرال إسرائيلي ، ولد في ١٩٢٩/٠٢/١٥، وتوفي في ٢٠١٠/٠٧/١٤، شغل مناصب مختلفة بما في ذلك الحاكم العسكري لقطاع غزة، رئيس جهاز السجون الإسرائيلية، ورئيس محكمة الاستئناف العسكرية، وكان قائدا لإحدى فرق المظلات في الجيش الإسرائيلي وكان معروفا عنه إفراطه الشديد في البطش واستخدام أساليب القتل أثناء ملاحقة ومطاردة الفدائيين الفلسطينيين في شوارع مدن ومخيمات قطاع غزة، كان من اليهود السفارديم المنحدر من أصول يمنية، من الأشد بأسا وعنفا في معاملة الأسرى الفلسطينيين حيث كان يطلق عليهم لقب "المخربين".

اصطياده، لم يجرؤ أحد أن يتحرك بهذه الطريقة المكشوفة سواه، يعرفه أهالي المخيمات بسطوته وجبروته مما يجعلهم يتفادون طريقه أو المرور بجانبه.

اقترب منه الرفيق أبو فريح وتأكد من شخصيته، هو ديفيد ميمون، وهذا كلبه الذي يجلس خلفه، السيارة لا زالت تتحرك ببطء وتقترب منه رويداً رويداً، فوضع يده على مسدسه.

- هي طلقة واحدة وسيذهب ميمون إلى الجحيم.

الفرصة متاحة للانتقام منه والإجهاز عليه، هذا ما فكر به الرفيق أبو فريح الذي هم ليلتقط مسدسه، لكنه تراجع عن قتله، وتذكر العملية التي يتجهز مقاتلو الجبهة لتنفيذها، هم الآن في انتظاره، وعند قتله سيخضع المخيم على الفور لمنع التجول ولعمليات تفتيش ومداهمات للبيوت للبحث عن الفدائيين الذين قتلوا ديفيد، وقتله سيترتب عليه إلغاء العملية.

- لنكسب عملية النادي، وديفيد متهور سيأتي إلى هنا أكثر من مرة، ويمكن اصطياده في مرة قادمة.

هذا ما انتهت إليه خلايا دماغه التي اعتصرتها في لحظات لتخرج بهذه النتيجة، وبالفعل تركه وشأنه ومر عنه دون أن يقتله، وبقي ديفيد وكلبه يمران بهدوء داخل أزقة المخيم، عاش بعدها ديفيد أربعين عاماً إلى أن طوت الدنيا صفحته السوداء، ولم يكن يدري أن رقبته العارية كانت تحت المقصلة، ولولا عملية النادي لذهب إلى الجحيم.

وعندما التقى برفاقه، وأخبرهم بقدوم ديفيد ميمون إلى المخيم، وانه كان باستطاعته قتله والتخلص منه بسهولة، فردوا عليه بكثير من السخط وعدم الرضا ..

- يا ريتك قتلته وريحتنا منه، والعملية ملحقين عليها، نعملها بعدين.

آثر الالتزام بالتعليمات والانضباط للأوامر وتنفيذها بحذافيرها، لكنهم رأوا أن مقتل الحاكم العسكري الجنرال ديفيد ميمون أهم بكثير من عملية النادي، لأن تصفيته تعني توجيه ضربة قاسية للكيان، وفي مقتله خير انتقام للشهداء ولكافة الأسرى الذي أشرف على تعذيبهم وقتلهم في سجونهم الفاشية [١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق محمد أبو فريح.

لا حدود لفاشية العدو

اتخذ مقاتلو الجبهة الشعبية من بيارة "أبو قاسم" الواقعة جنوب مدينة دير البلح قاعدة عسكرية لهم، وكانت من أهم وأبرز القواعد العسكرية للجبهة الشعبية في المنطقة الوسطى، وفي صبيحة يوم ١١ أغسطس ١٩٧٠، وصلت معلومات إلى مخابرات العدو عن وجود مطلوبين في هذه البيارة.

شهدت تلك الفترة أقسى وأشد حملات المطاردة والتصفية لمقاتلي الجبهة الشعبية ومطارديها، قادها المجرم شارون بنفسه، وأعطى تعليماته بتصفية كل عناصر الخلايا العسكرية التابعة للجبهة الشعبية بهدف القضاء على ظاهرة العمل الفدائي في قطاع غزة نهائياً.

تجهزت عشرات المدرعات والآليات العسكرية ومئات الجنود لمداهمة المكان، لإحكام قبضتها على المنطقة والقضاء على المقاتلين، كان العدو يتجهز جيداً لمثل هذه المواجهات فهو يعرف أنه سيصطدم بمقاتلين أشداء تمرسوا على القتال حتى آخر طلقة في جعبتهم.

أحس المقاتلان فتحي الحزين(١)، وابن عمه طلال الحزين(٢) بخطورة ما يجري وأخذوا أماكنهم داخل البيارة وتأهبوا للمواجهة، ساعدتهم أشجار الحمضيات الكثيفة على التخفي والتحرك داخل البيارة المحاصرة من كل جانب.

حلّقت فوق أرض المعركة طائرة مروحية، وبدأت بمطاردة هدفها ومحاصرته، البيارة أصبحت بالكامل تحت قبضة العدو، ومئات الجنود قد داهموها من كل جانب، طائرة الهيلوكوبتر تطلق زخاتها باتجاه المقاتلين، معركة غير متكافئة بدأت للتو، حاول الرفيقان الانسحاب من المكان والنجاة بأنفسهم، إلا أن العدو كان مسيطراً.

---

(١) ولد في منطقة "الحزاينة" غرب النصيرات عام ١٩٤٧، التحق بالعمل العسكري من خلال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في عام ١٩٦٩، شارك في العديد من العمليات البطولية ضد قوات العدو الصهيوني، واستشهد بتاريخ ١٩٧٠/٠٨/١١، خلال مواجهة عنيفة مع قوات العدو الصهيوني في دير البلح (سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٢) ولد في مخيم النصيرات في عام ١٩٥٣، أحد مقاتلي الجبهة الشعبية، قام العدو الصهيوني بإعدامه بعد ساعات من اعتقاله بتاريخ ١٩٧٠/٠٨/١١(المصدر السابق).

أفلت الرفيق فتحي الحزين من قبضة الجنود، إلا أن الطائرة التي تحوم في السماء باغتته بطلقاتها فاستشهد على الفور، واعتقل ابن عمه الرفيق طلال الحزين بعد أن نفذت ذخيرته.

بدأ العدو باستجواب عشرات المواطنين في بيت يعود لعائلة أبو قاسم داخل البيارة، في حين انفرد ضابط المخابرات "شكرون" بالتحقيق مع الرفيق طلال الحزين، واقتاده إلى غرفة أخرى مكبل اليدين، وأخبره بأنه لا يوجد لديهم أوامر باعتقاله، بل بتصفيته، وبعد انتهاء التحقيق معه، أخرجه أمام الناس المحتجزين في البيارة، وصوب مسدسه باتجاه رأسه، وأطلق عليه النار من مسافة صفر وأرداه قتيلاً.

استمرت حملة الدهم والتفتيش والاعتقال حتى منتصف ذلك اليوم، وخلال حملة الدهم قام العدو باعتقال عشرات الشباب المنحازين للثورة ومنهم الرفيق يونس أبو قاسم، واقتادهم إلى سجن غزة المركزي، بتهمة تقديم مساعدات للفدائيين.

يقول الرفيق يونس أبو قاسم عن ذلك اليوم: أن أكثر ما آلمه بعد انتهاء التحقيق معه، وقبل اقتياده للسجن، منظر الشهيد فتحي الذي ربطه الجنود من قدميه، وعلقوه على سارية أحد الجيبات العسكرية، وظل جسده متدلياً إلى الأسفل، ووجهه وصدره ويداه تجر على الأرض، كان المشهد قاسياً ولم يستطع تحمله، أوقفه ضابط المخابرات أمام الجيب، وطلب منه التعرف على شخصية القتيل، فأجابهم بأنه صديقه فتحي الحزين ..

– هذا المخرب فتحي الحزين !!.

طافت الآليات العسكرية شوارع البلدة أثناء انسحابها، وفي مقدمتها الجيب الذي يتدلى من ساريته جسد الشهيد فتحي مربوطاً من قدميه، ويجر على الأرض مضرجاً بالدماء، في مشهد قاسٍ أبكى جميع أهالي دير البلح الذين خرجوا وقتئذٍ لمتابعة هذا الحدث الأليم(١).

لم يكن فتحي مخرباً، بل شاباً يافعاً لم يتجاوز عمره السابعة عشرة ، لكنه حمل بين جوارحه حب الوطن، فاختار البندقية، وراح يقارع من احتل أرضه وطرده منها، صار فدائياً ليحمي أهله وشعبه من بطش الاحتلال وجبروته، توشح بالكوفية ليحيا في وطنه

---

(١) في مقابلة مع الرفيق يونس أبو قاسم.

حراً طليقاً بلا احتلال، لو كان هذا النموذج من الشباب الثائر مخرباً، فأي المفردات يمكنها أن تعبر في مضمونها عن فاشية العدو الصهيوني، وهل قدمت البشرية عبر تاريخها الطويل فاشية أكثر إجراماً من فاشية هذا العدو !!.

شيبوب يشد والموت يشد

عاش الرفيق شيبوب بعد أشهر قليلة على اعتقاله حكاية مع الموت، يعرفها سكان مخيم النصيرات وبقيت عالقة في أذهانهم حتى الآن، فبعد إعدام الرفاق الأبطال حريص أبو حية وعلي أبو سلطان وسميح أبو حسب الله، وتحديداً في اليوم التالي لإعدام الرفيق سميح أبو حسب الله، في ١٣ أكتوبر ١٩٧٠، وقع الاختيار عليه هذه المرة، لجأ العدو الصهيوني إلى سياسة إعدام الفدائيين رمياً بالرصاص وعلى مرأى من الجماهير، لضرب الروح المعنوية للمواطنين ومنعهم من الالتحاق بصفوف الثورة.

أخذوا الرفيق شيبوب من سجن غزة المركزي في سيارة جيب عسكرية، تحرسها سيارات أخرى واقتادوه إلى مخيم النصيرات[(١)]، وجاءوا به من بين كروم العنب غرب المخيم، وهناك التقط الضابط "شكرون" المسئول عن الدورية قطفاً من العنب وأعطاه للرفيق شيبوب، وكأنه يقول له "كل كما تشاء فبعد لحظات سنقضي عليك"، وصلت الرسالة للرفيق شيبوب وتيقن أنه على مشارف الموت، وأنه سيلحق برفيقه سميح الذي تم تصفيته بالأمس وبنفس الطريقة.

طافت به الدورية شوارع المخيم، وفي السوق توقف ضابط المخابرات "شكرون" قليلاً ليخبر الأهالي بأنهم اعتقلوا المخربين، وبدأ يحثّهم ويشجعهم على تقديم معلومات عن تحركات ومخابئ المخربين، إلا أن أحداً لم يكترث لحديثه، ثم مرّت الدورية من أمام المقبرة، وبمجرد أن وصلوا هناك شاهد الرفيق شيبوب الأهالي المحتشدين في المقبرة ليواروا جثمان الشهيد أبو حسب الله الثرى، نادى بأعلى صوته، "بدهم يقتلوني، بدهم يقتلوني"، كانت أخته بين حشود المواطنين المتواجدين في المقبرة، فركضت خلف السيارات العسكرية التي تحمل أخاها شيبوب، وهي تهلل وتكبر وتطلق الشعارات، ركب

---

(١) أفادنا الرفيق محمود عمران بأن أخاه الرفيق أحمد عمران كان مع الرفيق شيبوب، وعندما رآه ونادى عليه، أشار إليه الرفيق أحمد بيده أن يعود للبيت، فأخبر أخته سميحة بذلك، وعلى الفور ركضت مع والدها إلى منزل "أبو محمود النجار" الذي كان يعمل موظفاً في اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ومن تليفون المنزل اتصلت بالرجل الذي بدوره تواصل مع الجهات المعنية، وحضروا إلى المكان.

أحد المواطنين[١] دراجته وتوجه إلى عيادة الوكالة، وقام بالاتصال بالصليب الأحمر، وطلب منهم المساعدة لإنقاذ حياة شيبوب من الموت[٢].

بعد أقل من نصف ساعة حضرت سيارات الصليب إلى المكان وانضمت إلى حشود الجماهير الراكضة خلف السيارات العسكرية، شاهد الجيش سيارات الصليب وحشود الجماهير الثائرة تطارده فهرب باتجاه الكثبان الرملية حيث لا تستطيع السيارات المدنية دخولها، مما دفع موظفو الصليب إلى ترك السيارات والركض مع الحشود، اتصل قائد القوة العسكرية بالاستخبارات وأطلعها على ما حدث، ولما شعروا بخطورة الموقف طلبوا منه العودة بدون تنفيذ الجريمة، عندها أخرج الضابط علبة سجائره وأعطى شيبوب سيجارة قائلاً له: "خذ هذه السيجارة ، تبقى لك عمر في هذه الدنيا".

نشر الصليب تقاريراً دولية يتهم فيها "إسرائيل" بتنفيذ عمليات إعدام خارج القانون، وذكر فيها عمليات إعدام الرفاق حريص، وأبو سلطان، وأبو حسب الله، وآخرين، إضافة إلى محاولة إعدام الرفيق شيبوب وتدخلهم في اللحظات الأخيرة لإنقاذه، وتسببت هذه التقارير في انكشاف وفضح هذه السياسات الإجرامية للعالم، وقاموا بنصب خيمة لموظفي الصليب الأحمر أمام بوابة السجن لمراقبة خروج ودخول المعتقلين، ترافق ذلك مع إصدار الجبهة الشعبية تعميماً داخلياً لأسراها في السجون بعدم الانصياع لأوامر العدو بالخروج من السجن لأي سبب كان، بهدف إحباط مخطط العدو عند هذا الحد، وبالفعل تم إعادة النظر في هذه السياسات، وفي ضوء الحرج الشديد الذي وقعت فيه "إسرائيل"، اتخذت قرارها بوقف سياسة الإعدامات المباشرة بحق الأسرى[٣].

---

(١) فؤاد خالد "البس"، يعمل موظفاً في مكتب البريد.

(٢) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

(٣) في مقابلة مع الرفيق يونس أبو قاسم.

العين بالعين والبادي أظلم

نصبوا له الكثير من الفخاخ والكمائن وحاصروه عدة مرات، ولكنه كان ينجح في الإفلات من حصارهم، ولزيادة الضغط عليه، اعتقلوا والده، وأخوه محمد، وأخته سميحة، عدة مرات، ولجأوا إلى ابتزازه، فربطوا والده على مقدمة جيب عسكري، وطافوا به في شوارع المخيم، معتقدين أنهم بذلك سيرغمونه على تسليم نفسه ليخلّص والده.

ولتخفيف عبء المطاردة، وما يقوم به العدو من نصب كمائن، وفرض منع التجول، وحملات الدهم والتفتيش المتواصلة، كلما وصلت معلومة عن تواجد المطارد أحمد عمران، جاء قرار التنظيم بإخراجه من القطاع مع عدد من الرفاق المطاردين ليتلقوا تدريبات في الخارج(١).

وبالفعل سافر الرفيق عمران ومعه اثنين من الرفاق، وبعد انكشاف أمرهم في رحلة شاقة عمرها ٤٥ يوماً من المعاناة والتيه والجوع والعطش والوقوع في فخ الخديعة والخذلان، تمكن العدو من اعتقالهم في منطقة نويبع جنوب سيناء في ١٤ إبريل ١٩٧٠.

وفي نهاية عام ١٩٧٠، وبعد أشهر قليلة من اعتقال الرفيق أحمد عمران، ورفيقيه الشاعر والعمودي، شاءت الأقدار أن يعتقل الدليل الذي ترك الرفاق الثلاثة في عمق الصحراء يواجهون الموت البطيء في أبشع صوره، اعتقلتهم قوة من الجيش وهما في طريق عودتهما إلى شمال سيناء.

عرف الرفاق بأنهما معتقلان في نفس السجن، فبدأوا بوضع الخطط للانتقام من الخائن الذي وشى بهم، اتفق الرفيقان عمران والشاعر على خطة الانتقام، وأمضى الرفيق أحمد ليلته وهو يسن ملعقة طعام أخرجها من المطبخ خصيصاً لهذا الغرض، تذكر رحلة العذاب والمعاناة التي انتهت باعتقالهم بسبب الدليل الهارب، لحق الرفيق أحمد بهدفه عند خروجه إلى دورة المياه، فواجهه بصنيعته، وكيف أن هربه تسبب في الكثير من المشاق

---

(١) في مقابلة مع الرفيق محمود عمران .

والعذاب له ولرفاقه، وتسبب في اعتقالهم ووقوعهم تحت ضرس العدو، وأن هذه الجريمة توجب العقاب، فضربه بالملعقة في إحدى عينيه ففقأها، وتركه يولول غارقاً في دمه[١].

وعلى إثرها جن جنون إدارة السجن، وصبوا على الرفيق عمران أقسى أنواع التعذيب، وألبسوه "الأبرهول" الأحمر الذي يلبسه المحكومون بالإعدام، واقتادوه إلى المحكمة التي صادف انعقادها في نفس اليوم الذي اقتص فيه من الدليل، وحكمت عليه بالسجن المؤبد مدى الحياة، ثم تم نقله إلى سجن المجدل، وهناك تبدأ مرحلة جديدة مع البطولة والمواجهة، ويسجل فيها انتصاراً جديداً على العدو، وعلى أسطورة أمنه الزائفة، فينجح في الهرب من السجن، ليواصل مسيرته الكفاحية الرائدة، حراً طليقاً[٢].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق إبراهيم الشاعر.

(٢) في مقابلة مع الرفيق محمود عمران.

جيفارا ورفاقه ضيوف أهل السوارحة

كانت قوات الجيش تداهم باستمرار بيوت المطاردين، وتطلب من عملائها أن يواظبوا على مراقبة هذه البيوت، وأن تبقى تحت أعينهم ليعرفوا من يدخلها، ومن يخرج منها، فالمعركة ما زالت محتدمة، وخسائر العدو جعلته يجيّش كل أدواته ليخمد لهيب الثورة ويحقق انتصاره عليها.

يحاول الاحتلال جاهداً ومن خلال عملائه لكي يصل إلى طرف خيط يدلهم على مكان اختباء هؤلاء المطاردين، في المقابل كان أهالي الفدائيين يدفعون ثمناً باهظاً بسبب التحاق أبنائهم بالثورة، وكان ضباط المخابرات يتفننون في تكدير حياتهم، وتكدير سبل عيشهم من كثرة استدعائهم لمراكز الاستجواب والتحقيق، أو حتى باعتقالهم وتعذيبهم وإذلالهم، وأحياناً تفرض عليهم إقامات جبرية أو تمنعهم من السفر أو من الحصول على تصاريح للعمل في الداخل، كانت حياتهم بحق عنواناً مكثفاً للمعاناة بسبب فاتورة الحساب الباهظة التي فرض عليهم دفعها.

لم يكن يخفى على الفدائيين الأخطار المحدقة بأهاليهم وأسرهم، ومع ذلك فإنهم يتشوّقون لرؤيتهم، ومن حين لآخر يرتّبون للقاء معهم في هذا المكان أو ذاك، لقاءات لا تخلو من الخطورة أو المجازفة، خصوصاً وأن الأهالي دائماً كانوا تحت ميكروسكوب العملاء، وقيد الملاحقة والاستدعاء.

ذات مرة كان الرفيق "جيفارا غزة" مختبئاً في أحد بيوت مخيم النصيرات، وقد مر أكثر من ثلاثة شهور دون أن يلتقي بأي من أفراد أسرته، فرتّب مع رفاقه للالتقاء بزوجته ووالديه، وأوعز لرفاقه المطاردين بإحضار عدد من أفراد أسرهم في إحدى البيارات في منطقة السوارحة جنوب غرب النصيرات فهي المكان الأنسب لذلك اللقاء.

وفي نهار أحد أيام شهر مايو ١٩٧١، حضر عدد من أهالي المطاردين وحضرت معهم زوجة جيفارا ووالديه، في ظهيرة ذلك اليوم التقى الأحبة بأحبتهم، قدّم الأهالي الطعام والشراب وأكرموا ضيوفهم، كان يوماً غير معهوداً، وربما لا يتكرر، تجمع فيه عدد كبير من المطاردين بأهاليهم، مر الوقت سريعاً، انشغل أحدهم وهو يحدث أمه، وآخر يتذكر

موقفاً ما مع أبيه، وثالث يمازح أخته، ورابع يقسم لأهله بأنه سيجتمع بهم قريباً ولن يطيل غيابه عنهم، وعلى مسافة منهم كانت هناك عيون مُحبة تحرسهم وتُؤَمن لقاءهم.

وفجأة أحسوا بطائرات الهيلوكوبتر تحوم فوق رؤوسهم، جاءهم أحد الأشخاص ركضاً، وأخبرهم بأن قوات الجيش تأتي إلى المكان، خرج عليهم أهالي المنطقة، الحاضنة الشعبية للثورة وللثوار جاء دورها، فهبت لنجدة أبنائها، كان هذا لسان حالهم، عندما انقضت قوات الجيش على المجتمعين أثناء تناول طعام الغذاء، لم يكثروا في الحسابات، ولم يكترثوا بما يمكن أن يلحق بهم لو انكشف أمرهم، بدأوا بتهريبهم من المكان.

دخل الجيش كالأعمى الذي يتحسّس موضع قدميه، جغرافية المكان لا يمكن لأحد السيطرة عليها بسهولة، البيارات كثيفة، والأمر فيه من المخاطر ما يجعل الجنود يترددون في الاقتحام، والأزقة ضيقة والبيوت متداخلة، حاول العدو أن يفرض سيطرته على المكان، وبدأ يفرض منع التجول، إلا أن أهالي المنطقة سبقوهم بخطوات ونجحوا في تأمين خروج الفدائيين، بعضهم اختبأ في شاحنة مموهة تحمل أكياس من العلف والقش، وخرج من المكان دون أن يشعر به أحد، وآخرون نقلتهم الأيدي الحريصة من بيت لبيت، ومن بيارة لأخرى إلى أن أصبحوا في مأمن بعيد عن قبضة الاحتلال، انتهى لقاء الأحبة، واندحر الجيش دون أن يظفر بأحد منهم، ونام أهالي المنطقة الشجعان ليلتهم وابتسامة النصر ترتسم على وجوههم [١].

(١) في مقابلة مع الرفيقة عايشة خلف .

"سيز" . . شيفرة المخيم

ضمن توجيهات الرفيق الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الرفيق جورج حبش لمضاعفة الهجمات ضد قوات العدو الصهيوني وضرورة تصعيد القتال في الأرض المحتلة، وفي خطابه الموجه للقيادة العسكرية في الداخل في مايو ١٩٧٠، الذي أشار فيه إلى الدور الحاسم الذي يمكن أن تلعبه الجماهير في القتال، قال بأن "الجماهير لن تلتف حول حركة المقاومة ولن تستمع لتوجيهات المقاومة، وليس لديها استعداد أن تتبنى مفاهيم أي فصيل من فصائل المقاومة، إلا إذا شعرت أن المقاومة ناجحة، وناجحة فعلاً، وقادرة باستمرار على ضرب وتوجيه الضربات وزيادة الفعالية ضد العدو[١]"، كانت الجماهير الحاضنة الأمينة لظاهرة الفدائيين، تعيش معهم بطولاتهم وتضحياتهم، وتنحاز بقوة للقيام بدورها في حماية هذه الظاهرة حتى تحقيق أهدافها في الخلاص من الاحتلال.

يتجنب الأهالي التعرض لبطش الاحتلال وإجراءاته العقابية القاسية، ويتفادون أي تصرف يمكن أن يضع أحدهم تحت ضرس ضباط مخابراته أو أن يتهم بإيواء أحد المطاردين أو تقديم المساعدة لهم، لكنهم في ذات الوقت ينتمون لنفس المدرسة التي ينتمي إليها هؤلاء الفدائيين الأبطال، فهم جميعهم كباراً وصغاراً تواقين للعودة لبلداتهم التي هجروا منها، حتى الصغار الذين ولدوا في سنوات اللجوء يعرفون القرى التي هجر آباؤهم منها ويحبونها من كثرة ما تحدثوا أمامهم عنها، الأمر يحتاج لغة لا يعرفها العدو، بحيث يتناقلها الصغار والكبار دون أن تَلحق بهم الأذى، كانت اللغة عبارة عن شيفرة عفوية بسيطة من ثلاث حروف "سيز" ، بحثنا عن معنى لها، لكننا لم نعرف لها معنى، ربما هي ذاتها الكلمة الانجليزية "Says"، التي معناه "يقول أو يخبر"، وربما غير ذلك.

"سيز" هي كلمة ينشط مفعولها في ساعات النهار، ففي الليل لا شيفرة سوى أزيز الرصاص، يعرف أصحابها كيف يستخدمونها ومتى، لم يستخدمها أحد للتسلية أو للتجريب أو غيرها، هي شيفرة جادة تستخدم فقط في أوانها، يتناقلها الجميع، الصغار

---

(١) يزيد صايغ، الكفاح المسلح والدولة الفلسطينية، الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٤٩ – ١٩٩٣)، ص ٣١٠.

والكبار، النساء والشيوخ، وتسري على لسانهم من واحد لآخر، وفور أن يسمع أحدهم "سيز"، ينقلها لغيره وهكذا دواليك، إلى أن تصل إلى أصحابها.

ترمز الشيفرة لوجود دورية أو كمين قريب، فيعرف كل المخيم بأنه على مقربة من المكان دورية قادمة أو كميناً متربصاً، وبمجرد أن يسمعها المطاردون يختفون من المكان فوراً امتثالاً للرسالة التي تبرقها لهم القلوب المحبة، كانت كل العيون تحرسهم، وكل العيون ترعاهم[١].

لم تكن "سيز" الكلمة الوحيدة التي يتداولها الناس دون أن يعرفوا لها معنى، فقد استخدم أهالي المخيم أكثر من كلمة للتعبير عن رفضهم للعدو وكراهية المخيم لوجوده، مثل كلمة "بيعو" التي تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل، رغم أنها لا تحمل أي معنى سوى أنها في الموروث الشعبي تعتبر إحدى الكلمات النابية التي يرددها الأطفال والكبار عند دخول دوريات العدو إلى المخيم وهم يتصدون لها ويقذفونها بحجارتهم وأحذيتهم البالية.

---

(١) في مقابلة مع الرفيق حسين أبو نار.

"أحمد" الطفل الرضيع . . أصغر أسير في التاريخ

لم يكتف العدو الصهيوني بقتل زوجها(١)، ففي ٥ نوفمبر ١٩٧١، بعد أسبوعين من استشهاده، عاش مخيم البريج يوماً غير عادي، وفي وضح النهار، دخلت قوات غفيرة من الجيش إلى مخيم البريج وانتشرت في أزقة وشوارع المخيم، بدأت تفرض منع التجول، ونادت بمكبرات الصوت وطلبت من الأهالي الخروج إلى الأرض الخالية المحاذية للمخيم.

حاولت الأم التي وضعت طفلها قبل أيام، الهرب من قبضة الجنود إلا أنهم كانوا قد انتشروا وبأعداد كبيرة في كل مكان، قالت في نفسها : "كيف سيعرفني الجنود، فأنا مثلي مثل أي امرأة خرجت إلى ساحة التجمع".

على غير عادته طلب العدو من الجميع الخروج، الرجال والنساء، انتشر الجنود في مكان التجمهر لقمع كل من لا ينصاع للأوامر، أجلسوا الرجال في جهة، أما النساء فأوقفوهن في طوابير، وبدأوا بتمريرهن فرادى واحدة تلو الأخرى من أمام جيب عسكري مغطى، يجلس بداخله أحد العملاء ليعطي إشارات للجنود.

مر من أمام الجيب عدد كبير من النساء، اقترب دور الرفيقة عايشة خلف، تلقى الجنود إشارة من بعيد، فالتفوا حول طابور السيدات الذي يقترب من الجيب، مجموعة من ضباط المخابرات حاصروهن مثل الكماشة، مرت الأولى والثانية والثالثة من أمام الجيب، لم يتلق الجنود أي إشارة فسمحوا لهن بالمغادرة، جاء دور الرفيقة عايشة، أعطى الجاسوس إشارته للجنود، ماذا عساها تفعل الآن، والخطر يحيط بها من كل جانب، ومئات الجنود بكامل عتادهم يملأون المكان، فبادرتهم بالصراخ وراحت تعبر عن رفضها لكل ما يحدث، علها تخدعهم بتظلمها وعدم اكتراثها . .

– "إيش في . . ؟!"، صرخت مستنكرة ما يجري .

– "تحكيش ولا كلمة، خلص . ."

(١) الرفيق داوود خلف.

عرفت الرفيقة عايشة التي وقعت بين كماشة العدو وهي تحمل بين يديها ابنها الرضيع[١]، أن منع التجول وطوابير النساء وكل هذا الجو من إرهاب الأهالي واحتجازهم كان لإلقاء القبض عليها، وقفت إحدى السيدات الماجدات وهجمت على الرفيقة عايشة وانتشلت ابنها من بين يديها وهربت به إلى فرن المخيم[٢] الذي كان مفتوحاً لحظتها، لحق بها عدد من الجنود ودخلوا الفرن وأوسعوها ضرباً وشتماً إلى أن خارت قواها، وانتزعوا الطفل الرضيع من بين يديها المرتجفتين من كثرة الألم، وألقوا به في إحدى الجيبات وانصرفوا من المخيم.

شاهدت الأم مشهد اختطاف ابنها، ما أصعبها من لحظات، استشاطت غضباً، لم تغادرها بعد أوجاع مخاض الولادة، وكأن الدنيا صنعت لها جهنمها، وها هي تصبّ فوق رأسها المصيبة تلو الأخرى، فبالأمس تفقد بطلها ، واليوم يختطف الجنود ابنها.

استجمعت قواها واجتازت كل الجنود وركضت باتجاه الجيب المغطى وكشفت الغطاء عن الجاسوس الذي يختبئ خلفه، إنه الشخص الذي تسبب في اعتقالها واختطاف ابنها، لغة سريالية تحدثت بها معه، لم تترك كل سباب اللغات والشتائم إلا ولعنته بها، تكاثر حولها الجنود وحملوها في دبابة واقتادوها إلى خارج المخيم، كانت وجهتهم "مستوطنة نتساريم".

رفع منع التجول وعاد الناس كل إلى بيته، لم تعد معهم الرفيقة عايشة ولا ابنها الرضيع ، في المستوطنة كان الجنود والمتدينون اليهود لا زالوا يحتفلون بعيد العرش، نزلت الرفيقة من الدبابة، الجنود لم يقطعوا طقوس عيدهم، هجمت عليها كلابهم المتوحشة، هم وكلابهم من طينة واحدة لا تعرف الرحمة، جُبلت على رائحة الدم والقتل والإجرام، بدأت الكلاب تمزق ملابس المسكينة وتنهش في جسدها، علا صراخها علّها تجد من ينقذها من هذه الكلاب المسعورة، الجنود ينظرون إليها ويواصلون الاحتفال، لم

---

(١) أحمد داوود خلف، الشهيد ابن الشهيد، ولد في مخيم البريج في أوائل أكتوبر ١٩٧١، اعتقل بسبب نشاطه في انتفاضة الحجارة، وحكم عليه بالسجن ١٥ شهراً، واستشهد في عملية غدر جبانة نفذتها فئة آثمة ومأجورة، بتاريخ ١٩٩١/١٠/٠٢(سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٢) فرن عبد السلام الحملاوي.

تأخذهم بها رحمة ولا شفقة، وهي ما زالت تحاول الإفلات من بطش كلابهم، اقترب منها أحد ضباط المخابرات الذي حضر معها وقال بسخرية المنتصر:

- "هُمّ الفدائيين بيخافوا من الكلاب . . ؟!"

فأجابته بنفس الطريقة التي تحدث بها:

- "آه طبعاً بنخاف من الكلاب، الكلاب اللي زيكم بنخاف منهم ، والكلاب زي ما انت شايف، مش بني آدمين كلاب صعرانة ومتوحشة".

اقتادها إلى غرفة تحقيق تحت الأرض لإرهابها، أو لربما ينتزع اعترافاً سريعاً منها، بدأ الضابط يستخدم معها ألاعيبه ودهاءه في التحقيق، وبدأ يسدي إليها بالنصائح كي تعترف لهم بكل شيء . .

- "الأحسن إنك تختصري علينا الطريق، عشان ما تدخلي في شوط طويل وعريض من التعذيب".

وبدأ يستحث أمومتها ويساومها على حياة ابنها، وأن اعترافها سيقابله ارجاع ابنها لها قبل أن يؤذيه أحد، وقبل أن يقتله الجنود، فهو " ابن داوود خلف كبير المخربين "، وقبل أن يكمل مسلسله المكشوف الذي لم ينطلي عليها، قالت له بأنفة المقاتل العنيد :

- "أنا فش عندي شيء اعترف عليه، انتو قتلتو أبوه، وهوة مش أحسن من أبوه، وإحنا كلنا فدا الوطن أنا وابني وزوجي" . .

لم تكن عايشة سهلة مثلما كان يعتقد، فاختصر حديثه معها بعد أن فشل في مساومتها أو في انتزاع اعترافاً منها، ثم أجرى اتصالاً، لترتيب نقلها لمكان آخر لاستكمال التحقيق هناك، وبالفعل تم نقلها من هناك إلى سجن غزة المركزي.

وفي السجن قضت أيامها الأولى في زنزانة معصوبة العينين، لم تر أحداً سوى أنها كانت تشعر بقدوم المحققين الذين كانوا يتناوبون على التحقيق معها، أحضروا لها في الزنزانة كرسي ثقيل مصنوع من الخشب ليس للجلوس عليه، بل لرفعه لأعلى طوال الوقت، إلى أن تخور قواها وتقدم اعترافاتها.

وفي اليوم الحادي والعشرين، لم تستطع أن تحمل الكرسي أو أن ترفعه لأعلى فرمته على الأرض، وجلست عليه، وانهارت في البكاء، صادف ذلك مرور إحدى

المجندات إلى زنزانتها لعدّ المعتقلين، فوجدتها تجلس على الكرسي، صرخت في وجهها والشرر يتطاير من عينيها، ودخلت إلى الزنزانة وهي ترفع الهراوة لتهوي بها على رأسها. .

-"ليش قاعدة ع الكرسي ، فزّي قومي وارفعي الكرسي لفوق !!"

المقاتلة التي يجب عليها أن تواجه أسوأ ظروف التحقيق، وأن تتصدى لبطش المحققين، وأن تفشل كل أساليبهم، هي ذاتها الزوجة التي فقدت زوجها منذ أسابيع، وهي الأم التي لا تعرف شيئاً عن مصير ابنها الرضيع، كل هذه التناقضات تجمعت في رأسها دفعة واحدة، فانهارت في البكاء، لم تستطع أن تهرب من أمومتها، قاومت قدر استطاعتها، إلا أن أمومتها كانت الأقوى . .

هجمت عليها المجندة وهي تصرخ بملء فيها، وترفع هراوتها في وجهها، وكانت المفاجأة أن الأم فتحت ذراعيها واحتضنت المجندة، وأطبقت عليها بذراعيها، وقالت لها:

-"إنت أُم، وأنا أُم، وإنت ست كبيرة، طبعاً لازم يكون عندك إولاد، بدي منك هالحاجة" . .

لم تكمل المجندة ما بدأت به، ولم تنهال عليها بالضرب، لكنها هدّأت من روعها، ربما لأنها اكتشفت نقطة ضعف السجينة، أو ربما تحركت فيها إنسانيتها، أو هي وخزة ضمير في لحظة تملكتها مشاعر الأمومة، فوضعت الهراوة جانباً، وراحت تستمع لطلباتها متظاهرة بالتعاطف معها . .

-"أخذوا ابني مني وعمره ١٤ يوم، وأنا إلي ٢١ يوم ما شفتوش، بعرفش عنه حاجة، إذا بدك تساعديني جيبيلي ابني، وأنا راح أعملك إللي بدك إياه ، بس جيبيلي ابني"

- "خلص، أمانة ما تبكي، أنا كنت جاية أضربك عشان إنتي صرختي في وجهي، وشتمتيني، لكن ما دام مشكلتك هيك، أنا راح أساعدك، هلقيت بدي أروح أسأل وين الولد ودّوه" .

شعرت المجندة بأن هذا التعاطف قد استحوذ على قلب المقاتلة العنيدة، فبادرت باحتضانها ووعدتها أن تساعدها، فربما هذه الطريق تكون أقرب لانتزاع اعتراف من هذه المقاتلة الأم، وبالفعل ذهبت تبحث عن الطفل داخل السجن، وبعد شوط من التحري،

عرفت أن طفل صغير يوجد داخل أحد الأقسام، فأخبرت الأم بذلك، ووعدتها بأن تواصل بحثها لتعرف من هو الطفل الموجود داخل السجن.

واصلت المجندة بحثها عن الطفل، وعرفت أخيراً أن الجنود قد أودعوه في قسم للأسيرات دون إدلائهم بأية معلومات حوله، وفور وصولها القسم سألت عن الولد، وعن اسمه، فتبين أنهن لا يعرفن أي شيء عن الطفل سوى أنه موجود بحوزتهن منذ ٢١ يوماً، "المدة التي قضتها الأسيرة في زنزانتها هي نفس المدة التي قضاها الطفل عند الأسيرات"، عرفت المجندة بأن الطفل الموجود مع الأسيرات هو ذاك الطفل الذي تبحث عنه، فأخبرت الأسيرات بأن الطفل اسمه أحمد، هكذا أخبرتها الأسيرة عايشة أثناء حديثها معها في الزنزانة.

لم تستطع الأسيرات إخفاء فرحتهن، وصِرن يُهللن ويُزغردن لأنهن عرفن لحظتها بأن الطفل الذي جاء إليهن منذ ٢١ يوماً، ولم يبخلن في الاعتناء به، هو أحمد ابن الشهيد داوود خلف.

عادت المجندة إلى زنزانة الأم عايشة، وأخبرتها بأنها وجدت ابنها، وبأنها لا تمانع في أن تراه، لكن بشرط أن تعيده إليها بعد نصف ساعة، وفي حال التزامها ستجعلها تراه بنفس الطريقة في المرات القادمة، وأخبرتها بأنها تتعاطف معها وأن إحضارها للطفل فيه مخالفة لقوانين السجن، لأنها ما تزال رهن التحقيق، وافقت الأم بسرعة، فلا خيار سوى الموافقة.

وبعد أقل من ساعة، جاء الطفل الذي بدأ بالصراخ بمجرد أن حملته أمه، فالنساء اللاتي كن يحملنه طوال الفترة الماضية هن أمه، أَما هذه فلا، علا صوت صراخ الطفل الذي لم يتقبل السيدة التي حملته، كانت ملابسها رثة وممزقة من فعل الكلاب، وصدرها يسيل منه الحليب.

الأم سيئة الحظ لم يعرفها ابنها، وهي تكاد لا تعرفه، فانهارت في البكاء، وعلا صراخهما، وحتى تتخلص المجندة من هذه اللحظة التي علا فيها صراخ الأم وابنها، سمحت لها بأن تخرج من الزنزانة وتستحم كي تستطيع أن ترضع ابنها، وأعطتها

"رضّاعة" فيها حليب لترضعه منها إن لم يُقبل على الرضاعة من صدرها، وبالفعل كان للأم ما أرادت واحتضنت ابنها وأرضعته، وأنِست به داخل زنزانتها.

بعد نصف ساعة حضرت المجندة ووقفت فوق رأسها، وطلبت منها أن تفي بوعدها وأن تسلمها الولد، رفضت الأم مجرد التفكير في إرجاع الولد، حاولت معها المجندة مرة وأخرى، إلا أن الأم أصرّت على بقاء أحمد معها، أحمد الرضيع أصغر أسير في التاريخ، فلم يشهد تاريخ الانسانية أبداً اعتقال طفل عمره أسبوعان، ربما شهدت السجون ولادة أطفال لأسيرات، أما كحالة أحمد فلا.

كان اعتقال أحمد سابقة لم يعرفها تاريخ البشر، اعترفت الأم بأنها أخلّت بالاتفاق، وبأنها لن تفرط في ابنها أبداً، واحتضنته وافترشت به الأرض، لتخفيه بين ضلوعها، أحست المجندة بالورطة التي وقعت فيها، وبدأت تحاول مع أم أحمد وتعدها بأنها إذا التزمت ستحضره لها ثانية، وتدخل رجال المخابرات وضغطوا عليها كي تترك رضيعها، وانهالوا عليها بالضرب، لكنها أصرت على عدم التفريط به.

مرة أخرى وعدتها المجندة بأن تبقي ابنها عندها في المرة القادمة، إن أعطتهم إياه هذه المرة، وظلت تعدها وتلح عليها إلى أن أعطتهم ابنها على أمل أن تفي المجندة بوعدها، التقطت المجندة الطفل لتعيده من حيث أتت به، أما الجنود فانهالوا عليها بالضرب، وتناوبوا على قمعها.

كان الأسرى المعتقلون في الزنازين المجاورة يرفعون من عزيمتها، ويتسابقون في نظم أبيات من الشعر للتغني ببطولات وصمود رفيقتهم المقاتلة، التي فقدت زوجها، ومنذ اعتقالها يحرمونها من ابنها، وما زال المحققون يمارسون معها أبشع أنواع التحقيق، وهي لا تلين لها قناة، ولسان حالها يقول: "الفرج قريب"، لم تعد الرفيقة عايشة الأم مكسورة الجناح، فكل الأسرى يتغنون بصمودها، محاولات رفاقها الأسرى رفعت بالفعل من معنوياتها وضاعفت إرادة الصمود لديها . .

تكرر هذا السيناريو مرات ومرات، تحقيق، وضرب، ووعودات، في المقابل جيرانها في الزنازين يغدقون عليها بعبارات البطولة والصمود، ويبعثون لها بالتحايا، ويشدون على أيديها، "فالنصر صبر ساعة"، تم نقلها إلى غرفة تحت الأرض، وكان قسم الأسيرات

أعلى الغرفة مباشرة، صارت تسمع صراخ ابنها كل ليلة، فيطير من عينها النوم، وتدخل في نوبة من الصراخ والعويل، حتى تخور قواها، ويهرب منها صوتها فلا تستطيع الصراخ.

استمرت على هذا الحال سبعة وعشرين يوماً، هي في جهة، وابنها أحمد في جهة أخرى، وبعد تدخل مستمر من المجندة المتعاطفة، استطاعت أن تنقلها إلى سجن الأسيرات لتقضي فيه يوماً مع ابنها واليوم الذي يليه تقضيه في زنزانة التحقيق، واستمر الحال على هذا النحو لمدة ستة شهور، ما بين التحقيق والضرب المبرح والإهانات، والذهاب للمستشفى والجلوس في قسم الأسيرات مع ابنها أحمد، وبعد انتهاء التحقيق وقعت الرفيقة في فخ الاعتقال الإداري الذي يتم تجديده مرة تلو الأخرى . .

– "أنا زوجة مطارد، من حقي أخدمه، وغصب عني راح أخدمه"

استمر مسلسل تمديد مدة الاعتقال الإداري إلى أن أمضت الرفيقة عايشة في السجن ثلاث سنوات ونصف، بعدها تم الإفراج عنها، وعن ابنها أحمد، الذي أمضى سنواته الأولى في السجون والزنازين، فجدران الزنزانة وبنادق الجنود وكلاب الحراسة والأسلاك الشائكة ومعاناة رفاقه الأسرى والأسيرات كانت الصور الأولى التي تفتحت عليها عيناه[١].

(١) في تسجيل مع الرفيق عايشة خلف .

الفصل الثالث

لا صوت يعلو

فوق صوت البندقية

الفصل الثالث

"حين صوّب مقاتلو الجبهة الشعبيّة أسلحتهم تجاه جحافل الأمن الصهيوني في مطار اللد، أو اقتادوا الطائرات تباعاً لتفجيرها في مطار الثورة، لم يكن ما يحدث هو محض عمليات عسكريّة استثنائية من حيث القدرة على التخطيط ومباغتة العدو والخصوم فحسب، بل بالأساس تغيير في تعريف ومعايير التمرّد على المنظومة الإمبرياليّة، وإعادة تعريف للفعل الثوري، وهو أمر لا يأتي من حسابات الميدان أو بقياس للقدرات العملياتيّة والتنفيذيّة، بل بالأساس من الرؤيّة التي حملتها الجبهة لكفاحها[١]".

(١) بوابة الهدف الإخبارية، وهي منصة إعلامية إلكترونية تصدر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

لا صوت يعلو فوق صوت البندقية

(العمليات العسكرية)

لا شك أن المخزون الهائل من العمل الفدائي في الفترة التي يتحدث عنها الكتاب يشكل ثروة من الإرث الكفاحي الذي يستحق أن يكتب، وأن يدرّس، وفي هذا الفصل سنسلط الضوء على ما استطعنا توثيقه من العمليات العسكرية، ونستطيع القول بأن هناك نوعين من العمليات العسكرية، عمليات عسكرية فردية، يقوم بتنفيذها شخص واحد، وأخرى عمليات جماعية، يشارك في تنفيذها العديد من المقاتلين، ويمكن تقسيم نشاط الفدائيين إلى عمليات خاطفة تقوم بها مجموعة صغيرة من الفدائيين، وهي حوادث كانت تقع يومياً، وعمليات أخرى أكثر اتساعاً، وتشارك فيها أكثر من مجموعة قتالية، أحياناً في الموقع نفسه، وأحياناً أخرى تضرب أكثر من موقع في الوقت نفسه.

كانت القيادة العسكرية للجبهة تعطي توجيهاتها للمقاتلين بتنفيذ عمليات، وتترك للمقاتل أن يختار بنفسه العمليات التي سينفذها بشرط أن يبلّغ مرجعه العسكري بمكان وزمان العملية، لم يكن التبليغ بالعملية كافياً لتنفيذها، بل كان المقاتل ينتظر موافقة قيادته شرطاً لتنفيذ العملية، وفي حال الموافقة فإنها تجهّز للمقاتل ما يحتاجه من عتاد وذخيرة للتنفيذ، لا يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل كانت القيادة العسكرية تكلّف أحد عناصرها لمتابعة تنفيذ العملية، وإعطاء معلومات عن تنفيذها، إضافة لما سيقدمه منفذ العملية.

من أبجديات العمل العسكري التي كانت تُدرّسها القيادة العسكرية لمقاتليها قبل تنفيذ العملية، "بعد أن تحدّد هدفك أمّن لنفسك طريق الانسحاب"، ويعتمد تحديد مكان وزمان العملية على عملية مراقبة ورصد يقوم بها الفدائي قبل التنفيذ، والحقيقة أن بعض عناصر الشرطة كان لهم دور مهم في إعطاء معلومات عن كمائن وتحركات دوريات العدو، وعن حملات التفتيش والدّهم التي كان ينفذها بين الفينة والأخرى، واعتمد الفدائيون على بعض الأهالي للقيام بهذه المهمة، وبناء على عملية الرصد والمراقبة المستمرة للهدف يتم تحديد طبيعة العملية وزمانها ومكانها وطريقة الانسحاب .. إلخ(١).

---

(١) في مقابلة مع الرفيق حسين أبو نار.

ومن أهم الدروس التي يتلقاها المقاتل من زملائه أو مسئوليه في العمل العسكري هي السرّية في العمل، حيث إنها أقوى سلاح يمتلكه المقاتل لمواجهة ظروف المطاردة والتخفّي والمحافظة على حياته وحياة رفاقه، ومن خلال إتقان العمل السري تستطيع الخلايا المقاتلة أن تحافظ على استمرارها في القيام بدورها في التصدي لقوات الاحتلال واستهداف مراكز تجمعاته وفي توجيه ضربات موجعة له ولعملائه، وإلحاق الخسائر الفادحة به وبمعداته.

في الحقيقة، لم نستطع توثيق كافة العمليات العسكرية التي تم تنفيذها في تلك الفترة، فالتوثيق يعني امتلاك معلومات دقيقة وكاملة عن العملية المراد توثيقها، ولأننا نتحدث عن تجربة تبعد عنا أكثر من نصف قرن من الزمان فقد واجهتنا أكثر من مشكلة في عملية التوثيق، منها رحيل معظم الأشخاص الذين نفذوا هذه العمليات، وضعف الذاكرة، وتبدد بعض المعلومات ونسيانها، خصوصاً تواريخ العمليات وأسماء من شاركوا فيها، والحالة الصحية لبعض الأشخاص الذين خاضوا التجربة، وإحجام البعض عن تقديم معلومات لخطورتها، وصعوبة تواصلنا مع بعض الأشخاص ممن هم خارج قطاع غزة برغم محاولتنا ذلك.

في بداية تجربة العمل الفدائي كانت غالبية العمليات فردية ومقتصرة على زرع ألغام للدوريات أو إلقاء القنابل على الطريق العام أو في أماكن أخرى، وبعد أن اشتد ساعد المقاتلين تحوّلت العمليات الفردية إلى عمليات مواجهة واشتباك مباشر مع العدو، وشهد هذا النوع من العمليات مشاركة جماعية من الفدائيين، واستخدام أسلحة متنوعة بخلاف القنابل والمسدسات وبنادق الكلاشنكوف مثل الآر بي جي والدكتريوف والقنابل الحارقة المضادة للدبابات، وسيأتي الكتاب على العديد من هذه العمليات التي رفعت رصيد المقاتلين في أوساط الجماهير، وما زال الأهالي يروون تفاصيلها إلى يومنا هذا، وما زالوا يذكرون الفدائي البطل الذي مرّغ أنف المحتلين في التراب، وكيف أن هذا البطل جعل الجندي المدجج بالسلاح يهرب من أرض المعركة، أو يتوسل لإبقائه على قيد الحياة.

وفي المنطقة الوسطى التي نخصها بالتوثيق، بدأت تتشكل أنوية الخلايا العسكرية بعد قدوم الرفيق عبد الرحمن قاسم إلى قطاع غزة في أوائل عام ١٩٦٨، ومن أبرز الفدائيين الذين تم تنظيمهم في تلك الفترة، الرفيق محمد مصلح أبو النصر، والرفيق محمد أبو اعتيق "شيبوب"، والرفيق محمد العرمي "الملقب بلال"، الذي كان ضابطاً في قوات الصاعقة، في جيش التحرير الفلسطيني، واجتاز دورات عسكرية متقدمة، لذلك تولى مسئولية الخلايا العسكرية في المنطقة الوسطى، وبقي المسئول العسكري فيها إلى أن تنحى عن هذه المهمة في يونيو ١٩٧٠.

تميّز الرفيق العرمي بتنفيذ العديد من العمليات الفردية النوعية منها نصب مصائد لجيبات العدو على طريق البحر، أثناء تحركها باتجاه المنطقة الوسطى، وبعض هذه المصائد عبارة عن شد سلك متين من الفولاذ مثبت من الطرفين بعرض الطريق وعلى ارتفاع بمحاذاة رأس الجندي الذي يقود الجيب العسكري، كانت الجيبات في تلك الفترة مكشوفة بدون زجاج أمامي، وعند قطعها للطريق تقع في كمين الحبل المعدني الحاد والمشدود من طرفيه، كالسكين المتأهبة لقطع رقبة الدجاجة، لا يستطيع الجنود اكتشاف هذه الفخاخ مهما حاولوا ذلك، فالسلك المشدود صعب رؤيته أو تفاديه أثناء حركة الدورية على الطريق، ويبدو أن هذه المصائد مستوحاة من التجربة الفيتنامية التي حوّلت الغابات والجبال إلى جنود تقاتل لصالح الثوار الفيتناميين، ولتفادي هذه المصائد وضع العدو عموداً قائماً في مقدمة الجيب ليقطع السلك قبل أن يقطع رقبة جنوده[١].

تولى الرفيق شيبوب مسئولية الجهاز العسكري في المنطقة الوسطى إلى جانب مسئوليته للجهاز العسكري في القطاع، واستمر في ذلك إلى أن تم اعتقاله في أغسطس ١٩٧٠، وبعد اعتقال شيبوب تولى الرفيق محمد فارس ياسين "الملقب أبو العز" مسئولية المنطقة الوسطى لفترة لا تتجاوز أربعة شهور، وفي أواخر عام ١٩٧٠، قررت قيادة الجبهة في الخارج سفر مجموعة من الرفاق، ومن ضمنهم الرفيق أبو العز، والرفيق محمد العرمي، فتولى مسئولية العمل العسكري في المنطقة الوسطى الرفيق داوود خلَف إلى أن تمت مطاردته في مارس ١٩٧١، أصبح بعدها نائباً لمسئول الجهاز العسكري في القطاع.

---

(١) في مقابلة مع الرفيق محمد أبو فريح.

في يناير ١٩٧١، خرج الرفيق علي القطاوي من السجن، وسرعان ما تولى مسئوليات عدة، منها تشكيل جهاز سياسي في مخيم المغازي، وفي مارس ١٩٧١، كلّفه الرفيق جيفارا بمسئولية الجهاز العسكري في المنطقة الوسطى، بعد أن أصبح الرفيق داوود خلّف نائباً له.

ورغم تواصل الهجمة الشرسة التي شنّتها قوات العدو ضد مقاتلي الجبهة الشعبية، إلا أنها تمكنت من استقطاب مقاتلين جدد، ونشطت في ملاحقة العملاء، وشكّلت محاكم لفض النزاعات بين الأهالي، بهدف تفويت أي فرصة لضباط المخابرات لابتزاز الأهالي وإيقاعهم في مستنقع العمالة.

وبعد اعتقال الرفيق علي القطاوي في يوليو عام ١٩٧١، واستشهاد الرفيقين داوود خلف، وسليمان العر في أواخر أكتوبر ١٩٧١، عانت تجربة العمل الفدائي في المنطقة الوسطى من ترهل وضعف بسبب ما تعرضت له من حملات ملاحقة واستهداف وتصفية، أدى ذلك إلى تراجع كبير في عدد العمليات التي نفذتها الجبهة الشعبية في تلك الفترة، وقد خسرت الجبهة الشعبية في المنطقة الوسطى العشرات من خيرة مقاتليها ما بين شهيد وأسير، وصار من الصعب تعويض هذه الخسارات، وتكوين خلايا عسكرية جديدة.

كان الأمر متفاوتاً في المناطق الأخرى من قطاع غزة من حيث القدرة على امتصاص الضربات ومواصلة بناء الخلايا العسكرية وتنظيم وتدريب مقاتلين جدد، والاستمرار في تنفيذ عمليات عسكرية، إلا أن تراجع قوة العمل الفدائي كانت السمة الأبرز في تلك الفترة.

يا كريم . . يا الله

في ١٥ إبريل ١٩٦٩، حضرت قوات من الجيش لاعتقال الرفيق صالح المجدلاوي أحد قيادات الحزب الشيوعي في المنطقة الوسطى ضمن حملة مداهمات لعدد من المطلوبين، إلا أن العدو لم يتمكن من اعتقال أي منهم[١]، تحركت في تلك الأثناء مجموعة من المقاتلين باتجاه منزل الرفيق خليل أبو زبيدة، قادمة من الغرب من جهة المقبرة، وهم الرفيق شيبوب، والرفيق أحمد عمران، والرفيق إبراهيم الشطلي، والرفيق منصور ثابت، وأثناء اقترابهم من المنزل، شاهدوا عن بعد تحركات غريبة بالقرب من دورة مياه وسط مخيم خمسة، غرب مقبرة المخيم، وهذه التحركات إما أن تكون لفدائيين أو كمين نصبه العدو في المكان، لأن حركة الجمهور تنقطع في الليل بسبب نشاط الفدائيين وبسبب منع التجول الذي كان يبدأ يومياً من الساعة السادسة مساءاً، تأهب الرفاق للتعامل مع المجموعة وقام أحدهم بمناداة مجموعة الملثمين بكلمة السر التي كان يتعامل بها مقاتلو الجبهة الملثمين فيما بينهم، وكانت كلمة السر في حينه "يا كريم"، فيرد الطرف الآخر "يا الله"[٢]، وكانت التعليمات في حالة عدم الرد على كلمة السر بالكلمة المطلوبة بإطلاق النار مباشرة باتجاه الطرف الآخر، في تلك الفترة كان قوات الجبهة تخبر عناصر فتح بكلمة السر، وكانت تطلب منهم أن يبلغوا عن تحركاتهم[٣]، وذلك تحسباً من حدوث أخطاء ينجم عنها اصطدام مجموعات الفدائيين بعضها ببعض.

كان العدو الذي يكمن في المكان قد اكتشف كلمة السر، لكن طريقة نطقها كانت بصوت ناعم ملفت وغريب، فاكتشف الرفاق مخطط العدو، وقد كان الرفيق منصور ثابت رغم صغر سنه سريع البديهة، حكيم التصرف، إذ طلب من الرفاق أن يأخذوا حذرهم بعد أن شعر بتحركات العدو، وفور أن سمع "يا الله"، كان أول من أطلق النار، مما أفشل

(١) على إثر اعتقال الرفيق رمضان العصار (أبو الفهد) أحد الأعضاء البارزين في الحزب الشيوعي الفلسطيني، الذي اعتقل قبلها بيوم.
(٢) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.
(٣) كانت مجموعات حركة فتح محدودة، وتحركاتهم قليلة نسبياً.

مخطط العدو، رغم معرفته بكلمة السر نتيجة عمليات الاعتقال التي كانت تستهدف الفدائيين باستمرار، وهناك دار اشتباك للحظات، أصيب فيه الرفيق شيبوب إصابة طفيفة، بعدها انسحب الرفاق من المكان، دون أن ينال منهم العدو[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

كمين العِمدان

تعتبر "عملية العمدان" أول عملية نوعية نفذتها مجموعة من فدائيي الجبهة الشعبية وهم الرفاق: عبد العزيز الميناوي، ومحمد أبو النصر، وفاروق المصري، ومحمد الطيب، ومحمد قنديل، وماهر إرحيم، وحسن سلمي، وموسى عاشور، وعبد العظيم خضر، وذلك في ٥ يونيو ١٩٦٩[١]، اختاروا هذا التاريخ الذي يصادف ذكرى الهزيمة الأليمة ليعرف العدو بأن احتلاله ليس قدراً مؤبداً، وبأن الثورة المندلعة في قطاع غزة، التي يقودها مقاتلو الجبهة قادرة على اقتلاع جذوره، وزرع بذور الأمل لتحقيق الانتصار والرد على الهزيمة، عرفت العملية في حينه باسم "عملية العمدان[٢]"، التي تميزت بأنها أول عملية يستخدم فيها مقاتلو الجبهة سلاح الأر بي جي[٣]، وعلى إثر هذه العملية فرض منع التجول على غزة لأيام.

كانت حركة الآليات والدوريات العسكرية كثيفة، في حين كانت حركة المواصلات المدنية تنقطع كلياً بعد الساعة الثامنة ليلاً[٤]، في ساعات الليل الأولى تمركز المقاتلون بقيادة الرفيق عبد العزيز الميناوي فوق ربوة مرتفعة ونصبوا عليها كمينهم.

تتميز منطقة العمدان بكثافة بيارات البرتقال على جانبيها، والتي كانت توفر غطاءً طبيعياً للفدائيين يساعدهم على الحركة والاختفاء بسهولة، ويحول دون مطاردتهم وتتبع آثارهم، لذا كان يفضل الفدائيون نصب كمائنهم على هذا الطريق.

---

(١) فيروز عرفة، كتاب فيروزيات نضالية، سامي الأخرس، ص ٦٦.

(٢) العمدان هي المدخل الجنوبي لمدينة غزة على الطريق العام (شارع صلاح الدين)، وهي منطقة ممتدة بمحاذاة الطريق العام من جامع صلاح الدين الأيوبي إلى وادي غزة .

(٣) تمكن أحد مقاتلي الجبهة من دخول موقع البوليس الحربي الذي يقع وسط قطاع غزة أثناء حزب حزيران ١٩٦٧، بعد سقوطه في قبضة الاحتلال، وهروب عناصر الجيش المصري منه بسبب الهزيمة، فوجد بداخله ثلاثة شهداء من الجنود المصريين آنذاك، أحدهم يحمل أر بي جي، وأخذ من الموقع بندقية قنص إنجليزية وخمس بنادق كلاشنكوف، وقاذف آر بي جي، وسلّمها للتنظيم، وكان أول استخدام له في عملية العمدان.

(٤) كان العدو الصهيوني يفرض منع التجول يومياً من الساعة السادسة مساءاً حتى الساعة السادسة صباح اليوم التالي.

وعند مرور دورية للعدو مؤلفة من آليتين تتقدمهما مصفحة "نصف جنزير" قادمة من الجهة الشمالية، تأهب الفرسان للمواجهة فأمطروها بنيران رشاشاتهم وقنابلهم، اثنان من الفدائيين انشغلا بتدمير المصفحة، وثلاثة آخرون تصدوا لتدمير الآليتين، فيما أسندت مهمة الإسناد وتغطية الانسحاب للرفيق حامل الديكتريوف، وبعد دقائق من بدء العملية استطاع مغاوير الجبهة حسم المعركة لصالحهم، وبعد الإجهاز على أفراد الدورية بالكامل وتدمير آلياتهم واشتعال النار فيها، انسحب الرفاق الأبطال بسلام قبل وصول تعزيزات العدو إلى المكان، وقد اعترف العدو فيما بعد بمقتل ثلاثة من جنوده وإصابة خمسة آخرين، لكن حقيقة ما تكبده من خسائر كانت تفوق ذلك بكثير[١].

وكالعادة فقد فرض العدو منع التجول في المنطقة، وقام بحملات تفتيش مصحوبة بعمليات انتقام وتنكيل واعتقال للسكان العزل الذين امتلأت قلوبهم بمشاعر الإعجاب والتقدير لبطولات وإقدام مقاتلي الجبهة والذي دفعهم دائماً لاستقبال الفدائيين والترحاب بهم واحتضانهم وتقديم المساعدة لهم، ليس هذا فحسب بل كانت المخيمات الرحم الدائم للثورة فكلما تضاعفت ضربات الفدائيين، اندفع الشباب الواعد وبأعداد كبيرة للالتحاق بصفوف قوات المقاومة.

وعلى هذا الشريط الممتد من الطريق الرئيسي "شارع صلاح الدين" في منطقة العمدان، نفذ مقاتلو الجبهة ومغاويرها في تلك الفترة سلسلة من العمليات الجريئة التي كان يطلق عليها "عمليات العمدان".

---

(١) في مقابلة مع الرفيق سلامة السعيدني، وأكد المعلومات رفاق آخرين.

مزلقان السكة الحديد شاهد على البطولة

نفذت الجبهة العديد من العمليات النوعية في يونيو ١٩٦٩، فبعد أقل من أسبوعين على تنفيذ عملية العمدان، وعلى مقربة من مكان عملية العمدان، نفذ فرسان الجبهة، الرفاق: محمد أبو النصر، وسليمان القطشان، وحسن سلمي، ومحمد قنديل، وموسى عاشور، وماهر إرحيم، عملية أخرى بالقرب من حي الزيتون، عرفت باسم عملية المزلقان[١]، تقدم الرفاق في هذه المعركة الرفيق محمد أبو النصر، وفي تلك الليلة نصب الرفاق كميناً للدورية العاملة على الطريق الرئيسي، وفي جو مغبر وبعد طول انتظار كان هدفهم هذه المرة سيارة مجنزرة، فما أن أصبحت أمامهم مباشرة حتى استهدفها أحد الرفاق بقذيفة آر بي جي، تسببت في إعطاب جنزيرها، ثم ألقى الرفاق قنابلهم باتجاهها، وأمطروها بنيران رشاشاتهم، لم يتمكن الفدائيون من تدمير المجنزرة بالكامل، انسحب الرفاق من مكان المعركة تحت ضربات رشاش الديكتريوف لتأمين الانسحاب، أعلن العدو عن مقتل أحد جنوده وإصابة اثنين آخرين، وقامت قواته بحملة تفتيش واسعة، وداهمت المنازل المحاذية لمنطقة الهجوم، واحتجزوا الرجال وانهالوا عليهم بالضرب وأخضعوهم للتحقيق، ثم قاموا بنسف ثلاثة منازل تحت ذريعة أن سكانها تستروا على الفدائيين[٢].

(١) تقاطع خط سكة الحديد مع الطريق الرئيسي (جنوب سوق السيارات القديم).

(٢) في مقابلة مع الرفيق نمر أبو جياب.

الشهيد الأول

وفـي ٥ أغسـطس ١٩٦٩، قـدمت الجبهـة أول شـهيد لهـا فـي قطـاع غـزة، وهـو الاستشهادي البطل مهدي نوفل[1]، ركب سيارته متجهاً إلى مدينة غزة، وكان هدفه في مطعم/ استراحة لضباط المخابرات والجنود الصهاينة أمام مقر الحاكم العسكري في مدينة غزة "سجن عزة المركزي".

وفي ظهر ذلك اليوم اقتحم الرفيق مهدي المطعم وألقى بداخله قنبلتين أدت إلى مقتل وإصابة جميع ضباط وجنود العدو المتواجدين فيه، وبكل أعصاب هادئة بقي في المكان ينتظر قدوم نجدات العدو، وفور حضورها ألقى بالقنبلة المتبقية لديه على إحدى السيارات، ثم انسحب راكضاً باتجاه سينما عامر القريبة من المكان، بدأ العدو بملاحقة الرفيق مهدي لحظة انسحابه وبدأ بإطلاق النار عليه، ققفز الرفيق مهدي إلى سور إحدى البنايات القريبة فأصابته رصاصة غادرة أسقطته عن السور، همّ بالنهوض لكنه لم يستطع، فأخذ يزحف إلى أن وصل شجرة زيتون في حديقة المنزل على مسافة أمتار من السور ثم استلقى على ظهره ورفع رأسه شاهراً مسدسه باتجاه المكان الذي قدم منه، وبدأ يطلق النار على كل من اعتلى السور، وفي معركة غير متكافئة استشهد الرفيق مهدي بعد أن أوقع خسائر فادحة في صفوف العدو، اعترفت إذاعة العدو بمقتل ستة من جنوده وإصابة ثمانية آخرين، وفي اليوم التالي شيع جثمان الشهيد مهدي في مراسم ضيقة للغاية بحضور الحاكم العسكري للقطاع "مردخاي غور"، وعندما أنزلوا جثمان الشهيد على الأرض رفع الحاكم الصهيوني قبعته وانحنى أمامه، كان استشهاداً أسطورياً لأول شهيد للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في قطاع غزة، أول شهيد تَقدّم قافلة الشهداء وفتح لهم بوابة الخلود[2].

---

(١) ولد في قرية حليقات في عام ١٩٤٨، هجرت عائلته قسراً من قرية حليقات إلى مخيم البريج في نكبة ١٩٤٨، يعتبر الشهيد الأول للجبهة الشعبية في قطاع غزة (سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٢) سجل الخالدين، محافظة الوسطى، ص ٦١.

تصفية الكولونيل ديفيد

(وكر الأفعى، كل من يدخله يلدغ)

من العمليات الفردية التي نفذها الرفيق غازي أبو جياب[١]، تصفية الصهيوني (شلومو ليفي) الجنرال في الجيش، ومهندس الأشغال العامة في قطاع غزة، الذي يشرف على إنشاء الجسر المقام على طريق البحر المحاذي لمنطقة النصيرات، نفذت العملية في يونيو ١٩٦٩، وعرفت حينئذٍ بـ "عملية المهندس"، والتي تسببت في وقف العمل على انشاء الجسر الذي يهدف إلى تسهيل حركة الدوريات على طريق البحر، حصلت الجبهة على هويته وبعض الأوراق والشيكات البنكية ورخصة القيادة أثناء تنفيذ العملية، وتم تسليمها لقيادة التنظيم[٢].

في اليوم التالي لاستشهاد الرفيق مهدي نوفل، في ٦ أغسطس ١٩٦٩، نفذ الرفيق غازي عملية جريئة أخرى، فأخذ معه قنبلتين ومسدساً وتوجه إلى مدينة غزة، وفي موقف السيارات القديم في الشجاعية، فور نزوله من السيارة شاهد حافلة لنقل الجنود الصهاينة وبالقرب منها يكتظ عشرات الجنود الذين تجمعوا في المكان بانتظار نقلهم إلى جبهة قناة السويس، توجه الجنود نحو أحد باعة المشروبات الغازية ليطفئوا خوفهم من ضربات المقاومة، اتخذ الرفيق قراره بالهجوم واقترب من المكان الممتلئ بالجنود وألقى قنبلته الأولى ثم ألقى الثانية، لتتطاير مع انفجارهما أشلاؤهم، وبعدها سارع الرفيق بالانسحاب من المكان، وركب في أول سيارة صادفته هناك، وطلب من سائقها الابتعاد عن مكان العملية.

قتل وأصيب في هذه العملية أكثر من عشرين جندياً وضابطاً كان على رأسهم كولونيل صهيوني اسمه "ديفيد"، وقد أطلقت سلطات الاحتلال اسمه على الساحة التي قتل فيها، فأصبح من بعدها يطلق على موقف السيارات في الشجاعية المحاذي لشارع صلاح

---

(١) أحد مقاتلي الجبهة الشعبية آنذاك.

(٢) في مقابلة مع الرفيق سلامة السعيدني.

الدين مدينة غزة بـ "ساحة ديفيد"، وبعد هذه العملية أطلق جنود الاحتلال على قطاع غزة اسم "وكر الأفعى، كل من يدخله يلدغ".

وعلى إثر تنفيذ العملية الجريئة والمفاجئة، وبعد الخسارة الكبيرة التي منيت بها بمقتل شخصية رفيعة في الجيش، ولشدة خوفها من تجرؤ أحد المقاتلين لتنفيذ عملية أخرى مشابهة، خصوصاً وأن منفذ العملية قد نفذ عمليته واقتنص فرصة التأهب والهجوم على تجمعات الجنود دون أن يشعر بحركته أحد، قامت قوات العدو بنقل موقف السيارات بالكامل إلى منطقة عسقولة وهي مكان بعيد عن تجمع الجنود التي كانت تتجمع هناك للتحرك إلى سيناء.

يقول الرفيق أبو حافظ عزيزة عن هذه العملية، أنها كانت من أجرأ العمليات التي نفذتها الجبهة الشعبية في ذلك الوقت، وأضاف بأن أسرة ديفيد كانت تحضر سنوياً إلى المكان الذي قتل فيه، وتقوم ببعض الطقوس هناك إحياءً لذكرى وفاته[١].

(١) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة.

مش "الزريعي" إلّلي يسلّم نفسه

في ٨ أغسطس ١٩٦٩[١]، نجح الرفيق المطارد حسن الزريعي في تنفيذ واحدة من أجرأ العمليات الفردية التي نفدها في ذلك الوقت، كان يمر من شارع السكة الترابي المحاذي لخط صلاح الدين، على مسافة أمتار شمال مدخل دير البلح، كان ضابط المخابرات "شكرون" في ذلك الوقت يتفحص الطريق شرقاً وغرباً أثناء حركته البطيئة في جيب عسكري على الخط العام، لمحه "شكرون" فأوقف الجيب ونادى عليه، اعتقد "شكرون" أنه اصطاد صيداً ثميناً هذه المرة، أحد أخطر المخربين في مكان مكشوف وتحت مرمى النيران، فريسة وقعت في الشباك !!، نادى عليه: " تعال يا زريعي" !!.

ظن "شكرون" أنه استطاع اعتقال الرجل، وأنه لا يملك إلا أن يستسلم وأن يرفع يديه، فلو هرب سيطلق عليه النار، ولو رفع سلاحه سيصرعه الجنود قبل أن يلتقط مسدسه، ترى ماذا يفعل أحدنا لو وقع في هذا الفخ ؟!.

- "مش الزريعي اللي يسلم حاله"، كان هذا قراره الحاسم في تلك اللحظات العصيبة.

هجم عليهم شاهراً سلاحه[٢]، وبدأ بإطلاق النار باتجاه الجيب، لم يتصور الجنود ولم يخطر ببالهم هذا الرد الجريء، فاختبأوا خلف الجيب واحتموا به ومعهم "شكرون"، قطع الرفيق الزريعي الطريق وهو يطلق النار باتجاههم، وتمكن من الهرب متجهاً إلى الغرب، وما أن رفع الجنود رؤوسهم، كان رفيقنا قد لاذ بالفرار واختفى عن أبصارهم، بدأت رحلة البحث عن الزريعي، الذي كان قبل لحظات بين أيديهم، ولولا خوفهم من جحيم المواجهة لما استطاع المطارد الشجاع الافلات من بين أيديهم، وداهموا البيارة التي اختفي بداخلها "المخرب الهارب"، كان الحاج أبو حسني[٣] داخل بيارته يتفقد أحوالها، ويراقب ري الأشجار، سألوه: "شفت حدا دخل من هون ؟".

(١) تم التأكد من تاريخ العملية عن طريق شاهد ضريح الشهيد أبو حسني العزايزة.

(٢) مسدس بلغاري بمخزنين وطلقاته عيار ٧.

(٣) الحج إبراهيم خليل العزايزة (أبو حسني).

- "ولا حدا يا خواجة".

لم يكن يعلم بشيء، ولم يمر أحد من أمامه، أجابهم بالصدق، كان قد سمع إطلاق الرصاص منذ دقائق، إلا أنه لم ير أحداً، "ولا حدا يا خواجة" كانت تلك هذه آخر كلمات ينطق بها الحاج أبو حسني.

أشار ضابط المخابرات لأحد الجنود بقتله، فأرداه قتيلاً . . ، واستشهد الحاج أبو حسني، مع أنها توفرت لهم قبل لحظات فرصة تصفية المطارد الذي دوّخ جنودهم ومرغ أنوفهم في التراب، فصبوا جام غضبهم على هذا الرجل الذي كان يفلح أرضه، ويسقي أشجارها، ويقلّم أغصانها[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق محمد معالي ابو سمرة.

تصفية الحاكم العسكري للمنطقة الوسطى الكابتن "أبو النور"

في أغسطس ١٩٦٩، وبعد مقتل الكولونيل ديفيد تمكن مغاوير الجبهة في عملية معقدة سجلت فيها الجبهة الشعبية انتصاراً كبيراً على جهاز مخابرات العدو بعد أن تمكنت من استدراج واحد من أخطر ضباط المخابرات الذين جاءوا إلى قطاع غزة إلى فخ محكم نصبه مقاتلوها وتم تصفيته والتخلص منه، كان القائد العسكري للمنطقة الوسطى الجنرال الملقب بـ الكابتن "أبو النور" والمعروف بغطرسته وإجرامه ونذالته لا يتوانى عن ارتكاب أبشع وأحط الأعمال القذرة والوحشية بحق الأهالي العزل في مخيمات المنطقة الوسطى، وقد أطلق عليه الرفاق لقب "عزرائيل"، قبل مجيئه إلى قطاع غزة عمل حاكماً عسكرياً في منطقة الخليل، وكان يرفض أن تصاحبه دورية حراسة من قوات العدو، ويقود سيارته بنفسه مع أحد مرافقيه، شغله الشاغل توريط الشباب وإسقاطهم في مستنقع العمالة، لزرع عملاء له في كافة العائلات والعشائر (١).

بدأت عملية الاستدراج بعد أن التقى "أبو النور" بأحد الشباب من مخيم المغازي محاولاً اصطياده وإيقاعه في مستنقع العمالة، كان الهدف هذه المرة سلامة العروقي، الطالب في الثانوية العامة، فطلبه للمقابلة في مكتبه الواقع في مركز دير البلح، وفي المقابلة أخذ يمازح الشاب سلامة ويكسر حاجز القلق لديه، ومن ثم بدأ يساومه ويعرض عليه التعاون مع المخابرات وتقديم معلومات عن تحركات الفدائيين وأماكن اختبائهم، كانت هذه هي المرة الأولى التي يجلس فيها الشاب الصغير سلامة مع رجل مخابرات متمرس وداهية، وصاحب باع طويل في مجال الإسقاط وبناء شبكات من العملاء وإدارة أنشطتها، بعكس سلامة الشاب الصغير الذي كان مرتبكاً ومتلعثماً، وكلماته القليلة بالكاد تخرج من حلقه.

– كيف سأواجه جبروت هذا الرجل المجرم !!.

---

(١) في مقابلة مع الرفيق يونس أبو قاسم.

لاحظ أبو النور الحالة النفسية الصعبة التي كان عليها سلامة، فاشتعلت بداخله شهوة الافتراس، كما تنامى الأمل بتحقيق مآربه وأخذ يشدد من ضغطه، ثم أعطاه مدة أسبوع ، ليفكر فيها ويعطيه الجواب[١].

أحس العروقي بأن مجرد المهادنة مع هذا المجرم تعتبر جريمة بحق نفسه وبحق أبيه الشهيد[٢]، وبحق وطنه، وبحق كل ذرة تراب مجبولة بدماء الشهداء، وما أن رجع إلى المخيم حتى سارع إلى أحد أصدقائه ليطلعه على ما حدث معه، وأنه لم يجرؤ على التملص من ضابط المخابرات، وأنه يشعر بالقلق من التورط معه إن لم يجد أحداً يساعده.

رتّب له صديقه لقاءً مع أحد مطاردي الجبهة الشعبية، الرفيق سلامة السعيدني، والتقى به في "بيارة قرقش" الواقعة خلف "سينما السامر" في مدينة غزة، وهناك استمع إليه وطمأنه بعد أن تأكد من صحة روايته وصدقه، ثم قام بتسليمه للرفيق محمد أبو النصر، وتم الاتفاق معه على أن يعطي ضابط المخابرات موافقة للتعاون معه، وأن يستمر في علاقته مع "أبو النور"، إلى أن تأتيه أوامر أخرى[٣].

درست القيادة العسكرية وضع العروقي ومدى إمكانية الاستفادة منه في تضليل ضابط المخابرات "أبو النور" وتقديم معلومات مغلوطة عن الفدائيين وعن تحركاتهم، ليكون مكشوفاً بألاعيبه وخططه للفدائيين لا العكس.

تباينت وجهات نظر القيادة العسكرية في التعامل مع ملف "أبو النور"، فكان رأي الرفيق محمد أبو النصر الاستمرار في تضليل المخابرات من خلال الرفيق سلامة، وتغذيته بمعلومات مغلوطة، بينما كان رأي الرفيق جلال حافظ عزيزة أن يخططوا لقتله والتخلص منه، لأن الفدائيين مهما بلغت قوتهم، فإنهم لن يستطيعوا مجاراة ضباط المخابرات والتغلب عليهم، وأخيراً استقر رأي القيادة على استدراج الكابتن "أبو النور" وقتله، وتخليص الناس من شره.

---

(١) في مقابلة مع الرفيق محمد معالي أبو سمرة.

(٢) قتله العدو الصهيوني عام ١٩٥٦، ضمن الهجمات التي نفذها على قطاع غزة أثناء العدوان الثلاثي.

(٣) في مقابلة مع الرفيق سلامة السعيدني.

وبالفعل بدأ التخطيط على أعلى المستويات لاستدراج وتصفية هذا المجرم، وتم تدريب العروقي على استخدام السلاح، واتفقت القيادة العسكرية مع العروقي على أن يلتقي مع "أبو النور" ويقدم له معلومات طعماً لتسهيل استدراجه، كان العروقي يلتقي مع أبو النور قبالة بيارة المصدّر بالقرب من مدخل مخيم المغازي، وكانت الإشارة بينهما أن يحمل العروقي في يده جريدة وينتظر قدوم سيارة الكابتن "أبو النور"، وعند اقترابها منه ينقل الجريدة من يده اليمين ليده الأخرى، في إشارة منه بأن لديه معلومات يريد أن يبلغها للمخابرات !.

وبالفعل نجح الرفيق سلامة العروقي في استدراج "أبو النور" إلى كمين محكم نصبه مغاوير الجبهة على الطريق العام، شمال مزلقان البريج، هناك سيلتقي مع هذا المجرم، وبالفعل وصلت السيارة التي كان يقودها "أبو النور" بنفسه قادمة من جهة الجنوب للالتقاء بالعروقي الذي يقف في الجهة الشرقية من الشارع، ويحمل هذه المرة كتاباً سميكاً تم حفر تجويف بداخله لإخفاء المسدس[١] الذي سيقتل به الكابتن "أبو النور"، تموضع جيداً ونقل الكتاب من يدٍ لأخرى واستعد لينقل أبو النور إلى الجحيم.

وقفت السيارة أمامه، بدأ "أبو النور" بالتحدث إليه طالباً منه إخباره بالمعلومات التي بحوزته، ولم يكن في جعبة العروقي سوى رصاصات قاتلة، وبحركة سريعة ومباغتة، أطلق النار باتجاه "أبو النور" ومن معه من مسافة الصفر، ثم انسحب من المكان قبل أن يلمحه أحد.

في الجهة المقابلة من الشارع اختبأ عدد من الرفاق خلف سياج البيارة، يراقبون المشهد عن كثب، وفي الوقت المناسب ألقوا قنبلة وزخّة من الرصاص باتجاه السيارة حتى يجهزوا على "أبو النور" ومرافقيه، كانت الأوامر لعناصر مجموعة الإسناد أن يقوموا بتصفية العروقي، إذا تبين لهم عدم جديته، وامتناعه عن تصفية "أبو النور"[٢].

حضرت إلى المكان طائرة عمودية لإسعاف المصابين ونقلهم إلى المستشفى، وقبل أن يلفظ "أبو النور" أنفاسه الأخيرة أفاد باسم منفذ العملية . .

---

(١) المسدس الشخصي للرفيق محمد العرمي بحسب إفادة الرفيق محمد معالي أبو سمرة.

(٢) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة.

- المخبر سلامة العروقي أطلق النار . .

لكن طلقات الشاب العروقي أطفأت عيني "أبو النور"، وأرسلته إلى مهاوي الجحيم[١].

وبعدما انكشف أمر الرفيق سلامة بدأ العدو بمطاردته، اختبأ الرفيق العروقي في "حاووز المياه" شرق المغازي، ورغم أن قوات غفيرة من الجيش فرضت الطوق على مخيم المغازي بحثاً عنه إلا أنه لم يخطر ببال أحد أن الرفيق سلامة مختبئ في حاووز المياه، بعد يومين رُفع منع التجول وعادت الحركة إلى طبيعتها، وعلم الرفاق الذين أقلقهم اختفاء العروقي أنه مختبئ في حاووز المياه، فذهبوا إليه، وأخرجوه من هناك[٢].

وعن محاكمة الرفاق المتهمين بتصفية "أبو النور"، أخبرنا الرفيق سلامة السعيدني بأن القاضي الصهيوني طلب من مرافق "أبو النور" الذي أصيب بطلقة في رأسه أثناء الهجوم، وبقي على قيد الحياة، التعرف إلى الشخص الذي أطلق عليه النار، خمسة رفاق يقفون أمامه، أولهم الرفيق غازي أبو جياب، الذي وصفه القاضي بالسمكة الكبيرة، وخامسهم الرفيق سلامة السعيدني الذي وصفه القاضي بالسمكة الصغيرة، لأنه متهم بشكل غير مباشر بقتل الحاكم العسكري، ويقف بجوارهم شخص مترجم يتلو أمامهم لائحة الاتهام، وفي المقابل تواجد المحامي الفلسطيني أبو ماجد النجار للدفاع عنهم الذي اشتهر بدفاعه عن فدائيي الجبهة الشعبية بدوافع وطنية خالصة دون أي مقابل مادي، إلا أن المرافق المصاب لم يتعرف إلى أحد لأنه كان منكفئاً داخل السيارة غارقاً في دمه بعد إصابته بعيار ناري في رأسه[٣].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق محمد معالي أبو سمرة.

(٢) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة.

(٣) في مقابلة مع الرفيق سلامة السعيدني.

زياد الحسيني وفَخ العملاء

استطاع ضباط المخابرات الصهيونية تحقيق اختراقات ونجاحات في تجنيد بعض العملاء لتنفيذ بعض الجرائم المشينة وإلصاقها بالفدائيين بهدف إحداث شرخ بين الجماهير وقواها الثورية، كما استطاعوا كشف بعض الخلايا العسكرية للعدو مما اضطر أعضاؤها للمطاردة بعد تعرضهم لخطر الاعتقال أو الموت، مما استدعى من فصائل الثورة اتخاذ كافة الوسائل الوقائية لدرء مخاطر هؤلاء وتحصين التشكيلات العسكرية من خطر الانقضاض على الثورة، أو النيل من طليعتها المقاتلة.

وفي أغسطس عام ١٩٦٩، تم الترتيب لعملية مشتركة بين الجبهة الشعبية وقوات التحرير التي يقودها المناضل زياد الحسيني، والذي كانت تربطه علاقة متميزة مع الرفيق سلامة السعيدني، وقد نشطت مجموعاته في الشمال، وكان يستعين برفاق من الجبهة الشعبية لتدريب عناصر تابعة لمجموعاته.

لم تكن العملية بحاجة للعنصر البشري، ويكفي لتنفيذها عدد قليل من المقاتلين، وهي عبارة عن قصف نقطة "بيت حانون" العسكرية(١) وتدميرها بالصواريخ، دون الحاجة لاقتحامها، خطط الرفيق السعيدني للعملية، وذهب إلى مكان تنفيذها متنكراً، ويحمل على ظهره كيساً يجمع فيه بعض العشب، وقام بتقدير مسافاتها، وتحديد أماكن نصب الصواريخ، وشارك معه رفيقه محمد الطيب، وهما من عناصر الدوريات، وبسبب كثرة احتكاك الحسيني بمقاتلي الجبهة الشعبية علم بالعملية، وأشعر الرفاق برغبته الشديدة بالمشاركة فيها، وبعد موافقة التنظيم على ذلك، انتدب ثلاثة من عناصره من بينهم شاب يدعى أبو علي، وبعد الجولة الاستكشافية التي قام بها الرفيق السعيدني بالقرب من الهدف، اجتمعت المجموعة المشتركة واستعدت لنصب الصواريخ على ربوة مرتفعة، غرب بلدة بيت حانون، تفاجأ الجميع من تصرف "أبو علي" الذي تركهم وهرب من المكان !.

---

(١) نقطة عسكرية للجنود الصهاينة عند المدخل الشمالي للقطاع، كانت مفتوحة فقط لقوات الطوارئ الدولية ، تحولت فيما بعد لمعبر لنقل الأفراد.

لم يستوعب الرفيق السعيدني أمر انسحاب شريكهم "أبو علي" من مكان تنفيذ العملية، ولم يعط أفراد مجموعته سبباً مقنعاً لانسحابه، فتوجه مباشرة هو ورفيقه الطيب إلى الحسيني ليسألاه عن سبب هروب "أبو علي" وقت تنفيذ العملية، وعندما وصلا إليه وجداه يستشيط غضباً، ويتحلّق حوله عدد كبير من الأفراد، وإلى جانبه "أبو علي" الذي ادّعى كذباً بأن الرفيق السعيدني ومن معه من رفاق الجبهة في بيت حانون قد ألقوا القبض على عناصره، واحتجزوهم، وهم الآن معتقلون لدى الجبهة الشعبية.

كان الحسيني يهتم بنشر عناصر من قواته لحفظ الأمن ومتابعة كل شاردة وواردة تمر في محيط الأماكن التي يكون فيها، وكانت هذه العناصر تنقله من مكان لمكان وتبلغه سلفاً بأية تحركات قريبة من المكان الموجود فيه، وقد بدا ذلك واضحاً عند ذهاب الرفيقين للقائه، كان الجو مشحوناً للغاية والجميع متأهبٌ لتنفيذ أمر ما.

فور وصول الرفيق السعيدني إلى جمعهم المستنفر بادرهم بالسلام، فكان رد الحسيني عليه:

- "لا سلام ، ولا غيره، إنت إيش اللي عامله يخو !!".
- "أنا إيش اللي عامله !!" باستنكار واستغراب شديدين.
- "إنت بتتجرأ يخو اتربّط إولادنا ، وتوخذ السلاح منهم !!".
- "كيف بدي أربّط إولادك، ولأي جهة بدي أربّط إولادك !!، إحنا الجبهة الشعبية وما بنعمل هيك، كيف بدنا انربّط إولادكو وإحنا في تعاون عسكري بيننا . ."، وواصل حديثه، وأشار بيده إلى "أبو علي": "هيو إسأله ليش هرب من عنا وإحنا بننقل في الصواريخ فوق ع التلة ...".

وقبل أن يكمل حديثه، وقف أبو علي بعد أن انفضح أمره، وانكشف ملعوبه، وهرب من المكان، حاول الحسيني أن يوقفه وصرخ عليه بأعلى صوته، وهدده بإطلاق النار عليه، إلا أنه لاذ بالفرار، بعدها رجع الحسيني إلى رشده، وهدأت سريرته، ثم انهمرت دموعه باكياً . .

- "أنا كنت بدي أقتلك !!".

– "على إيش . . !!، إهدا، إهدا يا زلمة، هيّ سايبة الدنيا، والله أنا رأفان بحالتك، كان بدّو يوقّعنا في شره هذا الزلمة، بدّو إيانا انصفّي بعضنا".

وبعد فترة من البحث عن أبو علي، تمكنت قوات التحرير من إلقاء القبض عليه، وقامت بإعدامه بعد أن ثبت لهم تخابره مع العدو، وأخفى الحسيني جثته، وإلى اليوم لا يعرف أحد مكانها[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق سلامة السعيدني.

عملية العبادلة

في شهر أغسطس عام ١٩٦٩، نفذ مقاتلو الجبهة واحدة من أهم وأجرأ العمليات العسكرية في تلك الفترة، حيث شارك في تنفيذها عدد كبير من المقاتلين وهم: محمد أبو النصر، وجلال حافظ عزيزة، ومحمد العرمي، ومحمود عليان(١)، وحسن الزريعي، وعبد الله السميري، وسلامة العروقي، وسليمان القطشان، وعبد الله حسين(٢)، وحلمي البلتاجي، وعامر زيدان، وكانت العملية وقت الظهيرة، في وضح النهار، وتستهدف ضرب باص عسكري ينقل مجموعة من الجنود الصهاينة أثناء عودتهم من جبهة القتال المندلعة في السويس إلى قطاع غزة.

اعتمدت العملية على دقة الرصد والاستطلاع، وتتبع لحركة الباص وخط سيره، إلى أن اختار المقاتلون أن تتم عملية استهدافه عند "العبادلة"، على الخط العام بالقرب من منطقة "محفوظة" جنوب دير البلح، هناك سيتم ضرب الباص والإجهاز على الجنود بداخله(٣)، المنطقة خالية من السكان، وهذه المسألة مهمة ضمن حسابات اختيار المكان المناسب لتنفيذ العملية خصوصاً أن الاشتباك مع الجنود لن يلحق الضرر أو الأذى بأحد السكان أو المارة، الطريق محاطة بالبيارات على جانبي الطريق، وهذا يؤمن فرصة كبيرة

---

(١) ولد في قرية عراق سويدان في عام ١٩٤٠، هجرت عائلته قسراً مخيم البريج في نكبة ١٩٤٨، يعتبر من الكفاءات العسكرية العالية، التحق بجيش التحرير الفلسطيني، والتحق بدورة صاعقة في مدرسة انشاص بمصر لمدة ٦ شهور، والتحق بدورات أخرى ليستكمل معارفه العسكرية، عاد إلى قطاع غزة بعد أن حصل على لم الشمل وسكن في مخيم البريج، وتسلم قيادة مجموعة من الفدائيين في المنطقة الوسطى، واستشهد بتاريخ ١٩٧٠/٠٤/١٨ مع جميع أفراد مجموعته خلال مواجهة عنيفة مع قوات الاحتلال في مخيم المغازي (المصدر السابق).

(٢) ولد في قرية بيت طيما بتاريخ ١٩٤٥/٥/٢٥، نزح مع أسرته إلى قطاع غزة في نكبة ١٩٤٨، التحق بصفوف الجبهة الشعبية في عام ١٩٦٨، وانخرط في خلاياها العسكرية، استشهد في معركة المغازي الكبرى الثانية بتاريخ ١٩٧٠/٤/١٨ (المصدر السابق) .

(٣) في مقابلة مع الرفيق اعبيد أبو صواوين.

** ولد الرفيق اعبيد أبو صواوين في مخيم المغازي بتاريخ ١٩٥٠/١٠/٠٢، نزحت أسرته من مدينة بئر السبع في نكبة ١٩٤٨، التحق بصفوف الجبهة الشعبية وعملها الكفاحي سنة ١٩٦٩، واعتقل بتاريخ ١٩٧١/١٢/٠٢، وأفرج عنه في عام ١٩٧٧.

للانسحاب والتخفي السريع بعد الانتهاء من تنفيذ العملية قبل وصول أية تعزيزات للعدو والتي كانت تحتاج لوقت كبير نسبياً حتى تصل إلى مكان الحدث.

كانت فرصة نجاح العملية كبيرة خصوصاً وأن حركة الباص كانت اعتيادية، وعدد كبير من المقاتلين سيشاركون في تنفيذها، وضمن هذه المعطيات يكون من السهل ضرب الباص وتدميره بالكامل.

تصدى أحد الفدائيين للباص المتأرجح على الطريق والمكتظ بالجنود وأطلق باتجاهه النار وأعطب عجلاته، وبمجرد أن توقف عن الحركة انقض عليه باقي أفراد المجموعة بقنابل روسية (F1) وأمطروه بنيران رشاشاتهم، وبعد دقائق معدودة، تحول الباص إلى قطعة من جهنم، انسحب أفراد المجموعة من المكان بعد أن أجهزوا على الباص بِمن فيه من الجنود[١].

---

(١) المصدر السابق.

محل الخيزران

تصفية ضابط المخابرات "سلمون"

لجأ العدو الصهيوني إلى زرع شخصيات مهمة في كل منطقة من مناطق قطاع غزة تعمل لصالحه، مهمتها الرئيسة إسقاط أكبر عدد ممكن من الأهالي وبناء شبكات تجسس تعمل لصالحه، مستغلين حالة الفقر والعوز التي يعاني منها الغالبية العظمى من سكان القطاع، ومن أبرز هذه الشخصيات التي مارست دوراً خطيراً في ابتزاز الأهالي وإيقاعهم في مستنقع العمالة، ضابط المخابرات المدعو "سلمون"[١] الذي زرعته المخابرات الصهيونية في مركز مدينة غزة، وفتحت له دكاناً لبيع الخيزران في شارع فهمي بيك، كان ذلك يشكل خطورة بالغة على الأهالي كونه يتعامل مع عدد كبير من التجار، ويبيع زبائنه بالدَّين حتى يسهل عليه إسقاطهم وإيقاعهم في شِراكه.

قام الفدائيون بتحذير الأهالي من خطورة التعامل مع هذه الشخصيات، وبدأوا بالتخطيط لتصفيتها، وفي أكتوبر عام ١٩٦٩، تمكنت الجبهة الشعبية من تصفية "سلمون"، ورغم كل إجراءات الحيطة والحذر والسواتر الأمنية التي أحاط نفسه بها غطاءً لعمله الحقيقي كضابط مخابرات، إلا أن الرفاق استطاعوا كشف أمره واصطياده.

ذهب إليه الرفيق عبد القادر الغصين، تحت ذريعة شراء بضاعة منه لمحله الجديد، وباغته الرفيق بإشهار مسدسه، وأطلق عليه النار، فأرداه قتيلاً، وحصل من دكانه على أموال طائلة، ورماها في الشارع، في ذلك رسالة للجميع بأن تصفية هذا المجرم المتستر هي عملية فدائية هدفها وطني بحت، وليست سطواً مسلحاً بهدف السرقة[٢].

انسحب الرفيق عبد القادر الغصين من مكان تنفيذ العملية مشياً على الأقدام إلى أن وصل مخيم النصيرات، وعلى إثر مقتل ضابط المخابرات سلمون قامت قوات الاحتلال بنسف ثمانية منازل ومطبعة قريبة من محل الخيزران انتقاماً لمقتله[٣].

---

(١) صهيوني من مواليد مصر، وقد غادرها عام ١٩٦٣، جاء لقطاع غزة بعد عام ١٩٦٧.

(٢) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة.

(٣) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

كانت عملية تصفية سلمون هي الأولى التي ينفذها الرفيق عبد القادر الغصين، وقد لاحظ الرفاق وصوله مرتبكاً بعد تنفيذ العملية، وعلى إثر ذلك اتخذت القيادة العسكرية للجبهة الشعبية تجريب أسلوب "التطعيم العسكري"، الذي يقوم على أساس دفع المقاتل المستجد لتنفيذ عمليات برفقة أحد المقاتلين المجربين، لكسر حاجز الخوف والارتباك عند المقاتل المستجد، وقد كان لهذا الأسلوب بالغ الأثر في نجاح العديد من العمليات الفردية التي نفذها المقاتلون حديثو العهد بالعمل الفدائي[١].

(١) المصدر السابق.

ليلة القنابل

وفي ٢٧ أكتوبر ١٩٦٩، قدمت الجبهة أول باقة من الشهداء دفعة واحدة، وهم الشهداء حلمي البلتاجي، وأكرم أبو معيلق، وعبد اللطيف أبو معيلق[١]، والذين استشهدوا في منطقة الماسورة في رفح المصرية، وهم في طريقهم لمغادرة القطاع، وعند استراحتهم من عناء السفر ومشقات الطريق داهمت قوات كبيرة من جنود الاحتلال المكان الذي كانوا فيه، فلم يكن أمامهم إلا مواجهة مصيرهم بشجاعة الأبطال، وبعد اشتباك عنيف استمر لساعات ارتقى الثلاثة شهداء.

وفي اليوم التالي شيعتهم جماهير شعبنا بجنازة مهيبة واستمرت على إثرها المظاهرات في المنطقة الوسطى لعدة أيام، أطلق مقاتلو الجبهة النار في وداعهم وسط جموع المشيعين، ووعدوا بالثأر لهم وللانتقام لدمائهم الزكية.

وما هي إلا أيام قليلة، حتى طلب القائد العام لقوات الجبهة، الرفيق محمد أبو النصر من المقاتلين الحضور بكامل عتادهم، وعقد اجتماعاً موسعاً معهم، وتقرر في الاجتماع أن يكون يوم ٢ نوفمبر ١٩٦٩، الذي يصادف ذكرى وعد بلفور المشئوم، يوماً للانتقام، وسماه الرفيق أبو النصر "يوم الانتقام الفلسطيني"، وفي الاجتماع وزع القنابل والمتفجرات على المقاتلين، وحدد للرفاق أهدافهم ومهماتهم وانطلقوا بعد الاجتماع مباشرة.

- "قبل انقشاع خيوط الظلام تبدأ ليلة القنابل، وتبدأ سحب الجحيم !".

في تلك الفترة برع المقاتلون في استخدام تكتيك استدراج دوريات العدو ونصب كمائن لها وضربها، كانوا يتعمّدون ضرب قنابل على الطريق العام لاستدراج دوريات العدو، التي كانت تهرع على الفور باتجاه الصوت، فتقع في مصيدة الفدائيين الذين تأهبوا لضرب هذه الدوريات بعد نصب كمائن لها.

---

(١) ولد في مخيم دير البلح بتاريخ ١٩٥٢/٠٧/٢٥، نزحت أسرته قسراً من مدينة بئر السبع في نكبة ١٩٤٨، التحق بصفوف الجبهة الشعبية وبجهازها العسكري منذ بداية عام ١٩٦٨، شارك في العديد من العمليات العسكرية، استشهد بتاريخ ١٩٦٩/١٠/٢٧، في منطقة الماسورة في رفح المصرية خلال اشتباك عنيف مع العدو الصهيوني استمر لساعات.

وبالفعل صال الرفاق وجالوا، ونفذوا مجموعة كبيرة من العمليات الناجحة في ليلة واحدة، تحوّل فيها قطاع غزة إلى سحب من الجحيم، أمطرت لهيبها فوق رؤوس المحتلين، زغرد الرشاش وتألقت سماء القطاع من وهج قنابلهم، أكثر من ٢٨ عملية عسكرية شملت جميع مناطق القطاع، وفي تلك الليلة ضرب المقاتلون أكثر من ٥٠ قنبلة على أهداف مختلفة على امتداد الطريق العام، أدّت إلى شل حركة العدو وحالت دون توزيع قواته على المناطق التي كانت مسرحاً للعمليات، عرفت تلك الليلة بليلة القنابل التي أرادها الرفاق انتقاماً للشهداء، وفي تلك الليلة وصلت مقاومة المحتل إلى ذروتها[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

نسف مركز شرطة "أبو مِدّين"

ومن أبرز العمليات التي نفّذها الرفاق في يوم الانتقام بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٦٩، نسف مركز شرطة "أبو مِدّين"، والذي كان بمثابة خنجر في خاصرة الفدائيين، وقد شرع العدو بإنشائه خارج معسكرات الوسطى، بعد أن تمكن فدائيو الجبهة من نسف مراكز تجمعاته فيها، وبذلك أصبحت إمدادات العدو ودورياته تأتي من أماكن بعيدة، مما يعطى الفدائيين الفرصة في الحركة والتخفي وتنفيذ مهماتهم بسهولة، شارك في هذه العملية عدد كبير من المقاتلين وهم: محمد أبو النصر، ومحمد أبو عتيق، ومحمد العرمي، وعبد القادر الغصين، وحسن الزريعي، وآخرين اقتصر دورهم على حماية المكان وإسناد المقاتلين، فتمركزت مجموعة منهم شمال المركز وأخرى جنوبه لترصد الحركة القادمة إلى مكان العملية من الاتجاهين.

تمكن الفدائيون في تلك الليلة من نصب عبواتهم الستة في كافة زوايا المبني مستفيدين من خبرة الرفيق العرمي، إلا أن البطارية المجهزة للتفجير خذلتهم ولم ينجحوا في تفجير المركز، ورغم أن أحد الفدائيين قد أحضر بطارية أخرى، إلا أن المبني لم ينفجر، وبعد تفحص الأسلاك تبين أن هناك مشكلة في الأسلاك تسببت في عدم التفجير، وعندما تم إصلاحها تمكن الرفاق من تفجير المبنى(١).

كانت مهمة أحد المشاركين في العملية (ت.ك) حمل الدكتريوف وتأمين الرفاق، ضمن مجموعات الحماية والاسناد، لكنه فرّ من المكان، ورمى الدكتريوف في الأرض المزروعة بالفلفل آنذاك، المحاذية للمركز من جهة الشرق، وأثناء تفقد المكان نجح الرفيق إبراهيم في العثور عليه، ونتيجة لذلك قرر الرفاق احتجاز الرفيق الهارب والتحقيق معه إلا أن العدو تمكن من اعتقاله في نفس الليلة(٢).

بعد أيام قليلة من نسف مركز أبو مدين، تمكنت مجموعات أبو النصر من تدمير مستنبت "مختبر" زراعي قيد الإنشاء، أقامه العدو الصهيوني في بيارة شراب شمال شرق

---

(١) في مقابلة مع الرفيق محمد معالي أبو سمرة.

(٢) في مقابلة مع الرفيق إبراهيم الشاعر.

مدرسة خالد بن الوليد بالقرب من الطريق الرئيسي المحاذي لمنطقة النصيرات، كان الاحتلال يهدف من وراء هذا المشروع الاستيلاء على البيارة لإقامة نواة استيطانية على أرضها، وعرفت العملية آنذاك بعملية "بيارة شراب".

وتوالت ضربات الفرسان، ونجحت مجموعات أبو النصر في تدمير ناقلة دبابات بعد نصب كمين لها عند جسر وادي غزة، وتدمير جيب عسكري، وهجوم بالقنابل على مجموعة متدينين يحميهم جيب عسكري، وتدمير ثلاث حافلات عسكرية بعد نصب كمين لها عند مدخل مخيم النصيرات[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

تصفية موشيه ديان "المزيّف" !

استطاعت الجبهة الشعبية تنظيم بعض عناصر الشرطة الفلسطينية في صفوفها، وكلّفتهم بمسئولية توصيل أية معلومات مهمة يمكن أن يستفيد منها المقاتلون، والحقيقة أن بعض هذه العناصر كان لهم دَور مهم في إعطاء معلومات عن تحركات الدوريات، وعن كمائن العدو، وعن حملات التفتيش والدّهم التي كان ينفذها العدو بين الفينة والأخرى .

وفي أواخر عام ١٩٦٩، أخبر عنصر من الشرطة الفلسطينية أحد المقاتلين المقربين إليه، بأن موشيه ديان سيقوم بزيارة لمخيم البريج، وحدد له زمان الزيارة، نقل الخبر على الفور إلى القيادة العسكرية للجبهة، وبمجرد أن سمع الرفيق أبو النصر بهذه المعلومة (فَطْ على حيله) وقال:

– ديان لازم ينقتل، وأنا بدّي أحوز على شرف قتله.

صمم الرفيق أبو النصر على رأيه، ورسم لنفسه خطة الهجوم ، وناقشها مع رفاقه في القيادة العسكرية، فوافقوا عليها، وجهزوا مجموعة إسناد مقاتلة للتدخل فيما لو احتاج الأمر ذلك، وبالفعل تأهب الرفيق أبو النصر ليحوز هذا الشرف وأخذ مكانه عند مركز الشرطة القديم وكمن هناك.

وفي الزمان المعلوم، دخل رتل من السيارات إلى المخيم، وشاهد الرفيق أبو النصر الرجل، وتأكد من العِصابة[١] التي يضعها على عينه اليسرى، إنه هو!!، وألقى باتجاهه قنبلتين، كانت سواعد الشهداء تقذفها معه، احترقت السيارة بالكامل وقُتل كل من فيها، إلا أن موشيه ديان لم يمت، انسحب رفيقنا على الفور وهو يرى سحباً من الجحيم تنصب فوق رأس هذا المجرم، وغادرت مجموعة الإسناد المكان، والجميع ينتظر إعلان إذاعة العدو لخبر تصفية هذا المجرم.

تصرف الصهاينة بذكاء، وأمّنوا دخول زعيمهم إلى المخيم، فدخلت مجموعة من السيارات كل واحدة منها بداخلها شخص يشبه ديان ويضع على عينه اليسرى عصابة

---

(١)عِصابة العين أو رقعة العين، وهي عبارة عن رقعة صغيرة يتم ارتداؤها فوق عين واحدة، قد تكون عبارة عن قطعة قماش متصلة حول الرأس بشريط مرن أو بخيط أو بشريط لاصق، غالبًا ما يرتديها الأشخاص لتغطية العين المفقودة أو المصابة أو المُشوهة.

مثله تماماً، ضرب أبو النصر قنبلتيه، واحترقت السيارة بالكامل، وقتل موشيه ديان المزيف، وبقي المجرم الحقيقي على قيد الحياة.

حمل موشيه ديان هذه العملية في نفسه، وأعطى أوامره لملاحقة ومطاردة أبو النصر ورفاقه والقضاء عليهم، لما يشكلونه من خطورة بالغة على أمن واستقرار القطاع، وعلى حياته شخصياً، وعندما وصل خبر تصفيته في مخيم المغازي مع عدد من المقاتلين في أوائل يناير ١٩٧٠، حضر ديان بنفسه إلى المكان وتأكد من استشهاده[١].

(١) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة.

الصاع بالصاع يا "شكرون"

في أواخر عام ١٩٦٩، نفّذ الرفيق المقاتل حسن الزريعي عملية فردية نوعية بعد أن نصب كميناً بمفرده وصعد على شجرة "كينيا" في منتصف شارع صلاح الدين في المنطقة ما بين المغازي ودير البلح، وعند مرور رتل من سيارات العدو باغتها الرفيق بقنابله، ونجح في تدمير غالبية سيارات الدورية، وأصاب العديد من جنود الاحتلال ثم انسحب بسلام.

ونظراً للخطورة التي كان يشكلها الرفيق الزريعي في ضرب دوريات العدو ونصب الكمائن لها، حيث كانت العمليات التي نفذها بمفرده من أكثر العمليات إيلاماً للعدو، بذل العدو جهوداً كبيرة لتصفيته أو اعتقاله، وبالفعل تمكن العدو من اعتقاله، وتم احتجازه في مركز دير البلح.

وفي نفس الليلة التي احتجز فيها، تمكن الرفيق الزريعي من الهرب من السجن، إذ دخل دورة المياه وقفز من شبّاك في الطابق الثاني وتوجه إلى مخيم النصيرات دون أن يشعر به أحد، كان العدو يستخدم أساليب بشعة في التحقيق مع المعتقلين لكسر إرادتهم والنيل من عزيمتهم، فكان يجردهم من ملابسهم ليسهل عليه استخدام أقذر وأبشع وسائل التعذيب لنزع اعترافات سريعة من الفدائيين.

كان الرفيق الزريعي أشجع من أن تنال منه هذه الأساليب، فقرر الفرار من السجن حتى وإن كان عارياً واستطاع أن يقنع سجانه برغبته في الذهاب لدورة المياه ليقضي حاجته، وبالفعل ذهب إلى دورة المياه في الطابق الأول من السجن، وذهب معه أحد الجنود، وظل ملاصقاً له، فطلب منه أن ينزوي جانباً ليأخذ راحته في دورة المياه، امتثل الجندي لرغبته، مما سهل عملية فراره من السجن، وفور سقوطه على الأرض، التقط ملابس بيضاء كانت بصحبة إحدى الباعة الذين بدأوا يحجزون أماكن لهم في شارع السوق المحاذي للمركز، بعدها لبس ما التقطه من ملابس، وستر بها جسمه العاري وفرّ إلى مخيم النصيرات[(١)].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق محمد معالي أبو سمرة.

وصل هناك مع ساعات الفجر الأولى، والتقى بالرفيق خليل أبو زبيدة في مقبرة المخيم، وبعد أن تعرّف عليه وعرف حكايته، أعطاه مسدساً بدلاً من البندقية التي أخذها منه العدو عند اعتقاله، وبطريقة عفوية لفّ الرفيق الزريعي سلاحه الجديد في قطعة قماش وخبأه تحت حزام بنطاله، وعاد إلى المركز لينتقم من الضابط "شكرون" الذي تولى التحقيق معه بالأمس وأمعن في تعذيبه، وبالفعل كمن له الرفيق على مسافة أمتار من بوابة المركز، وفور تحرك الضابط خارج المركز كانت رصاصات الرفيق حسن بانتظاره، ولحسن حظه كانت إصابته في رجليه، ولم ينتظر الرفيق طويلاً وانسحب بسرعة من المكان[1].

(١) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة، وأكد المعلومات الواردة رفاق آخرين.

راديو أبو النصر يقاتل !!

تعرض المقاتلون مرات عديدة لنيران وكمائن العدو، وفي كثير من الأحيان استطاعوا السيطرة على الموقف برباطة جأشهم وإقدامهم وردهم السريع بهجمات صاعقة مكبدين أفراد الكمين خسائر فادحة، وغالباً ما نجحوا في إبادة الكمين برمته.

وفي إحدى ليالي ديسمبر ١٩٦٩، أثناء توجه الرفيق أبو النصر وبرفقته شيبوب ومحمد العرمي ليلاً من مخيم البريج إلى النصيرات، كانت الساعة السادسة مساءً، ولم يتوقع أحد نشر أي دوريات أو كمائن للعدو في ذلك الوقت، فتح أبو النصر جهاز الراديو الذي كان في جيبه، واضعاً إياه بالقرب من أذنيه، وما أن أصبحوا على مقربة من منطقة تعرف بالمسلخ بالقرب من "عبّارة" السكة الحديد عند مدخل البريج حتى فوجئوا بكمين لقوات العدو الصهيوني وطلبوا منهم رفع أيديهم، وعلى الفور ألقى الرفيق أبو النصر جهاز الراديو باتجاههم ثم انبطح أرضاً، مما أربك الجنود قليلاً لاعتقادهم أن ما ألقي عليهم متفجرات، وبالتالي أفقدهم عنصر المفاجأة، واتخذ الرفيق العرمي ساتراً بجانب الطريق واستعد للمواجهة، بينما ألقى الرفيق شيبوب قنبلة باتجاه مصدر النيران وعلى الفور قفز إلى عبّارة السكة وكمن هناك، وأصيب جراء ذلك بكسر في كتفه وبشظايا في ساقه، جاءت قفزته فوق جثة أحد الجنود الذين قتلوا أثناء المعركة، أما الرفيقان أبو النصر والعرمي أخذا جانباً وباشرا بإطلاق النار مع انسحاب تدريجي.

انتقل الرفيق شيبوب من مكمنه في العبّارة إلى الجهة الغربية للطريق ليصبح في وضع أفضل يمكنه من الرد على مصادر النيران، بعد أن توقف إطلاق النار، ألقى الرفيق شيبوب نظرة نحو المكان الذي كان فيه رفيقاه لحظة اصطدامهما بالكمين، فلم ير ما يدل على وجودهما، واعتقد بأن رفيقيه قد استشهدا في الاشتباك، حينها انسحب من المكان والشك والقلق ينهشان كيانه حول مصير رفيقيه اللذين تمكنا من الانسحاب قبله.

وبرغم إصابة الرفيق شيبوب في كسر في كتفه وجرح في ساقه والدم ينزف منه بغزارة، إلا أنه توجه إلى إحدى القواعد السرية في مخيم المغازي، وقبل أن يدخل إلى القاعدة فوجئ بالرفيق أبو النصر والرفيق العرمي مع رفاقهم بكامل استعداداتهم للبحث

عنه، لاعتقادهم بأنه مصاب، وأنه بمفرده لن يتمكن من الإفلات من الطوق الذي فرضته قوات الجيش على المنطقة، وفي تلك الليلة أخذ الرفاق الثلاثة يحدثون زملاءهم بما حدث معهم، وكيف أنهم استطاعوا الإفلات من الكمين والقضاء على من فيه[١].

---

(١) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة.

إحنا بوليس، تعالا هون . . !!

وفي إحدى الليالي الشتوية أواخر عام ١٩٦٩، وأثناء قيام الرفيق محمد أبو النصر ومعه الرفيقان شيبوب، ومحمد العرمي بجولة تفقدية داخل مخيم النصيرات، شاهدوا عن بعد حشداً لجماعة راجلة آتية من الجهة المقابلة، وعلى الفور كمن الرفاق في أحد الشوارع الضيقة وبدأوا يتابعون ما يجري عن كثب.

توقف الأغراب أمام أحد المنازل ووضع أحدهم سلماً وأخذ يتسلق سور أحد البيوت، اعتقد الرفاق أنهم مجموعة من اللصوص جاءوا لسرقة أحد المنازل وأصحابها نيام، خصوصاً أن تلك الفترة شهدت كثيراً من عمليات سطو مسلحة على بعض البيوت.

طلب أبو النصر من رفيقه شيبوب أن يكمن خلف البيت ليحاصرهم ويقطع عليهم طريق الهرب، ثم نادى عليهم بصوت مرتفع "مين هناك" فجاءه الرد، إحنا بوليس، تعالا هون . . !.

وعلى الفور باغتهم الفدائيون بنيران رشاشاتهم، فهرب عدد منهم باتجاه الرفيق شيبوب الذي استقبلهم برصاصاته.

وقعت المجموعة بأكملها بين فكي الكماشة، ورشاشات الفدائيين تضربهم من أكثر من اتجاه، المفاجأة أفقدتهم أبسط القواعد والتعاليم العسكرية، لم يغادر الرفاق المكان إلا بعد أن أشرفت ذخيرتهم على النفاد، وبعد أن تركوا جميع أفراد المجموعة على الأرض بين قتيل وجريح، كانت هذه العملية من أكثر العمليات نجاحاً رغم أنها جاءت بدون تخطيط مسبق[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

انسحب من المعركة وأمعاؤه تزحف خلفه

أثناء تنقل اعتيادي لعدد من الفدائيين، بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩، اصطدمت مجموعة مكونة من أربعة رفاق ورفيقة بكمين للعدو، وهم الرفيق علي قاسم(١)، والرفيق عبد القادر الغصين، والرفيق أحمد عمران، والرفيق إبراهيم الشاعر، والرفيقة رندة(٢)، كانت المجموعة متوجهة ليلاً من معسكر النصيرات إلى معسكر المغازي، وعندما وصلت المجموعة إلى الخط العام، توقفت لاستطلاع الطريق، والتأكد من خلوها من الكمائن، فتقدم الرفيق عبد القادر لاستكشاف الأمر، وعندما وجد الطريق خالياً من الكمائن توقف في منتصف تقاطع الطريق وأشار لرفاقه بالتحرك.

وما أن خرج الرفاق من بين أشجار البرتقال وأصبحوا على رصيف الشارع حتى سمعوا من يطلب منهم رفع أيديهم، لم ينصع الرفاق لأوامر العدو وتأهبوا للمواجهة، فألقى الرفيق عبد القادر بقنبلة باتجاه المكان الذي صدر منه الصوت، وعلى الفور تحول المكان إلى ساحة حرب.

دار اشتباك عنيف بين الفدائيين وأفراد الكمين، كانت المعركة من أكثر المعارك شراسة بين الجانبين، استخدم فيها العدو القنابل المضيئة بهدف السيطرة على المكان وحتى يؤمن وصول التعزيزات بأقصى سرعة ممكنة، وفي نهاية العملية استشهد الرفيق علي قاسم، وأصيب الرفيق عبد القادر الغصين بإصابات بالغة فور انفجار قنبلة بالقرب منه، كما أصيب الرفيق أحمد عمران في أسفل قدمه، وأصيبت الرفيقة رندة إصابة طفيفة(٣).

---

(١) ولد في مدينة بئر السبع في عام ١٩٤٢، هجرت أسرته قسراً إلى قطاع غزة في نكبة ١٩٤٨، كان يعمل مزارعاً، وهو شقيق الرفيق عبد الرحمن قاسم (أبو جمال) (سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٢) كنيتها رندة التحقت بالثورة ولازمت الفدائيين في الكثير من العمليات الفدائية، وشكلت نموذجاً للمرأة المقاتلة التي انخرطت بشكل مباشر في الثورة وحملت السلاح، تزوجت من الرفيق محمد العرمي.

(٣) في مقابلة مع الرفيق إبراهيم الشاعر.

طلب الرفيق عبد القادر من رفاقه الانسحاب، وبالفعل تمكنت الرفيقة رندة من سحب الرفيق أحمد والانسحاب به بعيداً عن أنظار الصهاينة، وتمكن الرفيق الغصين من الانسحاب رغم إصابته الحرجة، التي أدّت لخروج أمعائه من جسده.

وصلت تعزيزات غفيرة إلى المكان، وبدأت تفرض الطوق على كلا المعسكرين بحثا عن المصابين، تمكن أحد المقاتلين الذين حضروا في التو من الوصول إلى الرفيق الغصين وحمله وهو غارق في دمه وأوصله إلى أهل بيته، ومن هناك تم نقله إلى عيادة المخيم، التي رفضت استقباله إلا بعد تبليغ الشرطة، كانت حالته صعبة جداً، لم يكن لدى الأهل خيار آخر، أدخل العيادة وهناك لم يستطيعوا التعامل مع حالته الحرجة، بقي هناك إلى أن حضرت قوة من الجيش ونقلته إلى مستشفى المعمداني.

بعدما علم مقاتلو الجبهة أن رفيقهم بخير بعد أن أجريت له عملية معقدة في مستشفى المعمداني، بدأ التخطيط لاختطافه، وبالفعل اتفقوا مع مدير التمريض[١] بأن يحضروا إلى المستشفى وأن يتم تهريبه من جهة المقبرة المحاذية للمستشفى، وعندما تأهب الرفاق لتنفيذ مخططهم تفاجأوا بحضور طائرة هيلوكوبتر إلى المستشفى، وقامت بنقله مع الجنود القتلى والجرحى إلى مستشفيات الداخل[٢].

واصلت قوات الاحتلال عمليات التفتيش والملاحقة، وفي صباح اليوم التالي طلب العدو من الأهالي من سن ١٤ سنة إلى ٧٠ سنة التوجه إلى أحد المدارس في المخيم.

وصف أحد سكان النصيرات هذا المشهد، فقال: "ذهبت أنا وجارنا الرفيق منصور ثابت وجلسنا في المدرسة التي طلبوا منها التوجه إليها، وبعد ساعتين وقف الحاكم العسكري الصهيوني ليعلن أن قواته قد تمكنت من قتل أحد مخربيكم وأصابت مخرباً آخر بجراح وأنهم عثروا على كمية من الأسلحة، نظرت لمنصور ، الذي كان واجماً، وقلت له:

- من تعتقد ؟!.
- لقد قُتل أحمد عمران.
- كيف عرفت ؟.

---

(١) ممرض كنيته "شكوكاني".

(٢) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

– رأيت الدكتريوف سلاح أحمد مع الجندي الذي يقف بجوار الحاكم.

وأكمل الحاكم حديثه محذراً الأهالي بأن كل من يساعد المخربين سيعرض نفسه للقصاص وأن جيش الدفاع سيضرب بيد من حديد كل من يخالف أوامره، وطلب منهم البقاء في أماكنهم لحين خروج أخر جندي"، ويروي الرجل بأنه التقى الرفيق عبد القادر الغصين في مستشفى سجن بئر السبع، وكان قد حضر هناك أثناء تقديمه الامتحانات، تحدثنا مطولاً حول العملية التي أصيب فيها، وكيف أن حبات الرز خرجت من أمعائه أثناء الإصابة، وأنه أثناء علاجه في مستشفى العدو بعد الإصابة قال أحد الجنود للطبيب "أنت تعالج مخرباً كان يقتل جنودنا في غزة، احقنه حقنة مميتة، لنتخلص من شره، أجابه الطبيب:

– كان يجب قتله في المعركة بالرصاص بدلاً من أن أحقنه بحقنة قاتلة !!"(١)

(١) من صفحة الفيسبوك للرفيق إبراهيم أحمد الهيسماوي.

معركة المغازي الكبرى الأولى

حاز فدائيو الجبهة على ثقة واحترام والتفاف الجماهير، فيما ازدادت محاولات العدو الصهيوني المتواصلة للقضاء على هذه الظاهرة الكفاحية الرائدة، وفي ٥ يناير ١٩٧٠، اصطدمت مجموعة من مقاتلي الجبهة، وفي مقدمتهم الرفيق أبو النصر بكمين للعدو على الطريق العام بالقرب من مدخل مخيم المغازي، دارت هناك معركة شرسة، أصيب فيها الرفيقان عامر زيدان، وعبد الله السميري، وتمكن الرفاق في نهايتها من الانسحاب بأعجوبة.

توجه الرفيق محمد أبو النصر، ومعه الرفاق: حسن الزريعي، وعبد الله السميري، وعامر زيدان، إلى داخل مخيم المغازي، وفي أحد المنازل ضمدوا جراحهم ومكثوا بعض الوقت للراحة، أثناء ذلك وضع الرفيق حسن الزريعي رشاشه جانباً وأبقى معه قنابله، وخرج لقضاء حاجته في دورة للمياه كانت قريبة من البيت.

وما أن دخل في دورة المياه حتى سمع أصوات أقدام وهمس، وعندما نظر من شق الباب شاهد عدداً من الجنود على رأسهم حاكم دير البلح يهمون بتطويق البيت تمهيداً لاقتحامه، وعلى الفور فتح قنابله وألقى بنفسه متفجراً بين جنود الاحتلال.

ومع انفجار القنابل اقتحمت قوة كبيرة من الجنود والمجنزرات المكان، وأخذت تقصف المنزل بقذائف الأنيرجا والقنابل الحارقة، والرفيق أبو النصر يرد عليهم مع رفيقيه الجريحين، حتى سقطوا جميعهم شهداء، بعد أن كبدوا العدو خسائر فادحة.

استشهدوا بعد تاريخ حافل بالهجمات والضربات الموجعة للعدو الصهيوني وعملائه الجبناء، أعلن العدو عن مقتل ضابط المخابرات رحاميم في العملية، وأصيب عشرة آخرون.

وقد أخبر أهالي المخيم بأن موشيه ديان حضر إلى مكان العملية، وتابع عن كثب مجريات المعركة، وتفحص خسائر قواته، وبعد أن تأكد من استشهاد الرفاق الأربعة، وقف فوق رأس أبو النصر الذي قضى شهيداً في المعركة وركلها بقدمه، وقال:

– مات السفاح[١].

وفي ٦ يناير ١٩٧٠، قام ثوار الجبهة بتوزيع منشورات نعتْ خلالها رفاقها الشهداء وقائدها العام الرفيق محمد أبو النصر[٢]، وفي مظاهرات عارمة وجنازات رمزية ودعت جماهير القطاع أبطالها الشهداء، بعد أن رفض العدو تسليم جثامين الأبطال الأربعة لأهلهم، وقام بدفنهم في مقبرة الشيخ رضوان، إلى هناك تابعتهم الأيدي البريئة الطاهرة، وزرعت على أضرحتهم الرياحين والورود.

---

(١) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة.

** أفادنا الرفيق إبراهيم شاهين (أبو جهاد) وهو من سكان خانيونس وأحد مقاتلي الجبهة الشعبية القدامى، أنه أثناء اعتقاله التقى بالرفيق عبد الرحمن قاسم في نفس الغرفة، وأبلغه بأن قوات الجيش أحضرت إلى السجن الرفيق محمد أبو النصر وهو مضرج بالدماء، وطلبت منه التعرف على شخصية المصاب، كانت إصابة الرفيق أبو النصر بليغة، وكان لا يزال على قيد الحياة، تبادل الاثنان النظرات، لكنه لم يتحدث قط.

(٢) في لقاء مع الرفيق محمد معالي أبو سمرة، أفادنا بأن الرفيق أحمد عبد الهادي جاءه إلى البيت وأحضر معه منشورات للجبهة وطلب منه توزيعها في مخيم دير البلح، وبالفعل قام بتوزيعها هناك.

تصفية ضابط المخابرات الدرزي يوسف كوكش

(المسدس ذو الطلقات المسمومة)

ذاع صيتُ الرفيق البطل أحمد عمران، الذي برع في ضرب السيارات العسكرية المارة على طريق صلاح الدين لإمداد العدو الصهيوني على جبهة قناة السويس، ولمع اسمه من شدة ضرباته للعدو، مما دفع العدو الصهيوني بتكليف الكولونيل الدرزي يوسف كوكش للقبض عليه أو قتله، حضر ضابط المخابرات المتخفي في لباس عربي إلى مخيم النصيرات وبدأ رحلته في تقصي المعلومات عن الرفيق أحمد عمران.

في منتصف يناير ١٩٧٠، أثناء وجود الرفيق أحمد عمران في مقبرة النصيرات، ورفيقين آخرين، إبراهيم الشطلي، وخليل أبو زبيدة، المكان الذي اعتادوا أن يتجمعوا فيه، تفاجئوا بقدوم مجموعة من الفتيات باتجاههم، لم تكن المقبرة طريقاً أو ممراً للناس لكي تأتي هذه الفتيات إلى هناك، كان تواجدهن في المقبرة غريباً، إحداهن تقول للأخرى "إحكي إنتي" بينما ترد الأخرى "لأ إحكي إنتي".

سأل الرفاق عن أمرهن، وعن سبب مجيئهن إلى المقبرة فهي ليست ممراً أو طريقاً للناس، أجابت إحداهن بكل طفولية . .

- ذهبنا إلى دير البلح، والتقينا بالحاكم العسكري، أخبرنا بأن من تسكن منكن في الجهة الجنوبية من النصيرات تقف هنا، ومن تسكن في الجهة الشمالية منها تقف هناك، وبالفعل فعلنا مثلما طلب، وتمت قسمتنا إلى فريقين، وقال عندئذٍ: "كل بنت ساكنة من شارع النصيرات وجنوب، تروح تقطع تصريح، وتطلع ع رام الله تكمل تعليمها، أما اللي ساكنات من الخط وشمال، يوجد حاكم عسكري في النصيرات، اسمه أحمد عمران، ومكانه في المقبرة، روحوا خذوا تصريح منه"، ثم طردنا، ولم يعطنا تصاريح وجئنا إلى هنا لنخبركم بما حدث، ونحصل على تصريح.

كان ذلك أسلوب يتبعه العدو لعقاب أهالي النصيرات أو أية منطقة تشكل حاضنة قوية وإسناداً كبيراً للعمل الفدائي وللفدائيين، رجعت البنات لبيوتهن بعد أن فهمن الحقيقة، وبدأ عمران ورفيقاه بإعداد طعام الغذاء.

ذهب الرفيق أحمد لشراء بعض الفواكه من السوق، أما الثاني فذهب لبيتهم بجوار المقبرة لإحضار بعض الطعام، وبقي الثالث ينتظر رجوعهم في أعلى نقطة مرتفعة في المقبرة، وعندما تأخر الرفيق أحمد عن موعده، نزل الرفيق إبراهيم ليبحث عنه، فإذا به في الأسفل شاهراً مسدسه في وجه أحد المارة.

أخبر الحاج أبو معوض شاهين، "صاحب مطعم الفلافل الملاصق للمقبرة"، الرفيق أحمد أثناء عودته للمقبرة، بأن رجلاً غريباً جاء منذ ساعات إلى المخيم، وقدّم نفسه للأهالي على أنه بائع زيت، لكنه يسأل المارة عن الرفيق أحمد عمران، كان الرجل الغريب قريباً من المكان، فذهب إليه الرفيق أحمد وأوقفه:

- "مرحبا يا أخ، سلامات، سألت عني ؟"
- "محصلّيش الشرف قبل هيك أتعرّف عليك عشان أسأل عنك، مين تكون إنت؟"

عاد الرفيق أحمد وأشهر مسدسه، وطلب منه هويته، بعد أن أحس بلكنته الغريبة، وبنظرة سريعة إلى المقبرة أشار لرفاقه بالنزول.

أجاب الغريب: "مين تكون إنت حتى أعطيك هويتي، عرّف نفسك عشان أعرف مين إنت ؟"

نزل الرفيقان على الفور، وطلب منهما الرفيق أحمد تفتيشه، فوجدوا بحوزته مسدساً، وعندما حاولوا أخذ المسدس، أجاب الغريب بخوف "بعطيه اياه بعطيه إياه"، طلب الرفيق أحمد هويته مرة أخرى، فأخرج هوية زرقاء[١]، سأله الرفيق أحمد:

- "ليش جاي، وعلى مين جاي ؟"

---

(١) كانت بطاقات الهوية لسكان القطاع خضراء اللون، أما البطاقات الزرقاء فكانت للإسرائيليين، ويشار إلى أن أول عملية إحصاء للسكان كانت بعد هزيمة حزيران في سبتمبر ١٩٦٧، وشملت الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية وقطاع غزة، وعلى إثرها صدرت بطاقات هوية لسكان قطاع غزة.

فأشار له بيده ناحية الغرب، ولم يستطع الكلام من شدة الخوف، كان معه مسدسٌ، وهويته زرقاء، ويمر بالناس ليسأل عن الرفيق أحمد عمران، ثلاث قضايا كانت كافية للتخلص منه وتصفيته.

استخدمت المخابرات الإسرائيلية هذا الأسلوب قبل أسبوع، وتمكنت من اغتيال أحد الرفاق في منطقة خانيونس بعد أن دخل ضابط المخابرات إلى مقهى، وسأل عن أحد المطلوبين، وبعد أن شرب فنجان من القهوة سأل من بجواره: "أين فلان"، فأجابه: هناك، وأشار إلى مكان جلوسه، فقتله وغادر المقهى، ولاذ بالفرار، واليوم جاء هذا الغريب ليكرر نفس سيناريو الاستهداف، اتخذ الرفيق أحمد قراره وأطلق عليه النار، فأرداه قتيلا، ثم جرده من مسدسه ومن أوراقه الشخصية، وتركه غارقاً في دمائه.

فعل فتية المخيم بالغريب ما فعلوا، وبعد ساعات قليلة هبطت طائرة هليكوبتر في المكان، وحضر معها وزير الحرب الصهيوني موشيه ديان وأخذوه جثة هامدة وغادروا، خرج الرفيق أحمد ورفاقه من المخيم وتوجهوا إلى منطقة الكمايلة في المغراقة.

ذاع خبر تصفية ضابط المخابرات في كل المخيم، وبدأ الناس يتهيئون لفرض الطوق (منع التجول)، وفي المساء كان الرفاق يستمعون إلى إذاعة البي بي سي، وإذ بالمذيع يقول "لقد استطاعت إحدى المجموعات التابعة للجبهة الشعبية من اغتيال الكولونيل "يوسف كوكش" في مخيم النصيرات"، فغمرت الفرحة الجميع وبدأوا بالتهليل والتصفيق، وأكملوا ليلتهم(١).

---

(١) في مقابلة مع الرفيق خليل أبو زبيدة.

عملية الحمّام في مخيم البريج

في بداية فبراير ١٩٧٠، دعا الرفيق أبو حافظ اجتماع لخلية البريج وهم الرفاق: محمود عليان، وحسن العامودي، وعبد المجيد السعيدني[١]، وأحمد بارود، في نادي البريج الرياضي، وفي تلك الليلة تم توجيه الخلية لاختيار منطقة مناسبة على الخط العام لنصب كمين لقوات العدو، بعد انتهاء الاجتماع توجهوا شمالاً إلى أن وصلوا بالقرب من حمّام المخيم[٢]، كان على رأس الدورية الراجلة الرفيق محمود عليان وحسن العامودي، بينما الرفيق عبد المجيد السعيدني إلى الخلف منهمك في الحديث مع الرفيق أبو حافظ، ثم دخلوا طريق تؤدي إلى غرفة الموتور التي تغذي المخيم بماء الشرب، وعلى مسافة أمتار اصطدمت المجموعة بكمين لقوات العدو، تفاجأ أفراد المجموعة بإطلاق كثيف للنار دون سابق إنذار، وعلى الفور رمى الرفيقان أبو حافظ وأحمد بارود ما بحوزتهما من قنابل باتجاه مصدر النيران المنفلتة باتجاههم، أحد الرفاق كان ملقىً على الأرض وجسمه مشتعل بالنار، نجح الباقون برباطة جأش عالية في الرد السريع على نيران الكمين حتى تمكنوا من الإفلات من الكمين وإسكاته، انسحبت المجموعة بعيداً باتجاه دورة المياه، لحق بهم الرفيق عرابي الذي أصابه الكمين بإصابة بليغة في رسغ يده اليمنى، وأخبرهم بأن رفيقهم العامودي قد استشهد.

توجه الرفاق إلى شرق المغازي في مكان بعيد عن قبضة العدو، وأرسلوا رفيقهم عرابي المصاب إلى الدكتور رشاد مسمار ليتولى التعامل مع إصابته، وبعد يومين وصلت القيادة العسكرية للجبهة رسالة من أحد الأصدقاء، وأخبرهم فيها بأن الرفيق حسن

(١) ولد في مخيم البريج في عام ١٩٤٩، التحق بالعمل الفدائي في قطاع غزة من خلال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في بداية عام ١٩٦٩، شارك مع رفاقه في تنفيذ العديد من العمليات الجريئة على الطريق العام، وفي نصب كمائن للعدو عند جسر وادي غزة، كما شارك رفيقنا في التصدي لظاهرة العملاء والمأجورين، استشهد في معركة المغازي الكبرى الثانية بتاريخ ١٩٧٠/٤/١٨(سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٢) في تلك الفترة شيدت وكالة غوث اللاجئين حمّامات عامة في الشوارع يستحم فيها أهالي المخيمات، وكانت هذه الحمّامات محاذية للبلوكات السكنية في المخيم، خصوصاً وأن البيوت التي شيدتها الوكالة لا تحتوي على حمّامات أو دورات مياه، واستعاضت عن ذلك بتشييد حمّامات ودورات مياه عمومية للأهالي.

العامودي وصل عنده مصاباً وحالته صعبة لكنه يتماثل للشفاء، تم الاطمئنان على الرفيق العامودي الذي اعتقد الرفاق أنه استشهد في العملية، بعد أن انسحبوا وهو ملقى على الأرض، إلا أنه برغم إصابته البليغة في الصدر والذراع، استطاع الهرب باتجاه منطقة جحر الديك، ومن هناك تمكن من الذهاب إلى منطقة المغراقة، ومنها إلى مخيم النصيرات، ثم اتجه أخيراً إلى دير البلح، واختبأ عند الحاج "أبو سليم"، وبمجرد أن وصلت الرسالة إلى القيادة العسكرية، توجهوا إلى هناك وأخذوا رفيقهم المصاب وأرسلوه أيضاً إلى الدكتور رشاد الذي كان يتولى علاج وتطبيب من يتعرض من المقاتلين لإصابات أثناء العمليات.

وبالرغم من عنصر المفاجأة إلا أن الرفاق أبلوا بلاء حسناً في تصديهم للكمين، وفي بيان للجيش الصهيوني تحدث فيه عن خسائره في عملية البريج أذاع فيه أن المخربين استطاعوا قتل ضابط كبير في الجيش، وأصيب في العملية ضابط آخر وأربعة جنود، عرفت العملية بعملية "الحمّام" نظراً لقربها من حمّام المخيم(١).

---

(١) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة.

موقف الشجاعية يحترق تحت أقدام الصهاينة

كان السلاح بأنواعه يصل إلى الجبهة الشعبية عن طريق مجموعات من بدو سيناء قامت بتنظيمها هناك، وكانت تتولى نقل السلاح من نقاط محددة في سيناء إلى جنوب قطاع غزة، وقد حرصت القيادة العسكرية في الخارج على تزويد هذه المجموعات بالسلاح لتوصيله إلى القطاع بهدف تصعيد العمل العسكري هناك، وعند وصول السلاح تقوم القيادة العسكرية في الداخل بتوزيعه على الخلايا العسكرية الناشطة لتوجيه ضربات عسكرية موجعة للعدو الصهيوني، ومفاجأته بالإمكانات التي يمتلكها الفدائيون.

وذات مرة وصلت شحنة من القنابل الحارقة ضد الدبابات، وفور تسلم مجموعات الوسطى لهذا النوع من القنابل، قرر الرفيق سميح أبو حسب الله أن يكون أول من يستخدمها، وبالفعل نال هذا الشرف، وفي ٥ مارس ١٩٧٠، حمل واحدة من هذه القنابل وذهب إلى موقف السيارات في الشجاعية، وفي اللحظة التي وصل فيها الرفيق المغوار كانت إلى الغرب من موقف السيارات تقف سيارة لاندروفر ناقلة للجنود بجوار مركز الشرطة، اقترب من اللاندروفر وألقى قنبلته الحارقة باتجاهها فاحترقت بالكامل، انسحب الرفيق البطل من المكان بعد أن تأكد من إجهازه على من بداخلها.

كانت العملية من أجرأ وأنجح العمليات الفردية في تلك الفترة، وساهم في نجاحها أن هذا النوع من السلاح لم يستخدمه الفدائيون من قبل، وكذلك استهتار الجنود المكتظين في المكان بصورة فوضوية، لاعتقادهم بأن الفدائيين لن يصلوا إلى هذا الحد من الجرأة لينفذوا عملية في أماكن تجمعاتهم، فمن يقترب من هذه المنطقة المكتظة بالجنود سيلقى مصيره المحتوم، الموت لا محالة، لكن سميح الفدائي الجريء الذي لا يهاب الموت، برغم عمره الصغير في مقارعة العدو إلا أنه ترك بصمة قوية في العمل الفدائي خلدت اسمه في ذاكرة المخيم وفي قلوب الناس الطيبين الذين رأوا في هؤلاء الشباب المخلص والمنقذ من بطش العدو وجبروته.

الغريب أن قوات التحرير الشعبية قد تبنت العملية، وهي واحدة من الأذرع العسكرية التي نشطت في تلك الفترة، وتشكلت من صفوة ضباط جيش التحرير الفلسطيني وجنوده،

وأصرت على أن أحد عناصرها هو الذي نفذ العملية، حاولت القيادة العسكرية للجبهة استجلاء الأمر، ورتب الرفيق أبو حافظ عزيزة القائد العسكري لقوات الجبهة الشعبية لقاءاً مع القائد الميداني لقوات التحرير "وصفي أبو دية"، واتفق الاثنان على حسم هذا الخلاف، وهنا تدخل الرفيق أبو حافظ بحنكة الواثق:

- طالما أن من يدعي تنفيذ العملية من كلا التنظيمين مطارداً، فما المانع من مواجهة الاثنين معاً لاستجلاء الحقيقة، وليعرف كلا الطرفين من الجهة التي نفذت العملية بالفعل.

كانت الأمور ستكون أكثر تعقيداً لو أن منفذ العملية من الطرفين ليس مطارداً، فلا يقبل أي فصيل في حينه أن يكشف عناصره المقاتلة للآخرين، وبالفعل التقى الرفيق أبو حافظ وبصحبته منفذ العملية أبو حسب الله، مع مسئول قوات التحرير ومعه أحد مطارديها وهو المنفذ المدعي، وبمجرد أن أفسحوا المجال لكل منهما للحديث عن العملية وعن تفاصيلها تبين للطرفين بلا ريب، أن الرفيق سميح أبو حسب الله هو المنفذ الحقيقي للعملية، بعد أن أعطى معلومات دقيقة ومفصلة عن العملية لا تدع مجالاً للشك في شخصية منفذها.

بعد العملية بأشهر تمكن العدو من اعتقال وصفي أبو دية، مسئول قوات التحرير وتصفيته على الفور، وذلك انتقاماً منه بصفته يمثل الجهة التي تبنت عملية تدمير ناقلة الجنود اللاندروفر، وعلى ما يبدو أن اللاندروفر كان بداخلها أحد الضباط رفيعي المستوى، لذلك كثفت قوات العدو جهودها لتصفية القائد الميداني لقوات التحرير في غزة لأنها تقف وراء العملية بحسب قوات العدو.

وبعد اعتقال الرفيق سميح، تبين للعدو بأنه المنفذ الحقيقي لعملية تدمير ناقلة الجنود، وليس أحد مطاردي قوات التحرير، وقام بتمثيل العملية، وبعد فترة من اعتقاله قامت باقتياده من السجن واعدامه في مسقط رأسه في مخيم النصيرات، انتقاماً منه بعد أن تأكد للعدو أنه المنفذ الحقيقي للعملية التي راح ضحيتها جميع من كانوا داخل سيارة اللاندروفر [١].

---

(١) في اتصال مع الرفيق أبو حافظ عزيزة.

عملية العمدان الثانية

مع تزايد الضغط على المنطقة الوسطى، قامت القيادة العسكرية للجبهة بتوسيع نطاق عملياتها، وتركيز ضرباتها، وقد كانت الذروة في عملية عُرفت باسم عملية "العمدان الثانية"[(١)]، تُعتبر هذه العملية من أكثر العمليات الناجحة، وقد شارك في تنفيذها خمسة مقاتلين، وهم الرفاق: علي أبو سلطان، وسميح أبو حسب الله، وإبراهيم الشطلي، وجمال الدحدوح، وسمير حسان.

قام المقاتلون برصد المنطقة لعدة أيام، وهي منطقة غير مكتظة بالسكان، ولاحظوا قدوم دورية للعدو كل يوم مكونة من سيارة مجنزرة وجيب عسكري "بَوَر"، وفي ١٤ مارس عام ١٩٧٠، الساعة الثامنة والنصف ليلاً، نصب مغاوير الجبهة كمينهم هذه المرة خلف سور المقبرة التي تقع على الجانب الغربي للطريق الرئيسي، ووفَّروا لهذه العملية مجموعة من القنابل المضادة للدروع، وفي تلك الليلة كمنوا واستعدوا للمواجهة، وهم يحملون في قلوبهم وجع وغضب الجماهير.

ليل دامس، وهدوء قاتل في المكان، ومنع للتجول بدأ كعادته من الساعة السادسة مساءً، وهِمّة الفدائيين لا تخبو من طول المسافات التي يقطعونها عند تحركهم في الليل، وبعد أن ظهرت أمامهم أضواء سيارة عسكرية على الطريق الرئيسي "شارع صلاح الدين" قادمة من جهة الشمال، تأهب المقاتلون لملاقاة صيدهم الثمين.

بدأت المعركة فور وقوع الهدف تحت مرمى قنابل الرفاق ونيران رشاشاتهم، اقتربت السيارة أكثر فأكثر، فانقضوا عليها بقنابلهم ونيران رشاشاتهم.

كان الهدف أكثر إغراء بعد أن وقع في الكمين رتل من السيارات العسكرية المحملة بالجنود والمتوجهة إلى جبهة "قناة السويس"، كانت السيارة الأولى تشعل أضواءها ويتحرك خلفها باقي الرتل مكتفياً بإنارة السيارة الأولى كنوع من التخفي، وبمجرد أن أجهز الفدائيون على السيارة الأولى ارتطمت باقي السيارات بعضها ببعض، وبدأ الجنود في السيارات الخلفية يطلقون النار في كل مكان بعد سماعهم صوت الانفجارات ووقوعهم في فخ

(١) بالقرب من مطعم شعفوط الآن، في حي الزيتون بمدينة غزة.

محكم، انشغل بعضهم بضرب الدورية بالقنابل، وآخرون يضربون الجنود بوابل نيرانهم، ١٢ قنبلة ألقيت على عربات العدو في تلك الليلة.

لعب عنصر المفاجأة دوراً حاسماً في المعركة لصالح المقاتلين، الهجوم أفقد العدو صوابه، وشلّ قواه فأصبح عاجزاً عن الرد بفعل كثافة النيران والقنابل التي ألقيت عليه، نيران "صديقة" أجهزت على العديد من الجنود الذين تركوا سياراتهم وانتشروا في المكان، مما ضاعف من حجم خسائرهم.

وبعد دقائق من بداية العملية، نجح الفدائيون وببراعة في تدمير آليات العدو والقضاء على كل من وقع تحت مرمى نيرانهم من أفراد الدورية، ووسط إطلاق النار الكثيف، انسحب الفدائيون من المكان بحسب اتفاقهم المسبق مشياً على الأقدام، متجهين إلى مخيم النصيرات، ومنه إلى مخيم دير البلح البعيد عن مكان تنفيذ العملية، وأثناء الطريق مروا بوادي غزة الذي كان جارياً، وكان مجرى المياه فيه قوياً، نزل أحدهم ليقطع الوادي بعد أن ربطوه بحبل من وسطه، رفع سلاحه لأعلى ونجح في الوصول إلى الدفة الأخرى، وهكذا فعل الآخرون إلى أن اجتازوا الوادي بسلام.

وفي صبيحة اليوم الثاني حضرت قوات غفيرة إلى مكان العملية، وانتشلوا ما تبقى من أشلاء الجنود التي تبعثرت في المكان، وفرض العدو الطوق على المنطقة وعلى كافة المناطق المجاورة لمكان العملية، وبدأوا عمليات الاعتقال والمداهمة والتفتيش بعد أن أوقع الفدائيون العديد منهم بين قتيل وجريح[١].

(١) في مقابلة مع الرفيق جمال الدحدوح.

فرن المخيم يحتضن الشهداء

قدّمت الجبهة الشعبية في تلك الفترة كوكبة من الشهداء من فرسانها وخيرة رجالها ممن احتلوا مكانة مرموقة في أوساط جماهير شعبهم، ففي ٢١ مارس ١٩٧٠، بعد أسبوع على استشهاد الرفيق يحيى حجازي[١]، استشهد الرفيق تيسير الكرد[٢]، وهما من عناصر المجموعات القتالية العاملة في دير البلح، وفي ذات اليوم استشهد الرفيق إبراهيم الشطلي الملقب أدهم الشرقاوي، بعد أن اصطدمت إحدى المجموعات المقاتلة، وهم الرفاق علي أبو سلطان، وسميح أبو حسب الله، وإبراهيم الشطلي، وجمال الدحدوح، وسمير حسان، وهي متجهة في طريقها لمنطقة المغراقة بكمين للعدو الصهيوني، "كمين رجل الغراب"[٣] تم نصبه على أطراف المخيم الغربي من النصيرات بالقرب من وادي غزة، أشار عليهم الرفيق علي أبو سلطان بأن يغيّروا طريقهم بسبب وجود أكياس منتشرة على جانبي الطريق المؤدي إلى الوادي لم تكن موجودة من قبل، فغيّروا طريقهم واتجهوا إلى الغرب، ودخلوا في شارع فرعي يفصل بين بيارتين هناك، كان يتقدم المجموعة كعادته الرفيق إبراهيم الشطلي، اتجه الرفاق لسوء حظهم نحو الكمين الذي نصبه العدو دون أن يعلموا، وفور اقتراب الرفيق الشطلي من الكمين، باغتته رصاصة قاتلة في رأسه فاستشهد على الفور، وأصيب الرفيق سمير حسان في قدمه.

تفرّق أفراد المجموعة بسبب مفاجأتهم بالكمين، وانسحبوا من المكان، في الجهة البعيدة كان هناك كمين آخر للعدو، وبمجرد أن بدأ اطلاق النار دارت معركة حامية الوطيس بين الكمينين استمرت طوال الليل، تسببت في قتل ثلاثة من جنود العدو وإصابة

---

(١) استشهد بتاريخ ١٩٧٠/٣/١٥ في منطقة دير البلح، على إثر اصطدامه بكمين للعدو الصهيوني.

(٢) ولد في مخيم جباليا بتاريخ ١٩٥٢/٦/١٠، واستشهد بتاريخ ١٩٧٠/٠٣/٢١، أثناء اشتباك مع قوات للعدو الصهيوني بعد اصطدام مجموعة من مقاتلي الجبهة بدورية للعدو في منطقة "البصّة" بدير البلح.

(٣) كمين عبارة عن شكل رجل الغراب، حتى لا تكون هناك نيران صديقة، ويكون الجنود بعيدين عن مرمي النيران.

آخرين، نجح الرفاق في الانسحاب وتمكن الرفيق المصاب من حمل جثمان رفيقه على كتفه إلى أن وصل به إلى أطراف المخيم الجديد، ثم اختبأ في فرن للخبز هناك[١].

بدأ العدو يتعقب الفدائيين ويتحرك باتجاه آثار الدماء التي كانت تسيل على طول الطريق، ووصل إلى الفرن، وقام بمحاصرته، وفي نهاية الأمر أُلقي القبض على الرفيق المصاب، وحضرت إلى المكان طائرة عمودية لنقل القتلى والمصابين من جنود الاحتلال، وحضر معها وزير الحرب الصهيوني موشيه ديان.

تردد في أوساط المخيم آنذاك أن "ديّان" وقف أمام جثمان الشهيد وأدّى التحية العسكرية له، اعتقد العدو أن الشهيد الذي تم تصفيته للتو هو الرفيق أحمد عمران، فاقتاده الجنود إلى سجن غزة المركزي لعرضه أمام أخته الرفيقة سميحة عمران المعتقلة هناك والتأكد من هويته.

- "هَي أحمد عمران قتلناه".

من بعيد شاهدته ملقى على الأرض، إلا أنه لم يكن أخاها أحمد، عرفت أنه رفيقها إبراهيم الشطلي، لم تنبس ببِنت شَفة، ولم تُدْلِ بأيّة معلومات للجنود، غير أنها لم تستطع أن تمنع دموعها التي انفجرت من عينيها قهراً على رفيقها المضرج بالدماء.

استشهد الرفيق إبراهيم الذي كان من أكثر المطلوبين والمطاردين لقوات العدو، أمر موشيه ديان بحمل الشهيد إبراهيم ونقله في عربات الجيش لدفنه بعيداً عن أهله، وهكذا دفن الرفيق الشطلي في مقبرة بالقرب من مستشفى المعمداني بغزة دون مشاركة أهله وعائلته في تشييع جثمانه، وفي صباح اليوم التالي خرجت جماهير شعبنا، وودعته في جنازة رمزية مهيبة[٢].

---

(١) في مقابلة مع الرفيق جمال الدحدوح.

(٢) في مقابلة مع الرفيق محمود عمران.

فدائي يضرب، وآخر يراقب عن كثب

في مارس ١٩٧٠، وعلى الطريق العام، وبعد عملية رصد مكثفة قام بها لتحديد هدفه جيداً، نفذ الرفيق حسين أبو نار عمليته الأولى، كانت التعليمات التي تصل الفدائيين تحثهم لتنفيذ عمليات جديدة، فقط حدد مكان وزمان العملية وبلغ قيادة التنظيم بذلك، كان مسئوله العسكري المباشر في تلك الفترة الرفيق سميح أبو حسب الله.

في عصر أحد أيام شهر مارس كمن الرفيق في زاوية البيارة، خلف أشجار الغيلان[١] المحاذية للطريق العام عند مدخل النصيرات مباشرة، كانت تمر في ذلك الوقت دورية للعدو قادمة من الجنوب، تتكون من سيارة مجنزرة وخلفها جيب صغير[٢]، كان الجيب يتحرك خلف المجنزرة ، كانت العملية تستهدف ضرب الجيب بعد مرور المجنزرة.

في الموعد المحدد جاءت الدورية وخلفها الجيب الصغير، تأهب الرفيق لضرب القنبلة، وكان عليه تقدير المسافة جيداً لتنفجر في الهدف مباشرة، إلا أن القنبلة قد أخطأت هدفها وانفجرت بعد مرور الجيب، ترك الرفيق المكان فوراً، سمع أثناء انسحابه صوت الانفجار، توقفت الدورية للحظات وبدأت المجنزرة في إطلاق النار بغزارة لإسكات وتخويف من يستهدفها.

لم يستطع المقاتل الانتظار أكثر ليعرف ما الذي يحصل لحظة الانفجار، فأي دقيقة أو ربما ثانية إضافية في المكان قد تكلفه حياته، لم تصب القنبلة هدفها مباشرة، إلا أنها كسرت حاجزاً نفسياً لدى الرفيق، وعلمته درساً عملياً في تقدير المسافات، واكتسب المزيد من الجرأة على تنفيذ عمليات أخرى، فأكثر ما يمكن أن يقوم به أفراد الدورية وقت حدوث العملية هو إطلاق النار نوعاً من التضليل ليس أكثر.

وفي عملية ثانية نفذها الرفيق أبو نار بعد أيام من عمليته الأولى، كانت أيضاً على الطريق العام عند مزلقان السكة الحديد المحاذي لمخيم النصيرات، كمن الرفيق هذه المرة

---

(١) وهي نوع من النباتات تستخدم سياجاً للبيارات.

(٢) جيب صرصور مكشوف بلا زجاج أمامي حمولته أربعة أفراد، كان يستخدمه العدو الصهيوني في مطاردة الفدائيين في أزقة وشوارع المخيم الضيقة.

خلف سياج البيارة المحاذية للطريق العام من جهة البريج، كان الهدف حافلة لنقل الجنود، من النوع المكشوف من الخلف، وبمجرد أن اقترب الهدف خرج الرفيق من مكمنه وضرب القنبلة لتدخل في "كبينة" الحافلة وتنفجر.

كانت طريق الانسحاب إلى الشرق هذه المرة، وبعد أن اجتاز الرفيق البيارة المحاذية للطريق العام التقط أنفاسه، وعاد أدراجه مرة أخرى ليستطلع الأمر ولكن على مسافة بعيدة من العملية، فشاهد سيارات نجدة تهرع للمكان والسيارة ما زالت متوقفة في مكانها رغم مرور أكثر من ربع ساعة بعد العملية، لم يعرف حجم الإصابات أو القتلى، أو الضرر الذي لحق بالسيارة، لكن القنبلة هذه المرة لم تخطئ هدفها وانفجرت في قلب السيارة.

أما العملية الثالثة فقد كانت في أحد أيام شهر إبريل ١٩٧٠، كانت في غزة هذه المرة، حدد الرفيق هدفه الذي كان على الطريق العام أيضاً، على مسافة أمتار إلى الشمال من مفترق عسقولة، كانت المنطقة مفتوحة وقليلة السكان، وبعد ذلك تحدياً ومغامرة بالنسبة لتنفيذ عملية بهذه الطريقة في تلك الفترة، انتظر الرفيق قدوم هدفه، سيارة رينو قادمة على الطريق، كان هذا النوع من السيارات يخصص لضباط المخابرات، وكانت التوجيهات في ذلك الوقت استهداف رتب عسكرية وضباط مخابرات، وقف الرفيق مكشوفاً ينتظر السيارة القادمة من الجنوب إلى أن أصبحت في مرماه، اقتربت السيارة أكثر فأكثر، ورفيقنا يزداد تأهباً وتشوقاً لضرب هدفه، وعلى مسافة أمتار أمسك قنبلته وضربها باتجاه الهدف، فكسرت زجاج السيارة الأمامي بعد أن ارتطمت به، واستقرت بداخلها.

نجح الرفيق في مغادرة المكان، ورغم أن القنبلة لم تنفجر، إلا أن أحداً لم يطلق النار باتجاهه، فقد أربكت القنبلة حساباتهم، وبقاؤها داخل السيارة ملأ قلوب ركابها بالخوف والرعب، وشل تفكيرهم فلم يفكروا بإطلاق النار على من ألقاها باتجاههم.

أما العملية الرابعة فقد كانت في شهر مايو ١٩٧٠، على الطريق العام عند مزلقان السكة الحديد المحاذي لمخيم النصيرات، الذي كان مسرحاً لتنفيذ العديد من العمليات آنذاك، كان الهدف هذه المرة مواجهة سيارة عسكرية قادمة من الجنوب، كان منفذ العملية يكمن خلف سياج البيارة المحاذية للطريق العام من جهة البريج، خرج الرفيق من مكمنه،

وضرب السيارة الهدف، وعلى الفور كسرت القنبلة الزجاج الأمامي للسيارة وانفجرت بداخلها، سمع رفيقنا صوت الانفجار وهو في طريق انسحابه، القنبلة أصابت هدفها وانفجرت، لكنه لم يعرف إلام انتهت الأمور.

بعد يوم من العملية التقى الرفيق منفذ العملية بالرفيق سميح أبو حسب الله، الذي كان يعلم بموعد تنفيذ العملية، وكان يراقب تنفيذ العملية من منطقة مرتفعة تكشف شارع صلاح الدين، فبادر بالسؤال:

- "إنت إيش اللي عملته ؟!.."

ارتبك الرفيق ولم يعرف ما يقصده مسئوله من هذا السؤال الذي لم يكن سؤالاً بقدر ما كان استغراباً مما حدث مع الرفيق في العملية، لم يعرف عمّ يسأل الرفيق واحتار في الإجابة، ولم يخطر بباله أنه يسأله عن العملية التي نفذها بالأمس . .

- "عامل إيش في إيش، أنا غلطان في حاجة، قول إنت أنا إيش عامل.. !!"

إجابة استنكارية لسؤال مبهم، وما زال الرفيق منفذ العملية لا يعرف ما وراء السؤال.

- "تعرف، أنا شفت العملية.."

قاطعه الرفيق مستغرباً - "أي عملية ؟"، فلم يكن يعرف وقتها أن أحداً كان يراقبه أثناء تنفيذه للعملية، إضافة إلى أنه لا يعرف شيئاً عن نتائجها ..

- "إنت مش إمبارح عملت عملية ؟"

- "أيوة ، وأنا جاي أبلغ عنها"..، كان هناك عُرْف لدى المقاتلين بالتبليغ عن عملياتهم التي ينفذونها.

وقال مسئوله مفتخراً: "أنا شفت العملية بعيني، وشفت السيارة لما قلبت عدة مرات، وفي الآخر ظلت مقلوبة لغاية ما أجت سيارة إسعاف، وبعدها أجى وِنْش وأخذوا السيارة".

ومع ذلك، وبرغم نجاح العملية إلا أنهما لم يستطيعا تقدير حجم الإصابات فيها[١]

(١) في مقابلة مع الرفيق حسين أبو نار.

العدو يعلن عن تصفية أخطر فدائي مطلوب في قطاع غزة

وفي ٧ إبريل عام ١٩٧٠، استشهد القائدان المطاردان الرفيق سلامة العروقي القائد العسكري لمنطقة خانيونس، ورفيق دربه سليمان البيومي[١]، وهما مقاتلان ذاع صيتهما بين جماهير شعبنا، حيث كان الرفيق سلامة "أبو حنفي" من أشرس المقاتلين في المنطقة الوسطى وفي منطقة خانيونس، والرفيق سليمان قائداً عسكرياً وسياسياً محنكاً، كانا قادمَين من سيناء بعد أن مكثا قرابة شهر هناك للتخفيف من عبء التخفي والمطاردة من جهة، ولتفقد أوضاع المجموعات القتالية هناك من جهة أخرى، حضرا إلى خانيونس في تلك الليلة للالتقاء ببعض المقاتلين قبل الانطلاق لتنفيذ عمليتهم العسكرية الجديدة، واستقر بهما المقام للمبيت في الملجأ الخاص بهما[٢] في منزل الرفيقة أم طلال الأسطل[٣]، الكائن في منطقة الرّبوات الغربية[٤]، وفي تلك الليلة داهمت قوات كبيرة من العدو المنطقة متجهة لاقتحام أحد المنازل المتاخمة لمنزل الرفيقة أم طلال، وهو منزل الرفيق عمران

---

(١) ولد في مدينة خان يونس عام ١٩٤٢، التحق بصفوف بحركة القوميين العرب وبالجبهة الشعبية منذ تأسيسها عام ١٩٦٧، وكان من أبرز قادتها السياسيين في القطاع، كان يطلب باستمرار الالتحاق بالعمل العسكري، إلا أن القيادة العسكرية كانت ترفض ذلك كونه الابن الوحيد في أسرته، وبعد إلحاحه الشديد والمتواصل تم الحاقه بالجهاز العسكري للجبهة، وأصبح من قادتها العسكريين في خانيونس، ظل مطلوباً للعدو الصهيوني إلى أن استشهد في مواجهة عسكرية بتاريخ ١٩٧٠/٠٤/٠٧.

(٢) ملجأ معد ومجهز بشكل جيد ومسقوف بالخرسانة المسلحة، يقع أسفل منزل الرفيقة أم طلال، باب الملجأ يقع تحت زريبة للبقر مغطى بأكوام من العشب والعَلَف الملقى على الأرض، ومموّه بطريقة لا يستطيع أحد التنبه لها، وفي الزريبة بقرة حلوب تعتني بها الرفيقة أم طلال.

(٣) فرحانة موسى سليمان الأسطل، وهي رفيقة ذات شخصية قيادية تميزت بالجرأة والشجاعة، تنتمي لعائلة جبهاوية مقاتلة، ابنها الرفيق طلال من مقاتلي الجبهة، وأصيب واعتقل خلال عملية مداهمة المنزل، رفضت مغادرة المنزل هي وزوجها وابنها وابنتها، فأصيبوا جميعاً جراء همجية العدو وشراسة القتال.

(٤) منطقة كثبان رملية مغطاة بالأحراش، وتسمى أيضاً منطقة "الحاجر"، استخدمتها قوات جيش التحرير لتدريب عناصرها قبل هزيمة ١٩٦٧، وأنشأ فيها فدائيو الجبهة قاعدة عسكرية لهم، مُجهّزة بكميات كبيرة من العتاد والسلاح.

الأسطل[١]، وفرضت منع التجول على المنطقة، وحاصرت المنزل استعداداً لاقتحامه، واعتقال من بداخله.

صادف في تلك الليلة وجود أكثر من مجموعة قتالية للجبهة في المنطقة، تجمّعت حشودات العدو أمام منزل الرفيقة أم طلال، وبدأت تأخذ مواقعها في المكان، وبمجرد أن شعرت الرفيقة أم طلال بتحركات مريبة في المكان، هرعت لتبليغ الرفيقين المطلوبين سلامة وسليمان اللّذين كانا يختبئان في منزلها، وعلى الفور اختبأ الرفيقان المطلوبان في ملجئهما أسفل البيت، كان اعتقادها بأن عملية الدهم تستهدف منزلها، إلا أن التقديرات تشير إلى غير ذلك، فالهدف من العملية كان اعتقال الرفيق المقاتل عمران الأسطل الذي أصبح مطلوباً للعدو بعد اكتشاف حقيقة التحاقه بالفدائيين.

جميع من في المنزل يضرب أخماساً بأسداس، لا أحد يعرف ما يُرتب له الجنود، الحج درويش "أبو طلال" وزوجته وابنته وابنه طلال وعمران ويحيى الأسطل تجمعوا في "الحوش"، طلال ويحيى وعمران كانوا ضمن المقاتلين غير المعروفين أو المطلوبين للعدو، ولم يكن باعتقادهم أن حشودات العدو تستهدف أحدهم.

في الملجأ الخرساني تكدست كميات كبيرة من السلاح والذخيرة، وهو مجهّز ليكون قاعدة عسكرية للفدائيين في تلك المنطقة، وقد كانت تلتقي فيه القيادة العسكرية للجبهة لتعطي تعليماتها لقادة المجموعات هناك.

تابع الرفيقان ما يجري عن كثب، واستعدّا للمواجهة، وبعد تقييمهما لما يجري اتخذا قرارهما ببدء المعركة، فالأمر متاح لمفاجأة العدو وإرباكه، تبادلا الإشارات وتوزّعا، ثم ضغطا على الزناد، معلنَين بدء القتال، ومع ساعات الفجر الأولى بدأت المعركة، الطلقة الأولى كانت في الهواء، ليأخذ أهل البيت حذرهم ويبتعدوا عن المكان، اقتحم العدو حوش المنزل، وأطلقوا النار بوحشية ودون تمييز، فأصيب كل من تواجد في البيت، "الرفيقة أم طلال وزوجها وابنها وابنتها"، واستمر أحد الجنود بإطلاق النار اتجاه الرفيق يحيى حتى بُترت ساقه، دوي إطلاق النار من كل حدبٍ وصوب، ورائحة البارود اختلطت مع غبار

---

(١) أفادنا أحد الرفاق بأن محاصرة منزل الرفيق عمران الأسطل وهو أحد مقاتلي الجبهة العاملين في منطقة خانيونس جاءت على خلفية اعتقال خلية عسكرية تابعة للجبهة قبل مدة، وهناك تقديرات بوجود اعترافات على الرفيق عمران من أحد أفراد هذه الخلية، لذلك توجهت قوات العدو لمنزله لاعتقاله.

الرّبوات لتُفسد نسيم ذلك الصباح الوليد، وصوت القنابل المتفجرة تحت أقدام الغزاة يُخبر عن هول المواجهة، البيوت القريبة من هناك أطفأت مصابيحها، وراح الأهالي يتابعون بقلق ما يجري، اندلعت في المكان مواجهة عنيفة بعد أن ألقى الرفاق قنابلهم في وسط حشودات العدو، واستمرت الاشتباكات لساعات، استخدم فيها الرفاق كل ما لديهم من عتاد، أكثر من مجموعة شاركت في التصدي لقوات العدو، مما دفع العدو لطلب تعزيزات جديدة لإحكام السيطرة على المكان، ولإخماد البؤر المتفجرة(١) التي تشتبك معه من أكثر من جهة، ومع قدوم التعزيزات حضرت إلى المكان طائرة هيلوكوبتر، ظلّت تحوم في السماء، متأهبة باستمرار، تغدو وتروح لنقل المصابين.

ومع أول إشراقة للشمس، طلب الرفيق سليمان من قائده الانسحاب ليواجه مصيره لوحده، إلا أن الشهادة كانت موعدهما معاً، كُتب لهما أن يجتمعا في دروب المواجهة والتصدي، وأن يلتقيا معاً في درب الشهادة والخلود، رغم استمرار المواجهة لساعات طويلة، ورغم نجاح العدو في اسكات بؤر الاشتباك الأخرى التي انخرطت في القتال من المنازل المجاورة، واعتقال عدد من المقاتلين، إلا أنه فشل في اعتقال البطلين المطاردين أو إرغامهما على الاستسلام، فاستعان بجرافة عسكرية ضخمة قامت بهدم المنزل وتجريفه بالكامل، وبعد أن أصبح المكان مكشوفاً للعدو، استشهد الرفيق سليمان البيومي برصاصة مباغتة في رأسه، وترجل الفارس عن "صهوة جواده"، ويده قابضة على الزناد.

هدوء وصمت مريب دبّ في أرجاء المكان، وبعد توقف إطلاق النار، تخلى الجنود عن حذرهم، وتحركوا باتجاه المنزل، وتجمهروا فوق أطلاله، كان بإمكان الرفيق سلامة الانسحاب من المكان، إلا أنه لجأ إلى خدعة تُمكّنه من تصفية أكبر عدد من الجنود، فخرج إليهم متظاهراً بتسليم نفسه، وعلى الفور تدافع نحوه الجنود وضباط المخابرات، وإذ

---

(١) الرفيق المقاتل أحمد الأسطل (أبو يحيى)، ومعه مقاتلون آخرون من جهة أخرى كانوا متواجدين في المنازل المجاورة.

** أحمد سليمان محمد "عواد" الأسطل: من مواليد عام ١٩٢٧، مناضل شرس، شارك في عام ١٩٥٦ ضمن المجموعات الفدائية التي تصدت لقوات العدو الصهيوني أثناء احتلالها لمدينة خانيونس، بعدها التحق بقوات جيش التحرير، وفي عام ١٩٦٧ نفذ العديد من عمليات تفجير الألغام التي استهدفت نسف وتفجير خطوط السكة الحديد والكباري (العبّارات) لقطع إمدادات العدو، وفي أواخر عام ١٩٦٩ التحق بإحدى الخلايا المسلحة التابعة للجبهة الشعبية، وبعد استشهاد الرفيق سلامة العروقي أصبح مطارداً للعدو، وظل مطلوباً للعدو حتى وفاته عام ١٩٨٦.

به يضرب قنبلته مفجّراً إياها في وسطهم، ما أدى إلى مقتل وإصابة العديد منهم، واستشهد البطل سلامة ليلتحق برفيقه الذي سبقه إلى الخلود(١).

أفاد الرفيق يحيى الأسطل، أنه بعد استشهاد البطلين المطاردين العروقي والبيومي، وانتهاء العملية بالكامل، سَحَل جنود العدو جثتي الشهيدين وبشَّعوا ونكّلوا فيهما، وأضاف بأن هذه العملية كانت الأعنف والأجرأ والأكثر إيلاماً للعدو حتى هذا التاريخ.

وفور انتهاء العملية أعلن راديو العدو أن قواته نجحت في تصفية أخطر فدائي في القطاع، في إشارة منهم إلى الرفيق البطل سلامة العروقي(٢)، وفي خطوة انتقامية استمر فرض الطوق ومنع التجول على منطقة خانيونس لمنع الأهالي من الخروج في مظاهرات غاضبة أو المشاركة في تشييع الشهيدين البطلين، في حين سمح العدو بنقلهما في سيارة البلدية وتشييعهما بحضور خمسة أشخاص فقط من عائلتيهما، وعلى هذا النحو دُفن الرفيقان القائدان في مقبرة الشهداء بمدينة خانيونس(٣)، وهناك انطوت صفحة من صفحات البطولة والفداء، إلا أن الحكاية لم تنته بعد.

---

(١) في اتصال مع الرفيق يحيى الأسطل.

** ولد الرفيق يحيى أحمد سليمان الأسطل بمدينة خانيونس بتاريخ ١٩٤٩/٠٦/٠٣، التحق بصفوف الجبهة الشعبية وبعملها العسكري في أواخر عام ١٩٦٩، اعتقل خلال مداهمة قوات العدو لأحد البيوت بتاريخ ١٩٧٠/٠٤/٠٧، وأصيب أثناء عملية الدهم إصابة بليغة أدت إلى بتر ساقه، أفرج عنه بعد ٨ أشهر بسبب عدم اعترافه وتردي وضعه الصحي، وبتاريخ ١٩٧١/٠٤/٠٧ اعتقل مرة أخرى لمدة ٨ سنوات، وبعد خروجه من السجن سافر إلى مصر لإكمال دراسته، وفي عام ١٩٨٦ حصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية، ومع قدوم السلطة الفلسطينية عام ١٩٩٤، عمل معلماً في إحدى المدارس الحكومية، لا زال الرفيق يحمل في قلبه حماسة اللحظات الأولى التي كان فيها مقاتلاً، ولا زال متمسكاً بالقيم والأهداف التي ناضل من أجلها.

(٢) في مقابلة مع الرفيق محمد معالي أبو سمرة.

(٣) في اتصال مع الرفيق أبو سليمان الفرا.

منع تجول ومداهمات وحملات تفتيش لمدة ١٥ يوماً في منطقة السوارحة

في أواسط عام ١٩٧٠، توجهت مجموعة من المطاردين من مخيم البريج إلى منطقة السوارحة، جنوب غرب مخيم النصيرات، ومعهم رفاق آخرون من مناطق أخرى، كان في انتظارهم الرفيق شيبوب، لدراسة بعض الأمور واتمام بعض المهمات والإعداد لعمليات لاحقة، كان هدف المطاردين المبيت هناك في تلك الليلة.

صادف أن دخلت قوات كبيرة من جنود الاحتلال إلى نفس المكان الذي يتواجد فيه المطاردون، وآثر الرفاق الانسحاب من المكان وتفويت فرصة النيل من أحدهم، أما إذا فرضت عليهم المواجهة فسوف يواجهون مصيرهم بشجاعة، وستكون عواقب الأمور وخيمة على الاحتلال وجنوده، وبالفعل خرج المطاردون بكامل عتادهم وتهيأوا للمواجهة، فيما لو فرضت عليهم، وأثناء مغادرتهم المكان خرج عليهم أحد سكان المنطقة، وخاطبهم ناصحاً: "وين رايحين، الجيش قدامكم، وفي عمليات تمشيط للجيش".

وتمنى على المطاردين قضاء الليلة عنده في البيت، وبالفعل لبى المطاردون رغبة الرجل الذي أفرط في ترحابه لهم، وقضوا ليلتهم عنده، وفي الصباح شدوا رحالهم للخروج من هذه المنطقة، إذ أنهم لا زالوا يستشعرون الخطر، وبأن الجيش لا زال يبحث عن صيد ثمين فيها، وبالفعل لاحظوا قدوم دورية للجيش، فأخذوا قرارهم بالمواجهة، وبعد أن قاموا بتأمين الرفيقة عايشة خلف ورفيقة أخرى، كمنوا للدورية وأخذوا مواقعهم، وعندما اقتربت منهم الدورية، انهمرت قنابلهم واستقبلوها بوابل نيرانهم واندلعت هناك مواجهة عنيفة، تمكن فيها رفاقنا من قتل وإصابة العديد من الجنود، فيما اعترفت إذاعة العدو بمقتل اثنين من جنوده وإصابة آخرين، وما أن وصلت نجدات العدو إلى المكان، كان رفاقنا قد غادروا المكان بسلام، لم يستطع العدو تجرع مرارة الهزيمة بعد مقتل عدد من جنوده، ففرض منع التجول على المنطقة، وبدأت عمليات التمشيط والدّهم للبيوت، ومارسوا كل أشكال الإرهاب والتعذيب للأهالي هناك، واستمر منع التجول ١٥ يوماً، إلا أنهم لم يتمكنوا من إلقاء القبض على أي شخص من المطلوبين[١].

(١) في تسجيل مع الرفيقة عايشة خلف.

معركة المغازي الكبرى الثانية

في أقل من خمسة شهور شهد مخيم المغازي معركتين بطوليتين، خاضهما أبطال الجبهة الشعبية، أطلق أهالي المغازي على المعركة الأولى، والتي كانت بتاريخ ٥ يناير ١٩٧٠، التي استشهد فيها الرفيق أبو النصر ورفاقه بمعركة المغازي الكبرى، فقد شهد المخيم في تلك المعركة الرفاق وهم يواجهون ببسالة جيشاً مدججاً بالسلاح والعتاد، وكيف أوقعوا فيه العديد من القتلى والجرحى، ومرغوا أنوف جنوده في التراب.

وفي ١٨ إبريل ١٩٧٠، وعلى مسافة أمتار من المكان الذي اندلعت فيه المعركة الأولى، كان المخيم على موعد مع معركة أخرى، معركة الست ساعات، سميت بمعركة المغازي الكبرى الثانية، التي تناقلت أخبارها وكالات الأنباء العالمية، والتي استشهد فيها أربعة من الرفاق القادة وهم: محمود عليان الملقب عرابي، وأحمد عبد الهادي، وعبد المجيد السعيدني، وعبد الله حسين، وباستشهادهم تلقّت الجبهة ضربة قاسية، فهذه المجموعة كانت بمثابة العمود الفقري لقوات الجبهة الشعبية في المنطقة الوسطى، وكانت أيضاً من أكثر المجموعات انضباطاً وصلابة ودراية بالعمل العسكري، وقد سميت هذه المجموعة باسم قائدها الرفيق محمود عليان، الذي أشرف على تنظيمها وإعدادها وتسليحها.

اقتحمت قوات الاحتلال مخيم المغازي ليلاً بعد وشاية من أحد العملاء، الذي أخبرهم عن المكان الذي يتخندق فيه مقاتلو الجبهة، وينطلقون منه للقيام بمهماتهم الكفاحية، كان ذلك المكان هو منزل الرفيقة صبحة الصلحات (الحجة أم عدنان)، جهّزه المقاتلون ليكون قاعدة عسكرية للفدائيين في مخيم المغازي، قامت قوة كبيرة من الجيش الصهيوني بضرب حصار شديد حول المخيم، في محاولة يائسة للقبض على ثوار الجبهة الشعبية الذين أرهقوا العدو في المنطقة الوسطى.

حاصرت قوات غفيرة من جنود العدو المنزل، وعن طريق مكبرات الصوت طلبوا من الرفاق أن يستسلموا، أصرت الرفيقة صبحة على البقاء مع الفدائيين هي وأطفالها الصغار (جهاد، ومحمد، وزكية)، إلا أن الفدائيين أجبروها على مغادرة المنزل حفاظاً على

حياتها وحياة أطفالها، وتمكنوا من إخراجها بسلام رغم احتدام الحصار الذي ضربه العدو حول المنزل، رفض المقاتلون دعوات الاستسلام، وتهيأ الجميع للمواجهة، أخذ كل واحد منهم موقعه في المنزل، أعطى عرابي تعليماته وتوجيهاته للمقاتلين: "لن يمروا إلا على أجسادنا"، وبدأت المعركة، "يلا يا رجال"، كان ردهم من فوهات البنادق، فأطلقوا النار وألقوا بعدد من القنابل اليدوية باتجاه القوة التي تحاصر المنزل، لم يجرؤ العدو على الاقتحام، ولما بدأت قوات العدو تشعر بفقدانها السيطرة في المعركة، طلبت تعزيزات جديدة، فحضرت إلى المكان طائرة هيلوكوبتر ودبابات تحمل مدفعية ثقيلة، وللمرة الثانية ضربات الفدائيين تجبر الصهيوني المجرم "موشيه ديان" على الحضور إلى أرض المعركة ليقود قواته بنفسه، فأمر بقصف المنزل بالقنابل وقذائف الأنيرجا، ومن ثم دفع بجرافة عسكرية إلى المكان، وما أن اقتربت من سور المنزل حتى انطلقت باتجاهها النيران والقنابل، فعادت أدراجها، دارت هناك معركة حامية الوطيس، سقط فيها أكثر من ١٨ جندي بين قتيل وجريح، وأعطبت بعض المجنزرات وقد شوهدت سيارات الإسعاف وهي تنقل القتلى والجرحى من أفراد العدو، استمرت المعركة ست ساعات دامية، استبسل فيها الرفاق ولقنوا قوات العدو المدججة بالعتاد والسلاح والمدعومة بجرافة عسكرية دروساً في البطولة وفن المواجهة، قام العدو بقصف المنزل بالقنابل الحارقة حتى تناثرت أشلاء الرفاق الأربعة، وأصبح من غير الممكن تشخيصهم أو حتى معرفة عددهم، استشهد جميع أفراد المجموعة، وهم الشهداء الأبطال: محمود عليان، وأحمد عبد الهادي، وعبد المجيد السعيدني، وعبد الله حسين، بعد أن خاضوا معركة شرف وبطولة أطلق عليها الأهالي معركة المغازي الكبرى الثانية(١).

وفي ٢٠ إبريل ١٩٧٠، نظمت جماهير شعبنا الغاضبة مظاهرة ضخمة توجهوا بها إلى مقبرة البريج، حيث دفن بها الشهداء، وقاموا بزرع الورود على أضرحتهم الطاهرة، وفي ٢٢ إبريل ١٩٧٠، قام ثوار الجبهة بتوزيع منشورات وبيانات تدعو جماهير شعبنا في قطاع غزة للصمود والمثابرة على النضال، وتدعوهم إلى الإضراب الشامل لمدة ٣ أيام حداداً على أرواح الشهداء الأبطال.

---

(١) في اتصال مع الرفيق جلال حافظ عزيزة.

عملية نادي النصيرات

في الأول من يوليو ١٩٧٠، قرر مقاتلو الجبهة نصب كمين لإحدى دوريات العدو التي اعتادت الدخول لمخيم النصيرات قادمة من شارع صلاح الدين، وكان الهدف من هذه العملية توجيه ضربة قاسية، ووضع حد لهذه الدوريات التي بدأت تتجرأ على دخول مخيماتنا في الليل.

ومع بداية ساعات المساء تجهزت مجموعتان من مقاتلي الجبهة المغاوير، مجموعة من النصيرات وهم الرفاق: علي أبو سلطان، وسميح أبو حسب الله، ومازن الحزين، وسليمان العر، ومحمود الدهيني، وضيف الله أبو عطيوي، وعبد الحميد الشطلي، وعلي الصلحات، ومحمد أبو فريح، ويوسف محمد عابد(١)، وآخرين، ومجموعة أخرى من البريج وهم الرفاق: محمد فارس ياسين "أبو العز"، وخير الدين حمد(٢)، وخليل الجديلي(٣)، ومحمد موسى ياسين "أبو النمر"، أخذت مواقعها بقيادة الرفيق القائد محمد فارس ياسين، تجاوز عدد المشاركين في هذه العملية أكثر من ١٥ مقاتلاً، أعطوا توجيهاتهم للباعة المتجولين في المكان بالانسحاب حفاظاً على أرواحهم، وأصبح المكان مع اقتراب المساء جاهزاً لصيد الأرانب !!.

---

(١) ولد في قرية بيت دراس بتاريخ ١٩٤٦/٠١/٠٧، نزح مع أسرته قسراً في نكبة ١٩٤٨، وسكن في مخيم النصيرات للاجئين، التحق بصفوف الجبهة الشعبية وبجهازها العسكري سنة ١٩٦٩، وشارك في العديد من العمليات العسكرية، اعتقل في سبتمبر ١٩٧٠، وأفرج عنه بعد اعتقاله بخمس سنوات بسبب مرضه، بعد تدخل لجنة الصليب الأحمر الدولية، توفي في ظروف غامضة أثناء عمله في الداخل المحتل في شهر يوليو ١٩٨٠، وهناك تقديرات بأن للمخابرات الصهيونية يداً في اغتياله ارتباطاً بانتمائه للجبهة الشعبية، وعمله في جهازها العسكري.

(٢) ولد في مخيم البريج في عام ١٩٥١، نزحت أسرته قسراً من قرية المغار في نكبة ١٩٤٨، التحق بصفوف الجبهة الشعبية وبجهازها العسكري سنة ١٩٦٩، وشارك في العديد من العمليات العسكرية، في عام ١٩٧٠تم اغتياله من قبل عناصر مشبوهة في الوقت الذي كان فيه خلاف بين الجبهة الشعبية وحركة فتح (سجل الخالدين، محافظة الوسطى).

(٣) ولد في قرية القبيبة في عام ١٩٣٦، نزح مع أسرته قسراً في نكبة ١٩٤٨، التحق بصفوف الجبهة الشعبية وبجهازها العسكري منذ بداية عام ١٩٦٨، نظراً لتلقيه تدريبات في جيش التحرير الفلسطيني شارك في عمليات تدريب المقاتلين الجدد على استخدام السلاح وتنفيذ العمليات، شارك في العديد من العمليات العسكرية، توفي بتاريخ ١٩٩٣/٠٥/٢٤ بعد إصابته بمرض العضال (المصدر السابق).

كمنت المجموعة الأولى شرق مبنى نادي خدمات النصيرات، حيث كمن عدد منهم خلف شجرة جميز ضخمة قطر جذعها أكثر من مترين والباقون أخذوا مواقعهم في قهوة البرابرة القريبة من المكان، أما المجموعة الثانية فقد نصبت كمينها في الغرف المطلة على الشارع، الموجودة عند مدخل النادي.

أفادت معلومات الرصد بأن دورية راجلة تأتي كل يوم، وتقف أمام نادي الخدمات، وتنتظر قدوم الدورية المحمولة، وقد كانت الخطة أن يتم الانقضاض على الدوريتين فور التقائهما، تأخرت الدورية وتردد الفدائيون ما بين البقاء في المكان أو الانسحاب خصوصاً بعد مرور أكثر من ثلاث ساعات وهم ينتظرون قدوم الدورية التي أكدت معلومات الرصد بأنها تدخل المخيم في كل يوم مع حلول الظلام، وفي تمام الساعة العاشرة مساءً وصلت دورية للعدو مكونة من مجنزرة وجيب عسكري يتحرك خلفها قادمة من جهة الشرق، اتفق الفدائيون على أن تمر السيارة الأولى عن الكمين الأول، وأن يبدأ الهجوم بعد وصولها للكمين الثاني[١].

تأهب الرفاق للمعركة ومرّت المجنزرة عن الكمين الأول ثم مرّ جيب "البَوَر"، وفور وصول المجنزرة للكمين الثاني بدأت لحظة الصفر، أمطر الرفاق دورية العدو بقنابلهم ونيران رشاشاتهم، أكثر من عشرين قنبلة ضربت دفعة واحدة، وانطلقت زخات من الرصاص من فوهات بنادقهم، دب الرعب في قلوب جنود العدو ولم يستوعبوا ما يجري، قفز الجنود من المجنزرة فانهالت عليهم القنابل التي أصابتهم بشكل مباشر، بعدها خرج أربعة جنود من الجيب الذي بدأت تشتعل فيه النيران وحاولوا دخول أحد غرف "المنظمة" للسيطرة على المكان إلا أن الرفيق قائد المجموعة كان متيقظاً لمحاولتهم وألقى عليهم بقنبلة قتلتهم على الفور، تم إعطاب المجنزرة وانحرف الجيب عن مساره بعيداً عن مكان المعركة وهرب باتجاه السوق وبدأ بإطلاق النار من هناك، وفي أقل من خمس دقائق تمكن الرفاق من قتل خمسة جنود وإصابة أكثر من عشرين آخرين، "هربت المجنزرة إلى الطريق العام باتجاه مخيم البريج، وصوت صراخ الجنود وهم يصيحون ويولولون بداخلها يشير إلى ضراوة المعركة وحجم خسارة العدو فيها، وعندما توقفت بالقرب من مزلقان

---

(١) في مقابلة مع الرفيق حسين أبو نار.

البريج بدأت بإطلاق النار !![1]"، انسحب الرفاق من مكان المعركة بسلام وتوجهوا إلى مخيم دير البلح لعلاج الرفيقين اللذين أصيبا إصابات طفيفة في العملية.

وفي اليوم التالي للعملية وجد الأهالي أحد الجنود الذين هربوا أثناء الاشتباك مختبئاً خلف سياج البيارة المجاورة للنادي، وقاموا بتسليمه لمركز الشرطة المجاور، وأثناء تفقد الفدائيين لمكان العملية بعد انتهاء انسحاب قوات العدو وبعد انتشالهم للجنود الجرحى والقتلى، وجدوا عدداً من مخازن الأسلحة، ومواداً طبية استخدمها الجنود أثناء الاشتباك لإسعاف جرحاهم، والطريف في الأمر أن العدو اعتقد بأن من نفذ العملية كوماندوز من القوات المصرية، وهذا ما صرحت به إذاعته عند إعلانها عن العملية، أن قوات كوماندوز من المصريين قد عبروا إلى قطاع غزة عن طريق البحر، ونفذوا العملية الإرهابية في النصيرات.

جاء هذا الاتهام بعد الخطابات الحماسية التي كان يلقيها الزعيم جمال عبد الناصر، ويؤكد من خلالها دعمه الكامل لنضال الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني والتي أشاد فيها بالعمل المسلح وبالضربات التي ينفذها الفدائيون آنذاك، ويعكس هذا الاتهام القدرات القتالية العالية التي أظهرتها قوات الجبهة في تنفيذ العملية[2].

عُرفت العملية أيضاً باسم "عملية الجميزة" بسبب وجود شجرة الجميز الضخمة بالقرب من مكان تنفيذ العملية.

---

(١) أفادنا الرفيق حسين أبو نار بأنه شاهد المجنزرة وهي تهرب من مكان العملية، عندما كان واقفاً يراقب المشهد من الشرق من أمام شرفة منزله الذي كان مواجهاً للحدث، وأضاف بأنه سمع صراخ الجنود المصابين بداخلها.

(٢) في مقابلة مع الرفيق علي الصلحات.

ويستشهدان معاً

أسبوعان مرّا على ولادة الزوجة عايشة، أحمد ولي العهد صرخ في وجه هذه الدنيا ليعلن رفضه للاحتلال، ورفضه لحياة اللجوء، صرخات دوّت في سماء المخيم وأخذت طريقها إلى أن وصلت والده الفدائي المطارد الذي بدأ يبحث في طريقة يلتقي من خلالها بزوجته ويرى بها مولوده البِكر أحمد.

في ٢٢ أكتوبر ١٩٧١، بعد أسبوعين من ولادة أحمد، وصل الرفيق داوود خلف لمنزل أحد الأصدقاء في مخيم البريج متخفياً، وأوعز لإحدى السيدات أن تذهب لزوجته وتخبرها بأن داوود ينتظرها هي وأحمد هناك.

- "حاضر هيني جاية !" .

يبدو أن أحد العملاء نجح في رصد الرفيق داوود عند قدومه للمخيم، طارت العصفورة إلى مخابرات العدو المتأهبة لسماع مثل هذه الأخبار، فحضرت قوات غفيرة من الجنود وانتشروا فوق سطوح المنازل، ونصبوا كمينهم وأحكموا قبضتهم على مفترقات الشوارع ، وسيطروا على منافذ المخيم.

حملت الأم المسكينة ابنها الرضيع وهمّت بالخروج، فأوقفها والدها وسألها:

- "وين يابا رايحة ؟".
- "داوود جاي عند دار الجيران وبدو يشوف ابنه".
- "هاتي الولد وروحي لحالك".
- "هوة جاي يشوف ابنه !".

رفض والدها أن تأخذ ابنها معها، وأشار إليها بأن تذهب لوحدها، وبعدما تشعر بالأمان هناك، تعود لتأخذ ابنها، كان والدها حريصاً على ألا يتعرض الطفل الرضيع لأي مكروه أو خطر يمكن أن يودي بحياته.

خرجت أم أحمد لوحدها وعندما اقتربت من البيت الذي ينتظرها فيه زوجها المطارد، شاهدت قوات غفيرة من الجيش تنتشر في المكان وتفرض منع التجول.

- "إيش في ؟!، بشوف الجيش بطوّق المنطقة !!"

- "لا والله ما في شي، أنا جيت وما في أي شي".

استنفرت الأم والزوجة المقاتلة، واستنكرت كل ما يجري، وأحسّت بأن كميناً نصبه العدو لزوجها في ذات المكان، خرج زوجها من البيت، فلحقت به، أشار لها من بعيد بأن ترجع للبيت، إلا أنها ظلت تتابع حركته وتركض خلفه، الجيش ينتشر بكثافة في شوارع المخيم، وأسقف البيوت تطل منها البنادق.

- "روحي وارجعي".

ثلاثة جنود ارتطموا بالرفيق داوود والتصقوا بالحائط من شدة الخوف، اخشوشبت أوصالهم، وتجمدت الدماء في عروقهم عندما رأوه يحمل بندقيته، وفي وسطه عدد من القنابل، منعته زوجته من قتلهم، وطلبت منه أن يسلم نفسه حفاظاً على حياته، زجرها وطلب منها الرجوع للبيت.

-"أمانة في رقبتك، لمّا يكبر أحمد يدخل في الكلية الحربية"

كانت هذه آخر الكلمات التي سمعتها من زوجها البطل، الذي تكالب عليه الجنود، اختفى الفدائي عن ناظريها، ارتبكت خطواتها بعدما تبادل الطرفان اطلاق النار، دارت في المكان معركة حقيقية، أزيز الرصاص أخذ يتقاطع في الفضاء، منشداً لحن وداع للفدائي الشهيد، نشيد "فدائي" يردده أهالي المخيم الذين سمعوا صراخ الجنود وهم يهربون من أمام الفدائي البطل، سقط الفدائي شهيداً، ودمه تسربل في ثنايا الأرض ليروي عطشها "أنا ابن الأرض الثكلى، وشريانها المخضب بالدماء".

توقف اطلاق النار، الزوجة الثكلى ما زالت تبحث عن فارسها الشهيد، هناك تكالب حوله الجنود، وعندما بدأت بالصراخ حملها الجنود إلى أحد المنازل وهدّدوا أصحاب المنزل بألا يخرجوها من المنزل، استشهد الفارس البطل داوود خلف، انتشر الخبر في أرجاء المخيم، رفيقه سليمان العر حضر معه إلى المخيم، وتركه لينفرد بزوجته وابنه، إلا أنه انفرد بالجنود.

- "أبو أحمد استشهد يا سليمان".

وبمجرد أن سمع منها هذه الكلمات، حمل بندقيته وخرج باتجاه الجنود المتحلّقين حول جثمان رفيقه داوود، وظل يطلق النار نحوهم، ويحتمي خلف جدار من طلقات

الجنود الذين اعتلوا أسقف المنازل، تساقط من أمامه الجنود، وهرب آخرون، معركة جديدة اندلعت للتّو، وصوت أزيز الرصاص ينطلق من كل حدب وصوب، الأسد الجريح يزأر ورصاصاته تخترق رؤوس وأجساد الجنود ليرثي رفيقه الذي سبقه إلى الخلود، استشهد الرفيق سليمان، ولحق برفيق دربه، ليستشهدا معاً بعد مواجهة ضارية مع العدو الصهيوني[١].

---

(١) في مقابلة مع الرفيقة عايشة خلف.

إغراء بالمال

وفـي إبريـل ١٩٧٢، اصـطدم الرفيـق ضـيف الله أبـو عطيـوي مـع دوريـة للعـدو فـي منطقـة وادي غـزة قـرب الجسـر، وأوقـع فـيهم عـدداً مـن القتلـى والجرحـى، وعلـى إثـر هـذه العملية قامت أجهزة مخابرات العدو بنشر صورته على المواطنين وإغرائهم بمبلغ كبير من المال لمن يبلغ عنه.

الرفيق ضيف الله قليل الظهور في أزقة وشوارع المخيم، يضرب هدفه ثم يختفي، ولا يعرف له أحد طريق، نجا من الموت أكثر من مرة، مواجهات عنيفة خاضها مع العدو أصيب في بعضها، وآثر الانسحاب في مواجهات أخرى، إلا أنه في كل مرة كان يغيظ العدو بحنكتـه وشـجاعته، الكثيـر مـن الكمـائن نصـبها العـدو للإجهـاز عليـه، إلا أنـه نجـا منها.

وبتاريخ ٢٨ إبريل ١٩٧٢، وصلت العدو معلومات مؤكدة عن المكان الذي يختبئ فيه، وعلى الفور هرعت قوات غفيرة من جنود وآليات العدو الإسرائيلي وحاصرت المكان الذي يوجد فيه الرفيق ضيف الله، كان يحتمي هذه المرة في إحدى بيارات البرتقال في منطقة جحر الديك شمال وادي غزة، وبعد أن سيطروا على منافذ البيارة، طلبوا منه تسليم نفسه ونادوا عليه بمكبرات الصوت واعتلوا أسطح المنازل القريبة من البيارة . .

– سلّم نفسك، المكان محاصر، سلّم تسلم . .

اختار رفيقنا المواجهة، وأبى إلا أن يلقّن العدو درساً في البطولة والفداء، وعلت صيحات رفيقنا ونادى "أهلاً بك يا موت إن كان هو الطريق إلى فلسطين"، وحمل رشاشه وأمطرهم بوابل نيرانه إلى أن نفذت ذخيرته . .

وفي معركة غير متكافئة قاتل فيها قتال الأبطال، استشهد الرفيق ضيف الله، بعد أن سطر بدمائه ملحمة تحدٍ وتضحية وبطولة![1].

---

(١) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، سجل الخالدين، محافظة الوسطى، ص٣٢.

مجابهة العدو لهذا النوع من الرجال خاسرة

(استشهاد أحمد عمران "حاكم النصيرات")

في أواخر عام ١٩٧٠، تم ترحيل الرفيق أحمد عمران من سجن غزة المركزي إلى سجن عسقلان، ورغم أن السجن من أكثر السجون تحصناً إلا أن فكرة الهروب منه ما تزال تعشعش في رأسه، بعد عامين في سجن عسقلان تهيأت الظروف لتنفيذ مخططه الجريء، بعد أن أوكلت إليه مهمة العمل في مطبخ السجن مع غيره من محكومي المؤبدات.

حاول العدو الصهيوني أكثر من مرة التخلص من الرفيق أحمد عمران بنفس الطريقة التي تخلص بها من رفاق آخرين، وذات مرة نصبوا له فخاً محكماً لتبرير قتله، فأبلغوه بأنه سيتم نقله من سجن المجدل إلى سجن آخر، ووضعوه في جيب "بَوَر" حر اليدين، وغير معصوب العينين، وعلى مقربة منه بندقية ملقاة على الأرض، كانت ساحة السجن مفرغة من الجنود ومهيأة للفرار، أحس الرفيق عمران بأن العدو قد نصب له فخاً لتصفيته بمجرد أن يلتقط البندقية ويحاول الهرب، فأبطل مخططهم وظل راكداً في الجيب ينتظر قدومهم، وسرعان ما انتهت مسرحية المخابرات، وعادت ساحة السجن تعج بالجنود، فحضروا إليه ومعهم كلابهم، وانهالوا عليه بالشتائم، وأعادوه إلى زنزانته مرة أخرى(١).

بعد أكثر من عام، استغل الرفيق عمران طبيعة عمله ونسج علاقة طيبة مع سائق سيارة "البيجو تندر" المخصصة لنقل الخبز، وعرف منه خط سير سيارته التي تموّن سجن عسقلان بالخبز أولاً، ثم تتجه مباشرة لسجن غزة المركزي، اختمرت فكرة الهروب في رأسه، وصارت سيارة الخبز هي ملاذه إلى الحرية، أخبر أحد رفاقه بفكرته وطلب مساعدته، وعندما جاءت سيارة الخبز، اختبأ في صندوقها الخلفي، ونفذ رفيقه ما اتفقا عليه.

---

(١) في مقابلة مع الرفيق محمود عمران الذي سمع هذه الرواية من الرفيق أحمد عمران، عندما أخبر والده بما حدث معه في إحدى الزيارات لسجن المجدل.

جاء السائق، وأسدل الشادر على السيارة من الخلف، ثم تحرك متجهاً إلى سجن غزة المركزي، وبمجرد أن وصلت السيارة إلى قطاع غزة، تمكن الرفيق عمران من الفرار [١].

جن جنون العدو، عندما تأكد من فرار الرفيق أحمد عمران من السجن، وأذاع عبر محطة الراديو الناطقة باللغة العربية التي كانت توجّه أخبارها لأهالي القطاع، خبر هروب وحش مفترس من حديقة الحيوانات، أذاع الراديو الخبر على مدار الساعة، وحذّر الأهالي من خطورة هذا الحيوان الهارب، وطلب منهم أن يغلقوا أبوابهم ولا يفتحوها لأحد حفاظاً على أرواحهم، حالة من الهلع والذعر انتشرت بين أوساط أهالي القطاع، وصار خبر "الغوريلا" حديث الأهالي طوال ساعات النهار.

- إوعى تطلع يمّا، في "غولة" بتوكل البني آدمين.
- بقولو في الأخبار في "غولة" شاردة، عينيها حمرا، وأظافرها طويلة.
- أول ما تغيب الشمس بسكّر باب الدار ع اولادي، ولو حدة طقطق ع الباب بعمل حالي مش سامع، بلاش توكلنا الغولة.

ورغم ما قام به العدو من محاولات لتخويف الأهالي وتضليلهم، تمكن الرفيق أحمد عمران "الغولة" من الوصول إلى حارة تدعى "عرب المجانين"، في بلدة الزوايدة، وسط قطاع غزة، واختبأ في أحد ملاجئها، بالقرب من منزل الرفيق شيبوب[٢].

بذل المحتل قصارى جهده، وسخّر كل طاقاته وحرك كل عملائه للقبض على من أربكه وأرّق مضجعه، فكثف عمليات الرصد والمتابعة له، إلى أن عرفوا مكانه بعد أن أمضى ستة أشهر قيد الملاحقة والمطاردة بعد هروبه من السجن.

وفي ١٧ يوليو ١٩٧٢، توجهت قوات غفيرة من جنود العدو إلى المكان الذي يختبئ فيه مدججين بالأسلحة وبغطاء جوي من طائرات الهيلوكوبتر، وحاصروا المكان وبثوا الرعب في أرجائه، وأخذوا ينادونه عبر مكبرات الصوت:

"المكان محاصر، سلّم تسلم، إحنا عارفين إنك في الوكر، أخرج وسلّم نفسك" ..

---

(١) في مقابلة مع الرفيق محمود عمران.

(٢) في مقابلة مع الرفيق محمد معالي أبو سمرة.

لم يُسلّم نفسه، ولم يصغِ لمكبرات الصوت، كان يفكر كيف سيدير المعركة لوحده، وكيف يلقنهم دروساً في المواجهة، قام العدو بدفع جرافة ضخمة لتجريف المنزل، وهدمه على الرفيق المتخندق بداخله، وبعد تجريف المنزل أصبح الوكر مكشوفاً للعدو، وبمجرد أن لمح سائق الجرافة رفيقنا "الغولة"، أحس بالذعر وترك الجرافة ونفد بجلده ولاذ بالفرار، وقتها اتخذ رفيقنا قراره، وخرج من مخبئه وأخذ يرشقهم بقنابله اليدوية، ويمطرهم بوابل من الرصاص، فتراجعت قوات العدو أمام ضرباته وكأنها تحارب جيشاً بأكمله، تدخلت الطائرة المروحية وكثفت ضرباتها باتجاهه.

– "مجابهة هذا النوع من الرجال خاسرة" وواصلوا مناداته "سلم نفسك" . .

أوقف العدو إطلاق النار، وبدأ يدك المكان بالصواريخ، صاروخاً تلو آخر، توقفت ضربات البطل، استمر العدو بإطلاق الصواريخ، وارتقى الرفيق عمران شهيداً في سماء المجد ليلحق برفاق دربه إبراهيم الشطلي، وعلي أبو سلطان، وسميح أبو حسب الله الذين شكلوا أيقوناتٍ للبطولة والتضحية، والذين خلّد المخيم أسماءهم في ذاكرته الأبدية ليظلوا أحياء في قلوب الناس برغم مرور عشرات السنين على رحيلهم(١).

---

(١) في مقابلة مع الرفيق محمود عمران.

الخاتمة

ليبقى ظلي فوق الأرض

وتبقى ثورتنا حمراء

الخاتمة

الخاتمة

تناول الكتاب التجربة العسكرية لقوات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في قطاع غزة وتحديداً في المنطقة الوسطى، في الفترة الممتدة من هزيمة حزيران عام ١٩٦٧، التي وقع خلالها قطاع غزة تحت وطأة الاحتلال الصهيوني، وحتى مارس ١٩٧٣، تاريخ استشهاد الرفيق محمد الأسود القائد العسكري للجبهة الشعبية في القطاع، وعند هذا الحد انتهى التوثيق، لأن التجربة الفدائية عموماً قد تراجعت بشكل كبير بعد استشهاد الرفيق جيفارا غزة.

ترجع أهمية الكتاب إلى أنه استعرض الكثير من الأسماء والمواقف والعمليات العسكرية التي برزت من خلال توثيقنا للتجربة، والتي توثق للمرة الأولى رغم أنها تكتب بعد عقود طويلة من الزمن، والحقيقة أن الكتاب، وإن جاء متأخراً، فإن الهدف منه الحفاظ على ما تبقى من ذاكرة الثورة، وحمايتها من خطر النسيان والتبدد، بعد مرور نصف قرن على انتهاء ظاهرة الفدائيين، والحفاظ على هذا الإرث الذي تركوه لنا أصحاب هذه التجربة الرائدة، ليظل هذا الإرث العظيم المليء بالبطولات والمآثر خير شاهد على تلك المرحلة، خصوصاً أنها تعرضت ولا تزال لحملة شرسة من التجني والتشويه.

ارتبطت بدايات التجربة بطلائع المقاومة الشعبية التي تشكلت بعد الهزيمة مباشرة، والتي اعتمدت في عضويتها وتسليحها على إمكانات جيش التحرير الفلسطيني، ومن ثم بدأت الخلايا العسكرية تعمل تحت اسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكان من أبرز الأسماء في فترة البدايات الرفيق عبد الرحمن قاسم، وهو من أوائل الكوادر العسكرية التي قدمت إلى قطاع غزة لتصعيد العمل الفدائي، وتولى مسئولية الجهاز العسكري والسياسي للجبهة الشعبية، وعكف على تنظيم الشباب وتدريبهم على السلاح، ويرجع له الفضل في تأسيس الخلايا الأولى العاملة في قطاع غزة، بعدها تولى مسئولية الجهاز العسكري بصورة متتابعة، الرفاق عبد العزيز الميناوي، محمد أبو النصر، جلال حافظ عزيزة، محمد أبو اعتيق، يوسف غبن، محمد الأسود، ونظراً لما شكلته الأذرع العسكرية الناشطة في القطاع، وفي مقدمتها الجبهة الشعبية من خطورة بالغة على العدو الصهيوني، فقد كثف

جهوده للقضاء عليها، محاولاً اسدال الستار على هذه الظاهرة المسلحة هناك، وفي تلك الفترة استخدم العدو أبشع الوسائل والسياسات لقمع الأهالي وإرهابهم، وقام بحملات واسعة من الاعتقالات، ونسف البيوت وتهجير الأهالي وإبعادهم، وفرض العديد من الإجراءات العقابية بحقهم، ونجح في استدراج البعض، وإسقاطه في براثن العمالة، ليكون عيناً على المخيم وأهله، وتعتبر عملية "طنجرة الضغط" أكبر حملة إبادة قام بها أرئيل شارون ضد الأهالي في قطاع غزة، والتي بدأت في نهاية سنة ١٩٧٠، واستمرت لأكثر من ١٩ شهراً، استخدم فيها العدو الصهيوني كل إمكاناته وأدواته الفاشية، واستقدم إلى القطاع أكثر وحدات الجيش إجراماً ودموية، ومعهم جنرالات من رجالات التحقيق وضباط المخابرات للتصدي للفدائيين، وقمع كل من يقدم لهم أي مساعدة، وحاصروا كل شبر في كل مخيم، بهدف إطفاء جذوة المقاومة في القطاع وكسر شوكتها، إلا أن المقاومة كانت تتلقى الضربة فيتصلب عودها ويشتد، وتنهض من جديد لتواصل مسيرتها التي لا ولن تنتهي إلا بزوال الاحتلال.

وانتهى الكتاب إلى الكثير من النتائج والاستنتاجات، التي يمكن تكثيفها على النحو التالي:

١- خلال أكثر من خمس سنوات من النضال الشاق والمتواصل، استطاعت الجبهة الشعبية في قطاع غزة أن تشكل سداً منيعاً لإفشال مخططات العدو السياسية والعسكرية، والتي كانت تستهدف تدجين القطاع وجعله منطقة إسرائيلية آمنة، بعد القضاء على قواه الثورية، ودفعت الجبهة في سبيل ذلك خيرة أبنائها شهداء وأسرى في ساحات المواجهة والاشتباك المباشر مع العدو، وقد استهدفت حملات العدو التصفوية ضرب الصف القيادي الأول للجبهة الشعبية في القطاع أكثر من ثماني مرات، ومع ذلك استطاعت تجاوز هذه الضربات، واستعادت بناء تنظيمها العسكري والسياسي من جديد، ونجحت في المراكمة على التجربة والبناء عليها والاستفادة من دروس وعبر التجارب السابقة.

٢- امتازت التجربة بالثراء في أحداثها وبطولات أصحابها، وكان كل يوم من أيامها حافلاً بالصدامات والمعارك مع قوات العدو، فلا يكاد يخلو يوم من ضرب قنبلة على جيب عسكري للعدو أو انفجار لغم زرعه مقاتل، أو الاصطدام بكمين والاشتباك معه، أو

نصب كمين لدورية مارة على شارع صلاح الدين والإجهاز عليها، وبرغم زخم الأحداث وتكرارها وتشابهها في بعض الأحيان، إلا أن ما استطعنا توثيقه في هذا الكتاب هو جزء بسيط من التجربة، وذلك ارتباطا ببعض العوامل المعيقة، منها تأخر عملية التوثيق، ورحيل معظم أصحاب التجربة، إضافة إلى عدم توفر مصادر تحدثت عنها، ويمكننا القول بأن الكتاب لو أنجز في سنوات سابقة لكان أكثر ثراءً في موضوعاته، ولتناول التجربة بشكل معمق وأكثر دقة وتفصيلاً وإحاطة بكل الأحداث المهمة في تلك الفترة.

٣- لم تأخذ تجربة الفدائيين في قطاع غزة، وفي مخيمات المنطقة الوسطى على وجه الخصوص حقها من الدراسة والتوثيق من قبل الجبهة الشعبية، صاحبة التجربة، وبقي أبطال ورموز هذه التجربة بحاجة لإعادة الاعتبار، خصوصاً أنهم شكلوا ملامح تلك الفترة، وتعدّت بطولاتهم المنطقة الجغرافية التي عاشوا فيها، ومن أبرز هؤلاء الأبطال: الرفيق القائد محمد أبو النصر الذي يقول عنه الرفيق جلال حافظ عزيزة، بأنه لو أتيح له أن يستمر في العمل، لكان مشروع قائد فذ ومتميز، وأضاف بأنه يعلو بصفاته الكلية عن جيفارا غزة، وقالت عنه الرفيقة عايشة خلف: بأنه الجسر الذي مرّ الفدائيون كلهم من فوقه.

ومن الشخصيات الأخرى التي شكلت أيقونات للبطولة في مخيمات الوسطى، وكان المخيم ينسج من بطولاتهم حكايا يرددها الكبار والصغار: الرفيق أحمد عمران، والرفيق سميح أبو حسب الله، والرفيق داوود خلف، والرفيق حسن الزريعي.

٤- لعبت المرأة دوراً مهماً شريكة للرجل في ميادين القتال، صحيح أن معظمهن لم يقاتلن بشكل مباشر، ولم يتدربن على حمل السلاح، إلا أنهن قمن بدور كبير ومهم وأساسي، ولا يقل أهمية عن حمل البندقية، وفي هذا الجانب تميزت الجبهة الشعبية عن غيرها في تمكين المرأة من الالتحاق بالثورة، وكان لها السبق في إشراك المرأة في العمل المسلح، وقدمت نموذجاً مختلفاً للمرأة، ومن أهم الأعمال التي تميز بها دور المرأة المقاتلة، هو نقل الرسائل والأموال والذخيرة وقطع السلاح من وإلى المقاتلين، ومن أبرز الشخصيات اللاتي شاركن في العمل الفدائي في مخيمات المنطقة الوسطى: الرفيقة فطوم

السردي، والرفيقة عايشة خلف، والرفيقة خضرة قاسم، والرفيقة سميحة عمران، والرفيقة صفية أبو دباغ، والرفيقة رايقة أبو شحادة.

٥- كان لافتاً حجم التشويه والإساءة التي لحقت بالتجربة وبأبطالها، وكان للاحتلال الدور الأبرز في خلق هذه الحالة من التشكيك والتشويه والتقزيم للأعمال البطولية التي يقوم بها الفدائيون، بهدف شيطنتهم والانقضاض على الثورة من خلال تعرية رموزها ونزع صفات البطولة عنهم وتحويلهم في نظر الأهالي من أبطال وفدائيين إلى مراهقين موتورين ولصوص ومجرمين، وغيرها من الصفات لكسر شوكة الثورة، وضرب الجبهة الداخلية ونزع الثقة من هؤلاء الأبطال، وأثناء عملية التوثيق قمنا بعملية تدقيق ومراجعة لما حصلنا عليه من معلومات عن أخطاء وتجاوزات تناقلها البعض، التصقت بالفدائيين في تلك الفترة، وتوصلنا إلى أن التجربة بالفعل لم تخل من الأخطاء والتجاوزات، خصوصاً وأن غالبية من التحقوا بالمقاومة والعمل الفدائي هم من الشباب والطلائع، لم تتجاوز أعمارهم العشرين عاماً، وبرغم ذلك فقد كان هناك ضوابط ومراجعات ومحاسبات للتجاوزات والأخطاء، وتوصلنا أيضاً إلى أن ما سجل من أخطاء لم يكن يشكل خطراً على التجربة ككل أو على مكانة وقوة تأثير تنظيم الجبهة الشعبية في حينه، إذ كانت الأخطاء عفوية ودائرتها محدودة ولا تشكل السمة الأبرز للتجربة، وانحصرت في تصرفات فردية لبعض الأشخاص جاءت معظمها في نهاية تجربة العمل الفدائي بعد أن ضعفت التجربة وترهلت بسبب الضربات المتلاحقة التي استهدفتها، وأخطاء أخرى لا تتعدى كونها تقديرات خاطئة ليس أكثر، ومن هذه الأخطاء التي اعترف بها الرفاق الذين التقينا بهم وسجلنا شهاداتهم، الطريقة التي تصدى فيها الفدائيون لمؤامرة فتح سوق العمالة أمام أهالي القطاع للعمل في الداخل المحتل، والتي ترجع بالأساس للظرف الذي ولدت فيه وقلة الوعي والخبرة، ولقد تصدى الفدائيون بقسوة لهذه الحالة التي بدت في نظرهم تستهدف تقويض الحالة الثورية في القطاع، وبدأوا بمحاربتها من خلال تخويف العمال وردعهم لثنيهم عن العمل في الداخل، وفي تلك الفترة قاموا بحملات مداهمات لبيوتهم وضربوهم ضرباً مبرحاً، كما قاموا برصد الحافلات التي كانت تقل العمال على طول الطريق العام من رفح حتى بيت حانون، وضربوا قنابل بمحاذاتها، ورغم محاولاتهم توفير فرص للعاطلين عن العمل كبديل

للعمل في الداخل المحتل، إلا أن هذه المحاولات لم تشكل بديلاً مقنعاً أو كافياً لآلاف العمال العاطلين عن العمل، خصوصاً وأن قطاع كان غزة غارقاً في الفقر.

٦- جاء التشديد على العمل العسكري الذي وصفه البعض بأنه بلغ حد التقديس، على حساب الاهتمام ببناء التنظيم، الأمر الذي عرض التشكيلات العسكرية للانكشاف، إذ كانت هذه الخلايا تفتقر إلى الجذور التنظيمية وتمارس العمل العسكري دون أي أفق بعيد الأمد، إذ كان هدف العمل العسكري لذاته، وكان العمل العسكري وحده مقياس النضال، وكان تنظيم الجبهة الشعبية تنظيماً عسكرياً صرفاً، وهذه حقيقة أضعفت النشاط السياسي والجماهيري والتنظيمي للجبهة في تلك الفترة، وقد استفادت الجبهة الشعبية من هذه التجربة فيما بعد، واهتمت ببناء المنظمات الجماهيرية شبه العلنية، وكانت تمارس دورها في النضال السياسي والمطلبي عموماً، وبرز ذلك في فترة الثمانينات من القرن الماضي، إذ تشكلت لجان العمل التطوعي التي كانت تقوم بأنشطة ذات طابع جماهيري.

٧- ركزت الجبهة الشعبية في تلك الفترة على قصم ظهر العدو في القطاع، فأعطت قيادتها العسكرية توجيهاتها للمقاتلين باستهداف وتصفية الضباط ذوي الرتب العسكرية العالية، وبالفعل تمكن مقاتلوها من تصفية عدد كبير منهم، ومن أبرز الشخصيات التي تم تصفيتها على أيدي مقاتلي الجبهة الشعبية في المنطقة الوسطى:

- الكولونيل "ديفيد" الذي قتل بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٦٩، قام بتصفيته الرفيق غازي أبو جياب.
- ضابط المخابرات "سلمون"، الذي قام بتصفيته الرفيق عبد القادر الغصين في أكتوبر ١٩٦٩.
- أكثر من محاولة لتصفية "موشيه ديان".
- الحاكم العسكري للمنطقة الوسطى الميجر جنرال، الكابتن "أبو النور"، وقتل على يد الرفيق سلامة العروقي في أغسطس ١٩٦٩.
- الجنرال في الجيش "شلومو ليفي" مهندس الأشغال العامة في قطاع غزة الذي قتل في أواخر عام ١٩٦٩.

- الضابط "رَحّميم"، الذي تم تصفيته في معركة المغازي الأولى، بتاريخ ٥ يناير ١٩٧٠.
- الكولونيل "يوسف كوكش" ، قام بتصفيته الرفيق أحمد عمران في منتصف يناير ١٩٧٠.
- محاولة تصفية الجنرال "ديفيد ميمون"، الحاكم العسكري لقطاع غزة في يوليو ١٩٧٠.

٨- شكل عام ١٩٦٩، وعام ١٩٧٠، ذروة العمل الفدائي في قطاع غزة، وشهدت هذه الفترة تصعيداً كبيراً في العمل العسكري، ونفذت خلالها الجبهة الشعبية أبرز عملياتها النوعية، واستشهد فيها خيرة مقاتليها، وأحكمت فيها قوات الجبهة الشعبية سيطرتها على قطاع غزة، وفرضت قوتها على الأرض سلطة وازنة قضّت مضاجع العدو، مما أجبر العدو على الاعتراف صاغراً بهذه السلطة، وهذا ما جاء على لسان وزير الحرب الصهيوني موشيه ديان بأن الفدائيين يحكمون غزة في الليل، وقواته في النهار، ولم يكن هذا الاعتراف ليجري على لسان موشيه ديان، لولا الندّية العالية التي فرضها هؤلاء الأبطال.

٩- برز تنظيم الجبهة قوة عسكرية أولى في قطاع غزة في الفترة التي يغطيها الكتاب، وجاء في المرتبة الثانية "قوات التحرير الشعبية"، التي كان يترأسها المناضل زياد الحسيني وهي مجموعات مسلحة انبثقت من جيش التحرير الشعبي التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧، وكانت مجموعاتها العسكرية ناشطة بشكل قوي في مدينة غزة وشمال القطاع، وفي المرتبة الثالثة حركة فتح التي كان لها مجموعات عسكرية محدودة ولم تكن فاعلة، ولم تبرز كقوة عسكرية وازنة في تلك الفترة.

١٠- بعد خروج الجبهة الشعبية من الأردن إلى لبنان، بعد مجازر أيلول في سبتمبر ١٩٧٠، ومعارك جرش في يوليو ١٩٧١، وبعد توقف القتال على جبهة السويس في نهاية ١٩٧٠، تمكن العدو من سحب الآلاف من جنوده من ساحة المواجهة مع مصر وحشدها في القطاع، وترتب على ذلك تصاعد الحملة الصهيونية، وتوجيه ضربات قوية للعمل الفدائي في القطاع ساهمت في إضعافه والاستفراد به.

١١- من المهم التوضيح أن التجربة الفدائية في قطاع غزة على المستوى الجبهاوي كانت غنية، وأن هناك الكثير من التجارب القيادية كانت شبيهة بتجربة جيفارا ورفاقه، ونحن أمام تجربة رائدة شكلت إضافة وبصمة كبيرة في العمل العسكري، وهذه التجربة الغنية برمتها كانت مثار حديث الزعيم جمال عبد الناصر عن ضربات الفدائيين في قطاع غزة، وتصريح موشيه ديان بأن الفدائيين يحكمون غزة في الليل، وما توصلنا إليه يأتي في سياق إعادة الاعتبار لأبطال هذا الكتاب الذين رسموا ملامح تلك التجربة، ووضعوا قواعد صرحها العظيم.

١٢- كان هناك تنسيق عالٍ بين الأذرع العسكرية الفاعلة في قطاع غزة، وظهر ذلك من خلال تبادل كلمات السر بين عناصر المجموعات العسكرية لهذه التنظيمات، والقيام بعمليات عسكرية مشتركة خصوصاً بين قوات الجبهة وقوات التحرير الشعبية، ولاحظنا عند تنسيق سفر المقاتلين للخارج أن عدداً من المقاتلين من قوات حركة فتح سافر مع مقاتلين للجبهة الشعبية، وبرغم هذه العلاقات الوحدوية إلا أن التجربة أشارت لبعض المحطات التي برز فيها خلاف، ومنها خلافات بسبب تبني أكثر من جهة لبعض العمليات، وخلافات أخرى بسبب ملاحقة بعض التجاوزات ومعالجتها.

١٣- لعبت الجماهير الشعبية دوراً حاسماً في تجربة العمل الفدائي، وشكلت الحاضنة الشعبية للمقاتلين، والخزان الذي تستمد منه الثورة وجودها وعنفوانها واستمرارها، غير مكترثة بما يمكن أن يلحق بها من خطر أو أذى بسبب الإجراءات القمعية التي كان يفرضها العدو لتقويض الثورة وعزلها عن حاضنتها الشعبية، وقد واجهت جماهير شعبنا هذا العنف والبطش بمزيد من التلاحم والالتفاف حول طليعتها المقاتلة، فعاشت معهم بطولاتهم وتضحياتهم، وانحازت بقوة للقيام بدورها في حماية هذه الظاهرة حتى تحقيق أهدافها في الخلاص من الاحتلال، وخير شاهد على ذلك، ما كان يقوم به الأهالي من حفاوة وترحاب عند استقبال المطاردين وإيوائهم وتجهيز ملاجئ ومخابئ لهم في بيوتهم أو عند خروجهم بالآلاف في مظاهرات عارمة لتشييع هؤلاء الأبطال.

المصادر والمراجع

أولاً : المقابلات الشخصية والتسجيلات :

١. الأسير المحرر جلال حافظ هاشم عزيزة
٢. الأسيرة المحررة عايشة عبد الله أحمد خلف
٣. الأسيرة المحررة فيروز رباح عرفة
٤. الراحل علي صالح درويش القطاوي
٥. الأسير المحرر حسين إبراهيم موسى أبو نار
٦. الأسير المحرر سلامة عبد الكريم سلامة السعيدني
٧. الأسير المحرر علي علاء الدين حسن الصلحات
٨. الأسير المحرر جمال سليم خليل الدحدوح
٩. الأسير المحرر نمر عبد محمود أبو جياب
١٠. الأسير المحرر إبراهيم علي محمد الشاعر
١١. الأسير المحرر خليل سالم سليمان أبو زبيدة
١٢. الأسير المحرر تيسير عبد العزيز نمر أبو فنونة
١٣. الأسير المحرر محمد معالي عبيد أبو سمرة
١٤. الأسير المحرر هاشم محمد سعود أبو أمونة
١٥. الأسير المحرر يونس سعيد أبو قاسم
١٦. الأسير المحرر جهاد عبد العزيز محمد مشالي
١٧. الأسير المحرر محمد إبراهيم رجب جروان
١٨. الأسير المحرر إبراهيم عبد الرحمن سلمان شاهين
١٩. الراحل عبد الرحمن عبد السلام عواد القطشان
٢٠. الأسير المحرر اعبيد عطية عودة أبو صواوين
٢١. الأسير المحرر محمد سلامة سلمان عودة "العودات"
٢٢. الأسير المحرر محمد حسان سليمان أبو فريح

٢٣. الأسير المحرر يحيى أحمد سليمان الأسطل
٢٤. الأسير المحرر رزق محمد فرج فرج
٢٥. محمود شحادة محمد عمران

ثانياً : المراجع :

١. أحمد أبو السعود، ومضات من خلف القضبان، الطبعة الأولى ٢٠١٤.
٢. أحمد سعدات، صدى القيد، دار الفارابي، بيروت، نيسان ٢٠١٤.
٣. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الحركة الأسيرة، كراس "بطولات في أقبية السجون"، دار الشعلة للنشر، إبريل ١٩٨٨.
٤. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الدائرة الثقافية المركزية، كتاب المسيرة التاريخية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، مطبعة الأخوة، غزة، الطبعة الأولى، أغسطس ٢٠١٠.
٥. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، سجل الخالدين، الجزء الثاني(١٩٧١– ١٩٧٤).
٦. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، سجل الخالدين، محافظة الوسطى، مارس ٢٠١٤.
٧. تشي جيفارا، كتاب مبادئ حرب الغوار، ترجمة الدكتور فؤاد أيوب، والأستاذ علي الطود، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨.
٨. جورج حبش، كتاب الثوريون لا يموتون أبداً، دار الساقي، بيروت الطبعة العربية، طبعة ٢٠٠٩.
٩. حسين أبو النمل، قطاع غزة (١٩٤٨– ١٩٦٧)، تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية، مركز الأبحاث/ منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، إبريل ١٩٧٩.
١٠. دافيد شانوف، مذكرات أرييل شارون، ترجمة أنطوان عبيد، مكتبة بيسان، بيروت ، ١٩٩٢.

١١. سامى الأخرس، فيروزيات نضالية، مطبعة الأندلس، غزة، مارس ٢٠١٥.

١٢. غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (١٩٤٨-١٩٦٨)، دار منشورات الرمال، قبرص، طبعة ٢٠١٥.

١٣. غازي الصوراني، قطاع غزة (١٩٤٨- ١٩٩٣)، جمعية الهلال الأحمر، قطاع غزة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.

١٤. معين بسيسو، دفاتر فلسطينية، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٨.

١٥. يزيد صايغ، الكفاح المسلح والدولة الفلسطينية، الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٤٩ – ١٩٩٣)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت، يناير ٢٠٠٢.